تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

انجيل لوقا



إنجيل لوقا

نقله إلى العربية
القس مكرم نجيب



طبعة ثانية

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ – القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب ٢٢٧٩ /٨٤

الترقيم الدولى : ٢ -٠٣٢- ١٦٦ – ٩٧٧

طبع بمطبعة نوبار

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلى

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

الدكتور القس بطرس عبد الملك — الأستاذ حبيب سعيد

الدكتور القس صموئيل حبيب — الدكتور القس فايز فارس

الدكتور القس فهيم عزيز

محتويات الكتاب

مقدمة الكتاب

الكتاب والمؤلف

دعى إنجيل لوقا أنه أحب كتاب فى العالم . سأل أمريكى « دنى Denney عن أحسن كتاب عن حياة المسيح فأجابه دنى « هل قرأت ما كتبه لوقا البشير ؟ »

توجد أسطورة عن لوقا أنه كان مصوراً ماهراً ، ويقال إنه رسم صورة لمريم العذراء موجودة لليوم فى كاتدرائية أسبانية. والأمر الذى لايختلف فيه اثنان ، أن لوقا كان يتمتع بنظرة ثاقبة ، لذا فليس من الغريب أن يقال إن الإنجيل الثالث هو أحسن ما كتب عن حياة المسيح . ولا يوجد مانع من قبول التقليد القائل إن لوقا هو كاتب هذا السفر . وجرت العادة قديماً أن ينسب بعض الكتاب كتبهم لأسماء مشهورة ولم يكن هذا حظاً فى نظرهم ، وأما لوقا فلم يكن مشهوراً فى الكنيسة الأولى فلو لم يكن هو كاتب هذا الإنجيل ما كان قد نسبه إليه أحد . فقد كان لوقا أممياً وهو الوحيد بين كتبة العهد الجديد الذى لم يكن يهودياً . وربما أعطته مهنة الطب التى كان يحترفها (كو ٤ : ١٤) ميزة التعاطف مع الآخرين فى عواطفهم ، وقد قيل ان القسيس يرى الناس فى أحسن حالاتهم ، وان المحامى يراهم فى أتعس الحالات ، وأما الطبيب فيرى الناس على حقيقتهم . وقد رأى لوقا الناس وأحبهم جميعاً. وكتب كتابه إلى رجل يدعى ثاوفيلس ويسمى العزيز ثاوفيلس وهذا كان لقباً اعتيادياً

يمنح لموظف كبير فى الحكومة الرومانية . ولا شك فى أن لوقا كتب كتابه لسائل مشتاق ليخبره عن يسوع ولقد نجح لوقا فى إعطاء ثاوفيلس صـــورة أبهجت قلبه عن يسوع الذى سأل عنه .

رموز الإنجيل

كتب كل انجيل من الأناجيل الأربعة من وجهة نظر خاصة ، وكثيراً ما نرى صوراً للرسل الذين كتبوا أناجيلا على زجاج النوافذ الملون ، ولكل صورة يوجد رمز ولكن الرموز تختلف. أما أكثرها ظهوراً فهو رمز إنجيل مرقس ويظهر على شكل إنسان فهو يصور الإنسان يسوع المسيح . كما أنه أكثر الأناجيل بساطة ووضوحاً وواقعية وصدق فيه القول إنه أقرب إنجيل إلى حياة المسيح . ورمز إنجيل متى هو أسد. ومتى يهودى كتب لليهود وتركزت نظرته فى أن المسيح هو المسيا الأسد الذى من سبط يهوذا الذى تنبأت عنه جميع الأنبياء . ورمز يوحنا هو النسر الذى يحلق فى العلاء أكثر من جميع الطيور ، كما أنه هو المخلوق الوحيد الذى يقدر أن يحدق بنظره فى الشمس وهى فى رابعة النهار لمدة طويلة وبنظرة ثابتة .

لذلك نجد أن إنجيل يوحنا لاهوتى عميق يسبح بأفكاره إلى الأجواء العليا أكثر من جميع الأناجيل . فيه وجد الفلاسفة مواضيعاً يفكرون فيها طيلة حياتهم بلا إهتداء إلى حل إلا فى الأبدية . وأما رمز انجيل لوقا فهو الثور . والثور هو الحيوان الذى يقدم ذبيحة وفيه رأى لوقا أن يسوع هو الذبيحة التى تقدم لأجل كل العالم . وبهذا قد كسر لوقا كل الحصون وأظهر لنا يسوع لليهودى ثم لليونانى، للقديس وللخاطىء على الســـواء فهو مخلص العالم أجمع .

عناية مؤرخ

يعتبر انجيل لوقا من أروع ما كتب فى اليونانية . فقد جاءت يونانيته فى غاية الجودة وخاصة الأربع آيات الأولى فيه ، فهى أبدع ما كتب باليونانية فى العهد الجديد . ويذكر هو أنه كتب هذا الإنجيل بعد بحث دقيق إذ كانت ظروفه طيبة ولا بد أن موارده كانت جيدة . ولما كان رفيق بولس فى السفر فقد عرف كثيرين من مشاهير رجال الكنيسة وبكل تأكيد جعلهم يخبرونه بما يعرفون من قصص . وقد رافق بولس مدة سنتين فى قيصرية فى السجن ، وبذلك كانت له الفرص الكثيرة السانحة للدرس والبحث والاستقصاء . وقد أفاد كثيراً من هذه الفرص وأجاد ، ويظهر ذلك بوضوح فى عنايته وتدقيقه فى الكتابة. وأحسن مثال لذلك نراه فى الطريقة التى كتب بها عن يوحنا المعمدان وظهوره الذى جعل له ستة تواريخ معاصرة (١) فى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطى حاكما لليهودية . (٢) وهيرودس رئيس ربع على الجليل . (٣) وأخوه فيلبس حاكم إيطورية وأقاليم تراخونيتس . (٤) ليسانيوس حاكم الأبلية (٥) حنان وقيافا رئيسا الكهنة (٦) كانت كلمة الله على يوحنا (لو ٣ : ١و٢) .

إنجيل الأمم

واضح أن لوقا كتب للأمم ، فقد كان ثاوفيلس أمميا مثل لوقا ولم يذكر الكتاب أن الأممى لا يدرك ولا يفهم (ا) وكما رأينا يبدأ لوقا تاريخه بذكر اسم الإمبراطور ثم الحاكم المحلى . فالتاريخ الرومانى يذكر أولا .(ب) وهو لا يشبه متى فى أنه يجعل حياة يسوع تتمم النبوة اليهودية (حـ) ويقتبس قليلا من العهد القديم (د) كما أنه اعتاد أن يقدم الكلمات العبرية فى مثيلاتها من

اليونانية ليفهم جماعة اليونان قصده . فمثلا سمعان القانونى يكتبها سمعان الغيورى (لو ٦ : ١٥ ، مت ١٠ : ٤) بينما القانونى أصلها الكنعانى ، ولم يسم الصليب بالعبرانية جلجثة بل سماه باليونانية (كرانيون Kranion) والاثنان معناهما مكان الجمجمة . ولم يستخدم الكلمة العبرانية (معلم Rabbi) بل سماه باليونانية سيد . ولما سار فى نسب المسيح لم ينسبه لإبراهيم مؤسس اليهودية كما كتب متى بل نسبه إلى آدم أول الجنس البشرى (متى ١ : ٢ ، لو ٣ : ٣٨) . ولذلك تجد انجيل لوقا أسهل الأناجيل قراءة فهو لم يكتب لليهود بل كتب لأناس مثلنا .

إنجيل الصلاة

إنجيل لوقا هو إنجيل الصلاة خاصة ، ويرينا لوقا أن يسوع قضى معظم لحظات حياته فى الصلاة . فقد صلى وقت معموديته (٣ : ٢) . وفى اصطدامه الأول مع اليهود (٥ : ١٦) . وقبل اختيار تلاميذه الإثنى عشر (٦:١٢) . وقبل ما سأل تلاميذه عن ماذا يقولون عنه وقبل نبوته بموته (٩ : ١٨) . وفى التجلى (٩ : ٢٩) وعلى الصليب (٢٣ : ٤٠) ويخبرنا لوقا وحده أن يسوع صلى من أجل بطرس فى ساعة تجربته (٢٢ : ٣٢) . وانفرد لوقا بكلامه عن الصلاة فى مَثَل الصديق فى نصف الليل (١١ : ٥ — ١٣) وقاضى الظلم (١٨ : ١ — ٨) . وبين ثنايا إنجيل لوقا وفيه وحده نجد أن باب الصلاة لم يُوصَد وأنه أثمن باب فى كل العالم .

إنجيل النساء

إنخفضت مكانة النساء فى فلسطين انخفاضاً كبيراً لدرجة أن اليهودى كان يشكر الله فى صلاته الصباحية لأنه لم يخلقه أممياً أو عبداً أو امرأة .

أما إنجيل لوقا فقد أعطى المرأة مكاناً مرموقاً ويظهر ذلك بجلاء ، فى قصة ميلاد المسيح من مريم العذراء إذ نرى مكانة العذراء وقد ارتفعت ورفعت معها مكانة المرأة فى كل زمان ومكان . وتدرس فى إنجيل لوقا عن اليصابات وحنة وأرملة نايين وعن المرأة التى مسحت قدمى يسوع فى بيت سمعان الفريسى . كما يظهر لنا فى إنجيله مريم ومرثا ومريم المجدلية . وجدير بالذكر أن لوقا كان من مكدونية وقد كان للمرأة فى مكدونية مكانة ممتازة أكثر من أى مكان آخر وربما كان لهذا تأثيره على لوقا وعلى تفكيره وفلسفته .

انجيل الشكر

إن كلمة الشكر لله وردت فى إنجيل لوقا أكثر مما وردت فى كتب العهد الجديد مجتمعة . وقد بلغ هذا الشكر حد فى الترنيمات الثلاث التى رنمتها الكنيسة فى كل أجيالها وأشهرها ترنيمة العذراء مريم (١ :٤٦-٥٥) وعندما بارك الرب زكريا (١ : ٦٨ — ٧٩) ، وتسبحة حنة (٢: ٢٩ -٣٢)، ويوجد لمعان براق فى انجيل لوقا نرى فيه كأن نور السماء قد لامس أطراف الأرض فكساها بغلالة من نور سماوى .

الإنجيل العمومى لكل العالم

يتسم إنجيل لوقا بخاصية بارزة وهى أنه إنجيل عام ، لأنه تخطى كل الحدود وأطاح بكل الفوارق والفواصل إذ أظهر يسوع المسيح لكل الناس بلا فرق . (١) فلم تغلق ملكوت الله على السامريين (٩ : ٥١ — ٥٦) ولوقا وحده يخبرنا عن السامرى الصالح (لو ١٠ : ٣٠ — ٣٧) . وكان الأبرص الذى رجع ليشكر سامرياً (لو ١٧ : ١١ — ١٩) ويذكر إنجيل يوحنا أن اليهود لايعاملون السامريين (يو ٤ : ٩) وأما لوقا فلم يقفل الباب أمام أحد.

(ب) يرينا لوقا أن يسوع قبل الأمم وضرب الأمثال بهم وقد اعتبرهم اليهود نجسين مثل المرأة فى صرفة صيدا أو نعمان السرياني (٤ :٢٥ ـ ٢٧)، ومدح يسوع قائد المائة الروماني لأجل إيمانه العظيم (٧ : ٩) وأخبرنا لوقا بكلمة السيد المشهورة « يأتون من المشارق والمغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون فى ملكوت الله » (١٣ : ٢٩) . (ج) أحب لوقا الفقراء جداً فقد أحضرت مريم تقدمة تطهيرها ما يقدمه الفقراء (٢ : ٢٤) وقد أعطى يسوع شهادة لتلاميذ يوحنا « والمساكين يبشرون بالإنجيل » (٢٢:٧) ولوقا وحده أعطانا مثل الغنى والفقير (١٦ : ١٩ ـ ٣١) واختلف لوقا عن متى فى التطويبات فقد قال « طوبى للمساكين بالروح » أما لوقا فقال « طوباكم أيها المساكين » (مت ٢ : ٣، لو ٦ : ٢٠) . وقد دعى إنجيل لوقا « إنجيل ضحايا الظلم والاضطهاد » وقد إهتز قلب لوقا عطفاً وحباً على كل الذين يقاسون فى هذه الحياة . (د) من أبرز الأمور التى ذكرها لوقا أن يسوع صديق المنبوذين والخطاة ، فهو وحده الذى انفرد بذكر قصة المرأة الخاطئة التى دهنت قدمى يسوع وغسلتها بدموعها ومسحتها بشعر رأسها فى بيت سمعان الفريسى (لو ٧: ٣٦ ـ ٥٠) .

وعن زكا العشار (لو ١٩ . ١ ـ ١٠)، وعن مثل الفريسى والعشار (٩:١٨ ـ ١٤)، ولم يذكر أحد من البشيرين غير لوقا قصة اللص التائب (٢٣ : ٤٣)، وقصة الابن الضال (١٥ : ١١ ـ ٣٢)

ويخبرنا متى عن إرسالية المسيح لتلاميذه لما قال لهم إلى طريق أمم لا تمضوا ولا إلى السامريين (مت ١٠ : ٥) وأما لوقا فلم يذكر هذا . وقد اقتبس البشيرون قول إشعياء (٤٠ : ٣ ـ ٥) « أعدوا طريق الرب قوموا فى

القفرسبيلا لإلهنا » ولوقا وحده يكمل العبارة « ... وكل بشر يرى خلاص الله » (مت ٣ : ٣ ، مر ١ : ٣ ، يو ١ : ٢٣ ، لو ٣ : ٤) . وأجمل ما يمكن أن يتصف به نجيل لوقا إنه الإنجيل الوحيد الذى يصور لنا محبة الله فى أروع صورها وفى أجلى بيان ، المحبة التى لا حدود لها التى لا تقف عند حد الجنس أو اللون ، اللغة أو اللسان .

الكتاب الجميل

ينبغى ملاحظة هذه الخواص عندما ندرس إنجيل لوقا ، وعلى كل حال فإنجيل لوقا هو أحسن إنجيل للأمم لأن الطبيب الأممى الذى رأى محبة الله التى وسعت الجميع لابد أن عين هذه المحبة قد غمرت قلبه واستولت على كل كيانه . وقد كتب فيبر Faber يقول بلغة شعرية جذابة :

توجد سعة فى رحمة الله . . . مثل السعة التى فى البحار ،
توجد رحمة مع عدله . . . وهى أكثر من الحرية ،
محبة الله قد اتسعت . . . أكثر مما يفكر الإنسان ،
وقلب الإله الأزلى . . . هو أعظم قلب مشفق .

التفسير

الأَصْحَاحُ الأَوَّلُ

مقدمة مؤرخ

إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا. كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ. لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ.

(لوقا ١ : ١ — ٤)

تمتاز مقدمة إنجيل لوقا عن الأناجيل الثلاثة الأولى ، بأنها المقدمة الوحيدة التي يتحدث فيها الكاتب بضمير المتكلم ولنا فيها الملاحظات الثلاث الآتية :

١ — إنها أحسن ما كتب في اليونانية في العهد الجديد إذ استخدم لوقا صيغة المقدمات التي استعملها مشاهير مؤرخي اليونان أمثال هيرودتس كاتب التاريخ اليوناني الشهير ، الذي استهل بحوثه بالقول « هذه هي بحوث هيرودتس من هاليكارنثوس » . وعلى منواله نسج ديونيسيوس المؤرخ الكبير الذي أتى بعده بكثير من هاليكارنثوس ، إذ قال في بدء تاريخه « قبل أن أبدأ في الكتابة جمعت معلومات بعضها من أفواه المتعلمين الأقوياء الذين عاشرتهم

وبعضها من أساطير كتبها الرومان وامتد حوها كثيراً » . على هذا النمط بدأ لوقا قصة إنجيله فى لغة يونانية رائعة وبأسلوب جَذِل رصين متبعاً بل مُستخدما أجمل التعبيرات وأفضل الأساليب التى عرفها .

وقد قال لوقا فى نفسه « إننى أكتب أعظم تاريخ فى العالم وينبغى أن أكتبه فى أحسن مثال ! وكتبت بعض المخطوطات القديمة الجميلة جداً فى إنشائها بحبر فضى على أرجوان .

وعندما كان الكاتب يُقَدِّمُ على كتابة اسم الله أو يسوع كان يكتبه بمداد من ذهب ويخبرنا د. برهام عن قصة عامل متقدم فى الأيام كان يأخذ فى كل مساء يوم جمعة الدراهم اللامعة من حصالته ، ويعدها للعطاء فى الكنيسة . وقد امتلأ الجميع من مؤرخ وكاتب وعامل بهذا الروح إذ قدَّم كلٌّ فى مجاله وحسب إمكانياته أفضل ما يملك لأجل الله .

٢ — من الأمور الجديرة بالذكر أن لوقا لم يكتف بأى تاريخ كتبه غيره عن المسيح ، بل أراد أن يكتب هو بنفسه قصة المسيح . وبذلك برهن عن حقيقة رائعة ، وهى أن الديانة الحقيقية ليست شيئاً قديماً أو منقولا أو متوارثاً بل اكتشافاً شخصياً .درج دكتور جوست Gossip على القول بان الأناجيل الأربعة فى غاية الأهمية ولكن أبرزها إنجيل الخبرة الشخصية . ولقد اكتشف لوقا فعلا يسوع المسيح وعرفه معرفة شخصية .

٣ — مما لا شبهة فيه أنك لا تجد عبارة فى الكتاب المقدس تعطى نوراً فياضا لتعليم الوحى الكتابى كهذه العبارات التى افتتح بها لوقا إنجيله . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن إنجيل لوقا كتاب «موحى به » ، وهو يذكر فى بدء كلامه أن كتاباته جاءت عن بحث تاريخى دقيق . ومن ذلك نتعلم أن وحى

الله لا يأتى لرجل مكتوف اليدين . خامل الذهن ، بل للعقل المفكر الباحث والمنقب : إن الوحى الحقيقى يأتى بروح الله المكتشف خلال دراسات وأبحاث العقل العامل النشط ، فكلمة الرب لا تعطى إلا لرجل يبحث ويفتش عنها « أطلبوا تجدوا » .

ابن موعود به

كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ ٱلْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ ٱسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا وَٱمْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هرُونَ وَٱسْمُهَا إِلِيصَابَاتُ . وكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ ٱللهِ سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا ٱلرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ إِذْ كَانَتْ إِلِيصَابَاتُ عَاقِراً وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا .

فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ ٱللهِ . حَسَبَ عَادَةِ ٱلْكَهَنُوتِ أَصَابَتْهُ ٱلْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ ٱلرَّبِّ وَيُبَخِّرَ . وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ ٱلشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجاً وَقْتَ ٱلْبَخُورِ . فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ ٱلرَّبِّ وَاقِفاً عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ ٱلْبَخُورِ . فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا ٱضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلاَكُ لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَٱمْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ٱبْناً وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا . وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَٱبْتِهَاجٌ وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ . لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ ٱلرَّبِّ وَخَمْراً وَمُسْكِراً

لاَ يَشرَبُ ومِنْ بَطنِ أُمِّهِ يَمْتلِئُ مِنَ الرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. ويَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى ٱلرَّبِّ إِلَاهِهِمْ. ويَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ ٱلآباءِ إِلى ٱلأَبْناءِ والْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ ٱلأَبْرَارِ لِكَيْ يُهِيِّئَ لِلرَّبِّ شعبًا مُسْتَعِدًّا. فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلمَلاَكِ كَيْفَ أَعْلَمُ هٰذَا لِأَنِّي أَنا شَيْخٌ وامْرَأَتِي مُتقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا. فأَجَابَ ٱلْمَلاَكُ وقَالَ لَهُ أَنا جِبْرَائِيلُ ٱلْوَاقِفُ قُدَّامَ ٱللهِ وأُرْسِلْتُ لِأُكَلِّمَكَ وأُبَشِّرَكَ بِهٰذَا وهَا أَنتَ تَكُونُ صامِتًا ولاَ تقدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ إِلى ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي يكُونُ فيهِ هٰذَا لأنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كلاَمِي ٱلَّذِي سَيَتِمُّ في وقتِهِ. وَكَانَ ٱلشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا ومُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبطَائِهِ فِي ٱلْهَيْكَلِ. فلمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رأَى رُؤْيَا فِي ٱلْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ إِلَيْهِمْ وبَقِيَ صَامِتًا.

ولَمَّا كَمِلَتْ أَيَّامُ خِدْمتِهِ مَضَى إِلَى بَيْتِهِ. وبَعْدَ تلكَ ٱلأيَّامِ حَبِلَتْ أَلِيصابَاتُ امْرَأَتُهُ وأَخفَتْ نَفسَها خَمْسةَ أَشْهُرٍ قَائِلَةً. هٰكَذَا فَعَلَ بِيَ ٱلرَّبُّ فِي ٱلأيَّامِ ٱلَّتِي فِيها نَظَرَ إِلَيَّ لِينزِعَ عَارِي بَيْنَ ٱلنَّاسِ.

(لو ١: ٥ — ٢٥)

لاشك فى أن الشخصية البارزة فى هذا الفصل هى شخصية زكريا ، وهو كاهن من فرقة أبيا من نسل هرون نسل الكهنوت . وقد تكاثر عـــدد

الكهنة وازداد عن الخدمات الاعتيادية ، فقسموا إلى أربعة وعشرين فرقة تجتمع كلها معاً للخدمة فى الأعياد فقط ، أى فى عيد الفطير وعيد الخمسين وعيد المظال . ثم تخدم كل فرقة أسبوعاً ، مرتين فى السنة . وكان الكاهن يولع بالخدمة ويغرم بها حتى كان أسبوع الخدمة هو المرآة الحقيقية لحياة الكاهن .

وكان على الكاهن أن يتزوج من سلالة يهودية نقية من بنات هرون مثل اليصابات زوجة زكريا . وزاد عدد الكهنة وقتئذ باطراد بالغ حتى وصل أربعة وعشرين ألفاً ، فلم يقل عدد الفرقة الواحـــدة عن ألف كاهن ، توزع الخدمة بينهم بالقرعة ليقدموا الذبائح الصباحية والمسائية عن كل الشعب .

وكانت المحرقة التى يقدمونها حملا ذكراً ابن سنة بلا عيب ، ويقدمون معه تقدمة دقيق وزيت وخمر سكيب ، كما يقدمون بخوراً على مذبح البخور قبل تقدمة الصباح وبعد تقدمة المساء ، لتكون رائحة عطرة للذبائح المقدمة لله وكان أجمل وأسعد يوم عند الكاهن ، هو اليوم الذى يقدم فيه البخور أمام الرب ، لذلك ، اهتزت كل مشاعر زكريا فرحاً وارتكض قلبه إبتهاجاً لأن القرعة وقعت عليه ليبخر . ولكن سرعان ماباغته شعور مؤلم ، عندما تذكر مأساة حياته ، إذ لم يكن له ولزوجته اليصابات ولد . وقد قال ربانيو اليهود . يوجد سبعة أشخاص محرومين من الله ، أولهم اليهودى الذى لازوجة له ، أو المتزوج ولا ولد له ، فكان العقم عندهم سبباً شرعياً للطلاق . وهكذا تجسمت مأساة زكريا أمام ناظريه فى ذلك اليوم العظيم وكان يصلى من أجلها وحينئذ أتته الرؤيا بالبشارة بولادة ابن له برغم إنقطاع الرجاء بالبنين بحسب النظرة البشرية ، وكان البخور يتصاعد فى وسط الهيكل فى ساحة الكهنة ، والشعب مجتمع فى الساحة التالية أى ساحة إسرائيل وذلك عند تقديم الذبيحة ثم يأتى الكاهن إلى الحاجز الذى بين الساحتين بعد احتراق البخور ليبارك

الشعب .. لكن زكريا أبطأ فى إتيانه ليبارك الشعب ، فتعجب الجميع من إبطائه لكن دهشتهم كانت أكثر عندما ظهر زكريا صامتاً ، ففهم الناس أنه رأى رؤيا. وذهب زكريا إلى بيته فى نهاية إسبوعه ، وتحققت رسالة الله لأليصابات وعرفت أنها تنجب ابناً لقد أتت الرؤيا لزكريا فى بيت الله ومن منا لا يرغب فى أن تأتى رسالة الله إليه . روى أحد الشعراء أن چان دارك سمعت يوما صوتاً من الله ، واضطرب لذلك ولى عهد فرنسا حقداً وقال : كيف تأتى أصوات الله اليكم ولا تأتى للملك ؟؟

فقالت چان : إن صوت الله يأتى إليك ويأتى بالتأكيد ، لكنك لا تسمع لأنك لم تجلس فى الحقل عند المساء لتسمع صوت الله عندما يدوى جرس البشارة ولكن متى صليتم بكل قلوبكم وأصغيتم إلى صليل الجرس بعدما يجلجل صوته فى الفضاء الفسيح حينئذ تسمعون الصوت كما سمعته أنا .

ولقد أتاحت چان لنفسها الفرصة لتسمع صوت الله . هكذا كان زكريا، لقد ظل فى الهيكل ينتظر الله ، ويأتى صوت الله للذين يصغون إليه وينتظرونه.

رسالة الله لمريم

وَفِى ٱلشَّهْرِ ٱلسَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ ٱلْمَلَاكُ مِنَ ٱللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ ٱلْجَلِيلِ ٱسْمُهَا نَاصِرَةُ . إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ ٱسْمُهُ يُوسُفُ . وَٱسْمُ ٱلْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا ٱلْمَلَاكُ وَقَالَ سَلَامٌ لَكِ أَيَّتُهَا ٱلْمُنْعَمُ عَلَيْهَا . الرَّبُّ مَعَكِ . مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِى ٱلنِّسَاءِ . فَلَمَّا رَأَتْهُ ٱضْطَرَبَتْ مِنْ كَلَامِهِ وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ

تكونَ هذهِ التحيةُ . فقالَ لها الملاكُ لا تخافي يا مريمُ لأنكِ قدْ وجدْتِ نعمةً عندَ اللهِ . وها أنتِ ستحبلينَ وتلدينَ ابناً وتسمّينهُ يسوعَ . هذا يكونُ عظيماً وابنُ العليِّ يُدعى ويُعطيهِ الرَّبُّ الإلهُ كرسيَّ داودَ أبيهِ . ويملكُ على بيتِ يعقوبَ إلى الأبدِ ولا يكونُ لملكهِ نهايةٌ .

فقالتْ مريمُ للملاكِ كيفَ يكونُ هذا وأنا لستُ أعرفُ رجلاً . فأجابَ الملاكُ وقالَ لها . الروحُ القدسُ يحلُّ عليكِ وقوّةُ العليِّ تظلّلكِ فلذلكَ أيضاً القدوسُ المولودُ منكِ يُدعى ابنَ اللهِ . وهوذا أليصاباتُ نسيبتُكِ هيَ أيضاً حُبلى بابنٍ في شيخوختها وهذا هوَ الشهرُ السادسُ لتلكَ المدعوّةِ عاقراً . لأنهُ ليسَ شيءٌ غيرَ ممكنٍ لدى اللهِ . فقالتْ مريمُ هوذا أنا أمةُ الرّبِّ ليكنْ لي كقولكَ فمضى من عندها الملاكُ .

(لوقا ١ : ٢٦ — ٣٨)

كانت مريم مخطوبة ليوسف واستمرت الخطبة مدة سنة . وحسب عرف تلك الأيام أعتبرت الخطبة كالزواج بحيث أنها لا تفسخ إلا بالطلاق . كما تعتبر الخطيبة أرملة بموت خطيبها ، ويقولون شرعا « عذراء أرملة » إذا انفصمت الخطبة بالموت نسبة لعرس الخطبة الثابتة والمتينة .

ومن هذا الفصل تنتصب أمام عيوننا الحقائق الآتية :* (١) بقراءة هذا

(*) يقدم المترجم في هذا الفصل وجهة نظر الكنيسة المصرية فقط دون عرض الوجهات الأخرى . (المترجم)

الفصل فى لوقا مع ماجاء فى (مت ١ : ١٨ — ٢٥) نجـــــد أن ميلاد المسيح العذراوى أى من عذراء مخطوبة طاهرة أمراً مؤكداً . إن ولادة المسيح ممتازة فى نوعها ، إذ ولد بنوع خاص لرسالة خاصة .

٣ — أظهرت مريم أسمى خضوع لروح الله فقالت للملاك «هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك» وكأنى بها ترفع أعظم صلاة لله« لتكن مشيئتك».

تناقض البركات

فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِى تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ وذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ إِلَى ٱلْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا . ودَخَلَتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتُ . فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ٱرْتَكَضَ ٱلْجَنِينُ فِى بَطْنِهَا وٱمْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. وصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وقَالَتْ مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِى ٱلنِّسَاء ومُبَارَكَةٌ هِىَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ . فَمِنْ أَيْنَ لِى هٰذَا أَنْ تَأْتِىَ أُمُّ رَبِّى إِلَىَّ . فَهُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِى أُذُنَىَّ ٱرْتَكَضَ ٱلْجَنِينُ بِٱبْتِهَاجٍ فِى بَطْنِى . فَطُوبَى لِلَّتِى آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ ٱلرَّبِّ .

(لوقا ١ : ٣٩ — ٤٥)

فى هذا الفصل نجد نشيداً رائعاً فى تبجيل العذراء وإشادة ببركة الرب لها ولا مناص من القول إننا لانجد تناقضا فى البركات أكثر مما نجده فى حياة مريم . كيف لا وقد منحت بركة كونها أما لابن الله ، وقد امتلأ قلبها فرحاً

مازجه العجب والاندهاش وخالطه الرعب والارتعاش كما من سيف ولج قلبها لقد نالت بركة ، ولكن جاء يوم فيه رأت ابنها مُعلّقا على الصليب ، لقد اختارها الله لفرح عظيم ولصليب الحزن فى نفس الوقت . ومن هذا نرى حقيقة قوية ، إن الله لا يختار إنساناً للحياة الهينة اللينة للمسرات والأفراح فقط، بل يختاره أيضاً لعمل عظيم يستنفذ فيه فكر العقل ، ويلتهم شعور القلب ، ويستحوذ على قوى الأيدى ، لكى يستخدمه أحسن إستخدام . لقد أيقنت « جان دارك » أن نهايتها على الأبواب ، فصلت « أبقى سنة واحدة . . إستخدمنى بقدرتك كما تشاء » . وعندما يتحقق فينا هذا الاستخدام تتحول خدمة الرب من حزن ونحيب إلى فرح ومجد وفخر إذ ينبغى أن نحتمل كل شىء لأجل الرب . أمسك الفوارس رتشارد كيرون وقتلوه وقطعوا يديه الجميلتين وأرسلوهما إلى أبيه مع رسالة ليتحقق أنهما يخصان إبنه، ولكنه قال « هما يدا ابنى العزيز ولتكن مشيئة الله الصالحة لأنه لا يصنع خطأ » أجل . . لقد سالت دموعه غزيرة من إحساسه الأبوى ، ولكنه عرف بل أيقن مؤمنا أنها مشيئة الله . ومثلما صلى أيضاً قديس أسبانى لأجل شعبه « ليمنع الله عنكم السلام وليهبكم المجد » وكقول مبشر عظيم أتى يسوع لا ليجعل حياة الناس رغدة مبهجة بل ليجعل فيهم حياة عظيمة » . هكذا قد يمنح الله إنساناً جزيل البركات فى هذا العالم ويكلفه أيضاً بأعظم وأجل الأعمال فحيث تكون الامتيازات الكثيرة هناك تكون المسئوليات الكبيرة أيضاً .

ترنيمة عجيبة

فَقَالَتْ مَرْيَمُ تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ . وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي . لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى ٱتِّضَاعِ أَمَتِهِ . فَهُوَذَا مُنْذُ ٱلْآنَ جَمِيعُ

ٱلأجيال تُطوِّبني. لأنَّ ٱلقدير صنع بي عظائم وٱسمهُ قدُّوس ورحمتهُ إلى جيل ٱلأجيال للذين يتَّقونه. صنع قوَّة بذراعه. شتَّت ٱلمستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل ٱلأعزَّاء عن ٱلكراسي ورفع ٱلمتَّضعين. أشبع ٱلجياع خيرات وصرف ٱلاغنياء فارغين. عضد إسرائيل فتاهُ ليذكر رحمةً. كما كلَّم آباءنا لإبرٰهيم ونسله إلى ٱلأبد. فمكثت مريم عندها نحو ثلاثة أشهر ثمَّ رجعت إلى بيتها.

(لوقا ١ : ٤٦ — ٥٦)

صارت ترنيمة مريم العذراء أعظم ترنيمة فى الكنيسة فلقد ابتدأت غرة ترنيمتها بتعظيم الله السامى المتعال «تعظم نفسى الرب» وكأنها متشبعة بكلمات ترنيمة الشكر التى رنمتها حنة أم صموئيل فى العهد القديم (١صم ٢ : ١ - ١٠). درج البعض على القول بأن الدين طلاء أو مخدر للناس. ولكن ستانلى جونس قال «إن العظمة هى أكبر وثيقة ثورية فى العالم» وكل عظيم لابد أن يذكر ثلاث ثورات لله :

١ — «شتت المستكبرين بفكر قلوبهم» وهذه هى ثورة الشجاعة. إن المسيحية تميت الكبرياء وتمقتها لأن من يضع حياته بجانب المسيح لابد أن يرى إعلاناً منيراً يخجل كبرياءه. مثل ماحدث فى قصة رواها هنرى عن ولد تربى فى قرية نائية. كان يجلس فى المدرسة بجوار زميلة له وأحبا بعضهما حبا جماً. وبعد مدة من الزمن ذهب الولد إلى المدينة، وتلوثت حياته الطاهرة وأصبح نشالا ولصاً مخيفاً. وفى ذات يوم كان يسير فى أحد الشوارع بعدما

نشل حقيبة سيدة عجوز ، وإذ به يرى فجأة زميلته فى الطريق ترتدى ثوب البراءة والقداسة فخجل من نفسه ، ومال برأسه على عامود النور بصوت تسبقه دموع الألم والحزن « ياإلهى أريد الموت » وفتح المسيح عينيه فى تلك اللحظةورأى نفسه ، وماتت كبرياؤه ، وبدأت ثورة الشجاعة .

٢ ـــ«أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين » وهنا نرى الثورة الاجتماعية لأن المسيحية لا تعرف الفوارق والفواصل بين طبقة وأخرى من الناس كما حدث مع مورتيس **Muretus** احد علماء القرون الوسطى الذى كان يتجول حتى مرض فى إحدى مدن ايطاليا فأدخلوه إلى مستشفى للفقراء . ولما رآه الطبيب قال لزملائه باللاتينية (ولم يكن يتوقع أن يعرفها المريض) إنه شخص تافه فلماذا لا نستخدمه فى تجاربنا الطبية .

فأجابهم بلغتهم البليغة « لا تقولوا عن إنسان مات المسيح لأجله إنه تافه» .

٣ ـــ « أشبع الجياع وصرف الأغنياء فارغين » وهذه هى الثورة الاقتصادية . والذين يجمعون ويكدسون لأنفسهم هم غير مسيحيين بالحق فالمسيحى لا يرغب أن يشبع بينما يرى غيره يموت جوعاً . وهذا العمل يحتاج إلى قوة عظيمة تولدها المسيحية لتثور النفس ضد الجشع ومحبة المال .

يدعى اسمه يوحنا

وأما أَلِيصابَاتُ فَتَمَّ زَمانُها لِتَلِدَ فَوَلَدَتِ ٱبْناً . وسَمِعَ جيرَانُهَا وأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَها فَفَرِحُوا مَعَهَا . وَفِي ٱلْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ وسمَّوْهُ بِاسْمِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا . فَأَجَابَتْ أُمُّهُ وقَالَتْ لاَ بَلْ يُسَمَّى يُوحَنَّا . فقَالُوا لهَا لَيْسَ فِي عَشِيرَتِكِ

تَسَمَّى بِهَذَا ٱلاسْمِ ثُمَّ أَوْمَأُوا إِلَى أَبِيهِ مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى فَطَلَبَ لَوْحاً وَكَتَبَ قَائِلاً ٱسْمُهُ يُوحَنَّا . فَتَعَجَّبَ ٱلْجَمِيعُ . وَفِي ٱلْحَالِ انفَتَحَ فَمُهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ ٱللهَ . فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ . وَتُحُدِّثَ بِهٰذِهِ ٱلأُمُورِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ جِبَالِ ٱلْيَهُودِيَّةِ . فَأَوْدَعَهَا جَمِيعُ ٱلسَّامِعِينَ فِي قُلُوبِهِمْ قَائِلِينَ أَتَرَى مَاذَا يَكُونُ هٰذَا ٱلصَّبِيُّ . وَكَانَتْ يَدُ ٱلرَّبِّ مَعَهُ .

(لوقا ١ : ٥٧ — ٦٦)

كانت ولادة الطفل فى فلسطين مبعث فرح وبهجة فى قلوب الجميع ، وخاصة إذا كان المولود ولداً . وعندما يحين وقت الميلاد ، يجتمع المغنون والعازفون والأصدقاء حول البيت. وعند الإعلان بولادة ولد ، يعزف الكل على آلاتهم ألحاناً جميلة وأهازيج مفرحة ، ويندفعون ليهنئوا الوالدين / بعكس ما يحدث لو كان المولود بنتاً إذ ينصرف العازفون بانكسار تظللهم سحابة من الحزن . وقد كان فى بيت اليصابات فرح مزدوج : ذلك لأنها ولدت ولأنها ولدت ولداً . ولقد تسمى الطفل المولود يوحنا فى يومه الثامن بخلاف أسماء البنت ، إذ كانت تسجل فى اليوم الثلاثين من ولادتها أو قبل ذلك . وكانت الأسماء فى فلسطين لها دلالة خاصة فأحيانا تصف ظروف الولادة مثل عيسو ويعقوب (خر ٢٥ :٢٦) وأحيانا أخرى تصف الطفل فمثلا لابان معناه أبيض أو أشقر . وأحياناً يسمون الطفل باسم أبيه وغالباً ما يدل اسم الطفل على فرح الوالدين وشعورهم فمثلا اسم صموئيل وشاول معناه مسئول من الله . وفى أحايين كثيرة يدل اسم الطفل على ايمان الوالدين مثل ما يعنيه اسم ايليا « يهوه الهى » فى وقت سادت فيه عبادة البعل ، الأمر الذى يظهر ويبرهن على الإيمان الثابت فى الله . . . .

وقد تعجب أقرباء اليصابات عندما دعت اسم ابنها يوحنا ، وقد أعلن زكريا أبوه رغبته فى هذا الاسم . ويوحنا مختصر « يهوحنان » ومعناه عطية الله أو « الله منعم » . وهذا هو الاسم الذى أراده الله للطفل إذ أنه تعبير لشكر الوالدين لأجل الفرح المنتظر . واندهش كل الأقرباء وكل الذين سمعوا ما حدث فى عائلة زكريا وقالوا « ترى ماذا يكون هذا الصبى ؟ » وهذا يرينا أن لكل وليد احتمالات كثيرة منتظرة ، وقد اعتاد مدرس لاتينى أن ينحنى أمام تلاميذه قبل أن يلقنهم الدرس ، وعندما سئل عن سبب انحنائه هذا أجاب « أنت لا تعرف ماذا يكون مصير كل ولد من هؤلاء » . لذلك يوجد أمران فى غاية الأهمية فى ولادة كل طفل : الأول : الامتياز العظيم الذى تقدمه الحياة للرجل ولزوجته الشىء الذى ينبغى أن يشكر الله عليه. الثانى : الاحتمالات العظمى التى تكون لحياة الطفل فهو ملىء بالطاقات والإمكانيات وعلى الآباء والمدرسين أن يبذلوا قصارى جهدهم فى تحقيق أفضل الانتظارات من الأطفال .

فرح أب

وامْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَنَبَّأَ قَائِلاً : مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ. وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِى بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ . كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ . خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِى جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ. الْقَسَمَ الَّذِى حَلَفَ لإِبْرٰهِيمَ أَبِينَا . أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ

مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا نَعْبُدُهُ. بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا.
وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى لِأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ
لِتُعِدَّ طُرُقَهُ. لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلَاصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ.
بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلَاءِ. لِيُضِيءَ
عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلَالِ الْمَوْتِ لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي
طَرِيقِ السَّلَامِ. أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ وَكَانَ
فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لِإِسْرَائِيلَ.

(لوقا ١ : ٦٧ — ٨٠)

رأى زكريا كما سبق وعرفنا — رؤيا مباركة عن ابنه. فانتظر منه أن يكون هو النبي الذى يعد الطريق للرب ويمهد أمامه السبيل. وكان جميع اليهود الأتقياء يتوقون إلى اليوم الذى فيه يرون المسيا الآتى مسيح الله الملك. وآمن كثيرون منهم بهذا قبل مجيئه. وإذا كان لا بد له من سابق يعد الطريق أمامه، سادت عليهم الفكرة القائلة بأن ايليا هو الذى سيأتى ويقوم بهذا العمل، كما فى (ملا ٤ : ٥) أما زكريا فقد رأى فى ابنه أنه هو المهيء والممهد لطريق الرب. وفى الأعداد من ٧٥—٧٧ نرى صورة واضحة للخطوات فى الطريق المسيحى: (١) إعداد الطريق. وما الحياة بكل ما فيها من حوادث جسام ومناسبات مبهجة، من ليال حالكات وأيام مضيئة، إلا إعداداً وتمهيداً لوصولنا إلى المسيح. لقد فكر سر ولتر سكوت عندما كان صغيراً أن ينخرط فى سلك الجندية. لكن تغير عن قصده فجأة بسبب عرج أصابه، وتحول إلى دراسة تاريخ اسكتلندا القديم الحافل ببطولاته العظيمة حتى أصبح سيد الكتاب

وأشهر الروائيين ، لحق فيه ماقاله عنه رجل متقدم في الأيام « سار مع الزمن حتى وصل إلى ما كان عليه » . هكذا يعمل الله فى حياتنا بكل عمل وبكل وسيلة ليحضرنا فى حالة فضلى إلى المسيح .

(٢) ينبغى أن تكون هناك معرفة . والأمر الواضح والأكيد أن الانسان لم يعرف الله إلا بيسوع المسيح. ولقد افتكر اليونان فى إله لا يحس بأفراح الناس ولا يشعر بأتراحهم لكنه ينظر اليهم مكتوف اليدين . وتفكر اليهود فى إله عادل يطالب الناس بالشريعة ويجرى القضاء، جبار مخوف . أما يسوع فقد جاء ليخبرنا أن الله محبة ولقد شهد الناس أنهم لم يعرفوا محبة الله قبل ذلك . وقد منح تجسد المسيح للناس أعظم شيء اذ فيه عرفوا الله .

(٣) الغفران : فالغفران — مما يتضح هنا — ليس مجرد غفران الخطايا بل هو اعادة وارجاع لصلة الإنسان بالله . فلا يوجد ما يخلصنا من نتائج خطايانا ويعيد لنا ما ضاع منا ونحن فى تيهنا وبعدنا عن الله ، إلا الغفران الذى يرد لنا صداقتنا مع الله فيصير الله قريباً منا . فلا تصبح علاقتنا بالله مبنية على الخوف منه بل الحب له لأننا ندرك يقيناً أنه محب لنفوس البشر .

٤ — الطريق الجديد مع الله فى حياتنا وهو طريق السلام . والسلام ليس معناه النجاة من اضطرابات ومخاطر هذا العالم فقط ولكن يعنى أيضاً بلوغ أسمى درجات الصلاح فى حياتنا . فبالمسيح يسير الإنسان فى طرق تؤدى به إلى كل سام ونبيل إلى حياة أفضل مبتعداً عن مهاوى الموت وسبل الهلاك .

الأصحاح الثاني

سياحة إلى بيت لحم

وفي تلكَ الأيَّامِ صَدَرَ أمرٌ من أوغسطسَ قيصرَ بأنْ يُكتَتَبَ كُلُّ المسكونةِ وهذا الاكتتابُ الأوَّلُ جرى إذ كانَ كيرينيوس والىَ سوريَّةَ . فذهبَ الجميعُ ليُكتَتَبوا كُلٌّ واحدٍ إلى مدينتهِ . فصعدَ يوسفُ أيضاً من الجليلِ من مدينةِ النَّاصرةِ إلى اليهوديَّةِ إلى مدينةِ داودَ التي تُدعَى بيتَ لحمٍ لكونهِ من بيتِ داودَ وعشيرتهِ . ليُكتَتَبَ مع مريمَ امرأتهِ المخطوبةِ وهيَ حُبلَى . وبينما هُما هُناكَ تَمَّتْ أيَّامُها لتلدَ . فولدَتِ ابنَها البكرَ وقمَّطتهُ وأضجعتهُ في المذودِ إذ لم يكُنْ لهُما موضعٌ في المنزلِ .

(لوقا ٢ : ١ — ٧)

كانت الاكتتابات الدورية في الامبراطورية الرومانية تحمل غرضين . الأول للمساعدة في جمع الضرائب من الناس، والثاني لاكتشاف اللائقين للخدمة العسكرية الاجبارية . ولما كانت لليهود معافاة من الخدمة العسكرية وجب تعدادهم ليسهل جمع الضرائب منهم . وقد رأينا ما حدث في مصر وفي سوريا واليهودية — التي كانت جزءاً من سوريا وقتئذ — وذلك من الوثائق التي وجدت مسجلة على ورقة البردى في صحراء مصر . وكانت تحدث هذه التعدادات مرة في كل ١٤ سنة .

وقد برهنت الإحصائيات التى أخذت من الوثائق المذكورة آنفاً والتى كانت من عام ٢٧٠ ق.م الى ٢٠ ق.م أن هذه التعدادات كانت تسير فى دورة منتظمة. ومن خلال هذه الأشعة النورانية التى كشفتها هذه الاحصائيات التاريخية نرى الاكتتاب الذى حدث عام ٨ ق.م وهو تقريباً وقت ميلاد المسيح ، وقد قدم لنا لوقا حساب التعداد المضبوط . وحسب رواية لوقا تم اكتتاب كل واحد فى مدينته وهذا ما كشفته أوراق البردى فى مصر التى كان نصها « أوامر غايوس فيبوس مكسيموس حاكم مصر .. بما أنه أتى ميعاد إحصاء كل البيوت فمن الضرورى أن جميع الموجودين بعيداً عن بيوتهم الرجوع حالا حتى يتم الإحصاء فى نظام .. » ولا بد أن ما حدث فى سوريا هو ما حدث فى مصر فذهب كل واحد إلى مقر سبطه القديم . وهذا يرينا الدقة المتناهية لقصة العهد الجديد .

كانت المسافة بين القاهرة وبيت لحم تبلغ ٨٠ ميلا ، وكانت إمكانيات السفر ووسائله بدائية . أما الخان الشرقى فيشبه عدداً من الحظائر تفتح فى دهليز وسيع . واعتاد المسافرون حمل طعامهم معهم وما على صاحب الخان إلا اعداد مكان للماشية وبعض الوقود للطبخ . واذ كانت المدينة مزدحمة وخاصة بالمكتتبين لذلك لم يجد يوسف ومريم مكاناً لإيوائهم ، فولدت مريم طفلها فى فناء المكان وقمطته حسب الطريقة التى كانت متبعة بلفه فى قماش مربع الشكل ثم بشريط فوقه وكلمة مزود تشير الى مكان تطعم فيه الحيوانات .. هناك ولد المسيح اذ لم يكن له مكان فى الخان !! .. نعم ان عدم وجود مكان له معنى رمزى، ان مكانه الحقيقى على الصليب ... وهو الآن يريد أن يدخل الى قلوب الكثيرين لكنه لا يجد مكانا فى قلوب مزدحمة بالعالم .. وبقدر بحثه الدائب على النفوس الضالة ، بقدر مقاومة النفوس له .

وكانَ فِي تلكَ الكُورَةِ رُعاةٌ مُتبدِّينَ يحرُسُونَ حِراساتِ اللّيلِ عَلَى رَعيَّتِهِمْ . وإذَا مَلاكُ الرَّبِّ وقفَ بِهِمْ ومَجدُ الرَّبِّ أضاء حوْلَهُمْ فخافُوا خوْفاً عظِيماً . فقَالَ لَهُمْ الملاكُ لاَ تخافُوا . فَهَا أنَا أُبشِّرُكُمْ بِفرَحٍ عظِيمٍ يكُونُ لجمِيعِ الشعْبِ . أنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ اليَوْمَ فِي مَدينَةِ دَاوُدَ مُخلِّصٌ هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ . وهذِهِ لكُمُ العَلاَمَةُ تجِدُونَ طِفلاً مُقمَّطاً مضجَعاً فى مِذوَدٍ . وظَهرَ بَغْتَةً معَ المَلاكِ جُمْهُورٌ منَ الجُنْدِ السَّموِيِّ مسبِّحِينَ اللهَ وقَائِلِينَ المجْدُ للهِ فى الأعَالى وعَلَى الأرْضِ السَّلاَمُ وبالنَّاسِ المسرَّةُ .

ولمّا مَضَتْ عَنهُمُ المَلاَئِكَةُ إلى السَّماءِ قَالَ الرِّجالُ الرُّعاةُ بَعضُهُمْ لِبعْضٍ لِنذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ ونَنظُرْ هذَا الأمْرَ الوَاقِعَ الَّذِى أعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ . فجَاءوا مُسرِعِينَ ووَجَدُوا مَريمَ ويُوسُفَ والطِّفلَ مُضجَعاً فِي المِذْودِ . فَلمَّا رَأوْهُ أخبرُوا بِالكلامِ الَّذِى قِيلَ لهُمْ عنْ هذَا الصَّبيِّ . وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تعجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لهُمْ منَ الرُّعاةِ . وأمَّا مَريَمُ فَكانَتْ تحفَظُ جَميعَ هذَا الكلامِ مُتفكِّرةً بِهِ فى قَلبِهَا . ثُمَّ رجَعَ الرُّعاةُ وهُمْ يُمجِّدُونَ اللهَ

وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ .

(لوقا ٢ : ٨ — ٢٠)

من العجب العجاب أن إعلان الله الأول للميلاد أتى للرعاة ، الذين كانوا موضع احتقار رجال الدين اليهود ومبعث سخريتهم. وذلك لأن الرعاة لم يحفظوا مطاليب الناموس الطقسى من غسل الأيدى وما شاكل ذلك من الشرائع والتقاليد . فقد كانت أغنامهم تستغرق منهم جل وقتهم وجهدهم ، مما أعجزهم عن حفظ الشرائع اليهودية المتعددة ، فنظر اليهم المدققون نظرة احتقار وازدراء لكن الله جلت حكمته ، نظر لهؤلاء الناس البسطاء الجالسين فى الحقول نظرة إكبار وتقدير ، ورأى فيهم كرعاة لخراف الهيكل أحق البشرية جمعاء فى سماع الإعلان المبارك ، ليروا حمل الله الذى يرفع خطية العالم . ولقد رأينا أن الموسيقيين كانوا يعزفون على آلاتهم فرحة وتهنئة بولادة الطفل الذكر . ولكن عندما تقاعسوا عن الذهاب الى المذود ، أرسلت السماء جوقة من الملائكة منشدة ومرنمة ترنيمة الميلاد المباركة التى لم تستطع موسيقى العالم أن تعزفها .

هكذا تمت ولادة ابن الله فى بساطة كاملة ، رغم أن العالم توقع أن يولد فى قصر منيف من أعظم وأبهى قصور العالم المرتفعة الشاهقة . حدث أن أحد ملوك أوربا كان يسير متخفياً بين شعبه وعندما سئل لماذا تفعل هذا ؟ أجاب بلغة الأريب الواثق من عمله : « كيف أحكم شعبي إن كنت لا أعرف كيف يعيش هذا الشعب ؟ » . وهذا هو الفكر السائد عند المسيحيين أن إلهنا يعرف الحياة التى نحياها لأنه خبرها واختبرها بنفسه فى حياته على الأرض .

وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ.

وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوساً لِلرَّبِّ وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ.

(لو ٢ : ٢١ — ٢٤)

فى هذا الفصل نرى ثلاثة طقوس إجتازها يسوع كما تعود كل ولد يهودى

١ — الختان — قضت الطقوس اليهودية أن يختتن كل صبى فى اليوم الثامن من ولادته ، وقد كان الختان مقدساً فلذلك كان يحدث حتى فى اليوم السابع (السبت) الذى منعت فيه الشريعة الموسوية كل عمل غير جوهرى . وفى يوم الختان يلقب الصبى بالإسم المختار له .

٢ — فداء البكر — وبحسب الشريعة (خر ٣ : ٢) كان يقدس كل بكر لله من الإنسان أو الحيوان . وكان هذا اعترافاً بقوة الله التى هى علة الحياة ومصدرها . وتم هذا بموجب حياة بشرية حسب شريعة فداء البكر (عدد ١٨ : ١٦) ، والفدية عبارة عن خمسة شواقل أى خمسة عشر شلناً بها يمتلك أو يشترى الناس أولادهم من الله . وكانوا يدفعونها للكهنة فى مدة لا تزيد عن ثلاثين يوماً من الولادة .

٣ — التطهير بعد الولادة ، جرت العادة — حسب الناموس — أن تمكث المرأة أربعين يوماً بعد ميلاد الابن الذكر نجسة فى بيتها وتضاعف المدة إذا ولدت بنتاً فتظل فى نجاستها مدة ثمانين يوماً . ولها أن تمارس أعمالها المنزلية أثناء فترة النجاسة ، ولكن يحرم عليها أن تذهب إلى الهيكل ، وأن تقوم بأى واجب دينى (لاويين ١٢). وفى نهاية المدة تذهب للهيكل حاملة معها حملا لمحرقة ، وحمامة لذبيحة خطية (لاويين ١٢ . ٨) . أما إذا كانت الأم فقيرة وفى شظف من العيش ، تأخذ حمامة بدلا من الحمل إذ كان الحمام تقدمة الفقير . هكذا قدمت العذراء مريم تقدمة الفقراء . ومن هذا نرى أن المسيح لم يولد فى بحبوحة من العيش ، وفى ترف وبذخ ورفاهية ، بل ولد فى بيت عرف أفراده المشقات والصعوبات سواء فى المسكن أو فى المعيشة منذ نعومة أظفارهم . هكذا نحن عندما نجابه مرائر الحياة وأزماتها ، ماعلينا إلا أن نرفع أنظارنا إلى المسيح ، ذاك الذى فيما قد تألم مجرباً قادرا أن يعين المجربين وأن يريح المتعبين منا . وإن كانت الفرائض صعبة ومنهكة لكنها ترينا أن الطفل عطية من الله ، وقد اعتاد الرواقيون أن يقولوا « إن الطفل لم يعط للوالدين لكنه إعارة من الله » . ولذا وجب علينا أمام عطية الأولاد أن نتقدم كل شكر لائق لله .

عِلْمٌ قد تحقق

وكَانَ رَجُلٌ فِى أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ . وهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ والرُّوحُ القُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ . وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ القُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى المَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ . فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الهَيْكَلِ وعِنْدَمَا

دَخَلَ بالصَّبيِّ يَسُوعَ أبَواهُ لِيَصْنَعا لَهُ حَسَبَ عادَةِ النَّامُوسِ . أخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وبارَكَ اللهَ وقالَ . الآنَ تُطلِقُ عَبْدَكَ ياسَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلامٍ . لأنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أبصَرَتا خَلاصَكَ . الَّذي أعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ . نُورَ إعْلانٍ لِلأُمَمِ ومَجْداً لِشَعْبِكَ إسْرائِيلَ . وكانَ يُوسُفُ وأُمُّهُ يَتَعَجَّبانِ مِمَّا قِيلَ فيهِ . وبارَكَهُما سِمْعانُ وقالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ ها إنَّ هذا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وقِيامِ كَثِيرِينَ في إسرائِيلَ ولِعَلامَةٍ تُقاوَمُ . وأنتِ أيْضاً يَجُوزُ في نَفْسِكِ سَيْفٌ . لِتُعْلَنَ أفْكارٌ مِنْ قُلوبٍ كَثِيرَةٍ .

(لوقا ٢ : ٢٥ — ٣٥)

إعتقد كل يهودى أن أمته هى الشعب المختار من الله ، ولابد أن تصل هذه الأمة إلى قمة العظمة وإلى ذروة المجد الأرضى ، ولكن بدون يد أو واسطة بشرية. كما كانوا يؤمنون أن أمتهم لابد أن تصبح سيدة العالم، فتفرض سلطانها على العالم الأجمع وتسود على كل ممالك الأرض . وآمنوا أيضاً أنه سيولد شخص عظيم من نسل داود يعيد لهم مجد أمتهم الغابر ويعطيها المكانة المرموقة اللائقة بها . وقد كان الفكر السائد عند بعضهم ،أن الله نفسه سيتنازل بقوة فوق الطبيعية ليرفعهم ويسمو بأمتهم ، وهكذا ساروا مسافات شاسعة مع الخيال المفعم بالحماس والتعصب. لكن البعض الآخر فكر بكل هدوء واتزان، فلم يحلموا بالقوة والجبروت والسلطان والصولجان والجيوش الجرارة والبنود الخفاقة ،بل عاشوا فى حياة الصلاة باستمرار منتظرين مجىء الله . وكان سمعان واحداً منهم ، يصلى وينتظر طيلة حياته ، اليوم الذى فيه يعزى الرب شعبه .

ولهذا القلب المشتاق أتى الله بوعده بالروح القدس أنه لا يموت حتى يرى مسيح الرب . وكم كان فرحه وسروره عندما رأى أن هذا قد تحقق فى الطفل يسوع . وشعر بسعادة تغمر كل كيانه وشرع أيضاً أن ينطلق بسلام . فقال قولته المشهورة التى صارت أغنية الكنيسة فى كل زمان ومكان ، والتى حوت وخاصة فى عدد ٣٤ — عمل يسوع ومصيره فقال :

١ — إن يسوع سيكون سبب سقوط كثيرين — وهذا القول وإن كان من الصعوبة بمكان ، لكنه حوى كل الحق . فلا يدين الله الانسان بل يدين الانسان نفسه . ودينونته هى رد فعل لموقفه بالنسبة للمسيح فلو بادل الإنسان المسيح الحب ، دخل إلى ملكوت الله ، أما إذا قابل محبة المسيح بجمود وجفاء فسيدان . هكذا كم من كثيرين يقبلون المسيح ، وكم من كثيرين أيضاً يوصدون الأبواب فى وجهه ، فيغلق الباب بدوره فى وجوههم .

٢ — إن يسوع سيكون سبب قيام كثيرين — قال سينيكا الفيلسوف (Seneca) «توجد يد تتنازل لترفع الناس من الحياة العتيقة إلى الحياة الجديدة» إن هذه اليد هى يد يسوع وحده القادرة أن ترفع من وهدة الخطية إلى مدارج البر ومن مزالق العار إلى سلم القداسة .

٣ — إن يسوع سيقاوم من كثيرين — هكذا لا يوجد من يقف على الحياد . إما أن تخضع له أو تحاربه . وهنا نرى مأساة الحياة ألا وهى الكبرياء التى تبعدنا دائماً عن حالة الخضوع والتسليم الذى فيه الانتصار والفخار .

كهولة مباركة

وَكَانَتْ نَبِيَّةٌ حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوئِيلَ مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ

فى أيَّامٍ كثيرةٍ. قَدْ عاشَتْ مَعْ زَوْجٍ سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ بُكُورِيَّتِهَا. وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً لا تُفارِقُ الْهَيْكَلَ عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وطَلِبَاتٍ لَيْلاً ونَهاراً. فَهِيَ فى تِلْكَ السَّاعَةِ وقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ المُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فى أُورُشَلِيمَ.

ولمَّا أَكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ نَامُوسِ الرَّبِّ رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ النَّاصِرَةِ. وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ مُمْتَلِئاً حِكْمَةً وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

(لوقا ٢ : ٣٦ — ٤٠)

كانت حنة النبية من ضمن الذين تعودوا العبادة الهادئة فى حياتهم. ونحن لا نعرف عنها سوى ما كتبه لوقا فى هـــذه الأعداد. وفى هذه الشخصية الكاملة نرى:

١ — أرملة عرفت الحزن لكنها لم تكن مرة النفس. فالحزن إما أن يجعل الانسان ملتاعاً متمرماً، عنيداً ثائراً ضد الله والناس، وإما أن يجعله شفوقاً لينـــــاً عطوفاً. إما أن يفقد الإنسان إيمانه وإما أن يثبت هذا الإيمان، ويجعله أكثر مرونة وصلابة فلا يتزعزع كل هذا يتوقف على الصورة التى تنطبع فى أذهاننا عن الله. فاذا تصورناه طاغية أصبحت النتيجة سيئة، أما إذا تصورناه أبا «محباً» فلابد أننا ندرك أن الآب لايعطى أولاده دموعاً لا داعى لها.

٢ — كان عمرها أربعاً وثمانين سنة — كانت عجوزاً لكنها لم تفقد الرجاء . وكثيراً ما تضيع نضارة الجسد وقوته في دروب الكهولة ، إذ تقتل آمال القلب وطموح الحياة ، فيستسلم الانسان لكل شيء ويقبل الأمور على علاتها . وهذا أيضاً يتوقف على الصورة التي في عقولنا عن الله فلو تصورناه بعيداً عنا خابت آمالنا ، أما إذا رأيناه ممسكا بناصية الأمور قريباً منا مهتما بنا تحول كل شيء في حياتنا إلى الأفضل . والآن ربما نسأل كيف صارت حنة إلى ما وصلت إليه ؟ :

١ — بالتعبد المستمر. فلقد قضت زهرة حياتها بل حياتها الزاهرة في بيت الله مع شعبه ، ولقد أعطانا الله الكنيسة أماً لنا في الإيمان ، فإن لم نكن مع جمهور العابدين نحرم أنفسنا من بركات لاحصر لها .

٢ — لم تكف يوما عن الصلاة في السر وفي الجهر . فالصلاة الانفرادية قوية ، والصلاة الجهرية عظيمة أيضاً . وحسنا قال أحدهم « إن الذين يصلون صلاة قوية بإنفراد ، هم الذين يستطيعون أن يصلوا صلاة حارة مع بعضهم ». وهذا هو سر إيمان حنة غير المتزعزع ، إذ كانت على إتصال دائم بالله مصدر القوة . ونحن لو كنا على صلة بالله فلابد أنه يخلق من نقاط الضعف في حياتنا حصونا وقلاعاً قوية.

تحقيق في الفجـــر

وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ. وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي

أُورُشَلِيم ويُوسُفُ وأُمُّهُ لَم يَعلمَا. وإذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفقَةِ ذَهَبَا مسِيرَةَ يَوْمٍ وكانَا يَطلُبَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاء والمَعَارِفِ. ولَمَّا لَمْ يَجِداهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطلُبَانِهِ. وبَعْدَ ثَلثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ جَالساً فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ. فلمَّا أَبصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمهُ يا بُنَيَّ لِمَاذَا فعَلْتَ بِنَا هكَذَا. هُوذَا أَبُوكَ وأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعذَّبَيْنِ. فَقَالَ لهُمَا لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي أَلَمْ تَعلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَبِي. فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا. ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا. وَكَانتْ أُمُّهُ تَحفَظُ جَمِيعَ هٰذِهِ الأُمُورِ فِي قَلْبِهَا. وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ.

(لوقا ٢ : ٤١ — ٥٢)

من الأمور التي لا يخالجني شك فيها أن هذا الفصل من أهم ما رواه الإنجيل. فقد كان من المحتم على كل يهودي بالغ يسكن بعيداً عن أورشليم بمقدار عشرين ميلا، أن يقوم بفرائض الفصح كاملة بحسب الشريعة. كما أن الأمل البالغ لكل يهودي في العالم هو أن يحضر عيد الفصح، ولو مرة في الحياة كلها. وكان الولد اليهودي يعتبر رجلا حين يبلغ الثانية عشرة من عمره فيصير ابن الشريعة، لذا ينبغي عليه أن يقوم بفرائضها كاملة مستوفاة. ولما

كان عمر يسوع اثنتى عشرة سنة ذهب إلى الهيكل لأول مرة فى عيد الفصح . وكم كانت هذه الفرائض مقدسة أمام يسوع ، لدرجة أنه تأخر فى أورشليم عندما ذهب أبواه وأهملاه . وجرت العادة أن يبكر النساء فى الرحيل لأن سيرهن بطىء ثم يرحل الرجال بعدهن ويتقابل الفريقان عند المساء . ولأن هذا الفصح كان الفصح الأول ليسوع فافتكر يوسف أن يسوع مع مريم أمه كما افتكرت مريم أن يسوع مع يوسف . وعندما تقابلا عند المساء لم يجدا يسوع . فرجعا إلى أورشليم ليبحثا عنه . وكان قد تعود رؤساء اليهود أن يجتمعوا فى الهيكل فى العيد ، ليشرحوا ويفسروا الشريعة للراغبين فى شرحها والتعمق فى تفاصيلها . ودخل يسوع وسط هؤلاء ، ووقعت أنظار يوسف ومريم عليه وسط المعلمين ، وقد كان هذا من حق كل يهودى أن يسأل ويتعلم من معلميه . هكذا كان يسوع يصغى بانتباه ويسأل عن كل شىء . وعندما سئل من والديه « لماذا فعلت بنا هكذا ؟ » أجابهم : « ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى » . وقد كان بالحق ابن الله ، لكنه لم يحتقر أبويه ، بل ذهب معهما وكان خاضعا لهما . فبالرغم أنه ابن الله المتجسد ، فقد صار أيضا ابناً حقيقياً لأبويه الأرضيين . لذلك علينا أن لا نحتقر الربط الأرضية ، بل وجب علينا كمؤمنين أن نقوم بالواجبات البشرية باخلاص فائق وعلى أكمل وجه .

الأصحاح الثالث

بشير الملك

وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سَلْطَنَةِ طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ إِذْ كَانَ بِيلَاطُسُ ٱلْبُنْطِيُّ وَالِيًا عَلَى ٱلْيَهُودِيَّةِ وَهِيرُودُسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى ٱلْجَلِيلِ وَفِيلُبُّسُ أَخُوهُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى إِيطُورِيَّةَ وَكُورَةِ تَرَاخُونِيتِسَ وَلِيسَانِيُوسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى ٱلْأَبِلِيَّةِ. فِي أَيَّامِ رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ حَنَّانَ وَقَيَافَا كَانَتْ كَلِمَةُ ٱللهِ عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي ٱلْبَرِّيَّةِ. فَجَاءَ إِلَى جَمِيعِ ٱلْكُورَةِ ٱلْمُحِيطَةِ بِٱلْأُرْدُنِّ يَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ ٱلتَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ ٱلْخَطَايَا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ أَقْوَالِ إِشَعْيَاءَ ٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ صَوْتُ صَارِخٍ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ أَعِدُّوا طَرِيقَ ٱلرَّبِّ ٱصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ وَتَصِيرُ ٱلْمُعْوَجَّاتُ مُسْتَقِيمَةً وَٱلشِّعَابُ طُرُقًا سَهْلَةً. وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلَاصَ ٱللهِ.

(لو ٣: ١—٦)

إعتبر لوقا ظهور يوحنا المعمدان محوراً يدور حوله التاريخ ، لذلك سجله بما لا يقل عن ستة طرق مختلفة :

١ — كان طيباريوس خلفاً لأغسطس ثانى أباطرة الرومان وحدث ذلك فى سنة ١١ أو ١٢م تقريباً. وظل طيباريوس شريكا لأغسطس فى الحكم حتى سنة ١٤م حيث انفرد بحكم الإمبراطورية، فتكون السنة الخامسة عشرة من حكمه هى ٢٨—٢٩ م . ويؤرخ لوقا ظهور يوحنا المعمدان على أساس التاريخ العالمى للدولة الرومانية .

٢ — يعطينا لوقا ثلاثة تواريخ تالية تعطى ضوءاً كافياً على الحكم السياسى فى فلسطين . وكلمة رئيس ربع تعنى حاكم على جزء من أربعة أجزاء . وكلنا نعرف أن هيرودس الكبير مات سنة ٤ ق . م بعد أن حكم أربعين سنة وقسم المملكة بين ثلاثة من أبنائه ، ومنذ اللحظة الأولى وافق الرومان على التقسيم وكان كالآتى : (ا) صار هيرودس أنتيباس حاكماً على الجليل الشمالى وبيرية وملك من ٤ق. م إلى ٣٩ م وقد عاش يسوع فى أيام هيرودس انتيباس هذا ، وخصوصاً فى حكمه على الجليل . (ب) أخذ فيلبس أيطورية وتراخونيتس وحكم من ٤ ق.م إلى ٣٣ وسميت قيصرية فيلبس نسبة لاسمه لأنه هو الذى بناها (جـ) ترك هيرودس الكبير شمال اليهودية والسامرة وأدوم لأرخيلاوس ، وكان ملكا فاسداً وشريراً حتى أن اليهود طلبوا من الرومان نقله ، ولتوالى موجات الاضطرابات العنيفة التى حدثت اضطر الرومان لتعيين حاكم آخر بدلا منه . ونحو ذلك الوقت حكم بيلاطس على اليهودية من ٢٥ — ٣٢م . وبهذا الوصف الدقيق يعطينا لوقا صورة كاملة لتقسيم مملكة هيرودس الكبير بعد موته .

٣ — لا نعلم شيئاً يذكر عن ليسانيوس . (٤) لم يكتف لوقا بسرد حالة فلسطين السياسية لكنه أوضح وأفصح لنا عن حالتها من الوجهة الدينية . فذكر أن ظهور يوحنا المعمدان كان معاصراً لحنانيا وقيافا رئيس الكهنة . و-

يكن فى يوم ما رئيسان للكهنة في آن واحد ، لكن لوقا قصد أن يظهر وجود رئيس كهنة معين من قبل الحكومة وآخر معين من قبل الشعب. وقد كانت رئاسة الكهنوت تؤخذ بالوراثة قبل ذلك العهد ولشخص واحد مدى الحياة ، ولكن فى عهد الحكومة الرومانية أصبح منصب رئيس الكهنة موضع تأثير للدسائس والمؤآمرات ونتج عن ذلك أنه قام مايزيد عن ٢٨ رئيس كهنة في المدة مابين ٣٧ ق . م إلى ٢٦ م . أما حنان فكان رئيس الكهنة الحقيقى من سنة ٧ إلى ١٤ م.وفى ذلك الوقت (وقت يوحنا المعمدان) كان حنان خارجا عن رئاسة الكهنوت وخلفه مالا يقل عن أربعة من أولاده وأما قيافا فكان زوج ابنته ، ومع أنه كان رئيس الكهنة الرسمى إلا أن حنان كان القوة المنفذة وله اليد الطولى فى كل أمر من وراء الستار . ولذلك قدموا يسوع إليه أولا للمحاكمة (يو ١٨ : ١٣) ، ولهذا أيضاً ذكر لوقا اسم حنان مع قيافا لأن قيافا رئيس الكهنة الرسمى ، وحنان صاحب النفوذ الكهنوتى فى البلاد .

يقتبس لوقا الآيات من ٤—٦ من إشعياء ٤٠ :٣—٥ . وجرت عادة الملوك فى الشرق ، أن يرسل الملك الذى يريد أن يقوم بزيارة ما لمنطقة تحت حكمه رسولا أمامه ليخبر من يهمهم الأمر، ولإعداد المكان ولتهيئته تهيئة تليق بمقام الملك والركب الملكى . ولذلك يعتبر يوحنا المعمدان بشيراً أو رسولا للملك السماوى يسوع كارزاً بمعمودية التوبة . فقد كانت رسالته تتضمن فى إعداد القلوب ، وتطهير الحياة من كل شائبة ، لتصبح لائقة لدخول يسوع الملك . فهل حياتنا نظيفة نقية طاهرة تصلح لأن يراها الملك ويسر بها .

وَكانَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا لِيَعْتَمِدُوا مِنْهُ يَا أَوْلَادَ ٱلْأَفَاعِي مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ ٱلْغَضَبِ ٱلْآتِي . فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ . وَلَا تَبْتَدِئُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ لَنَا إِبْرٰهِيمُ أَبًا . لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ ٱللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحِجَارَةِ أَوْلَاداً لِإِبْرٰهِيمَ . وَٱلْآنَ قَدْ وُضِعَتِ ٱلْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ . فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي ٱلنَّارِ . وَسَأَلَهُ ٱلْجُمُوعُ قَائِلِينَ فَمَاذَا نَفْعَلُ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيْسَ لَهُ وَمَنْ لَهُ طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هٰكَذَا . وَجَاءَ عَشَّارُونَ أَيْضاً لِيَعْتَمِدُوا فَقَالُوا لَهُ يَا مُعَلِّمُ مَاذَا نَفْعَلُ . فَقَالَ لَهُمْ لَا تَسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ . وَسَأَلَهُ جُنْدِيُّونَ أَيْضاً قَائِلِينَ وَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ . فَقَالَ لَهُمْ لَا تَظْلِمُوا أَحَداً وَلَا تَشُوا بِأَحَدٍ وَٱكْتَفُوا بِعَلَائِفِكُمْ .

وَإِذْ كَانَ الشَّعْبُ يَنْتَظِرُ وَٱلْجَمِيعُ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ عَنْ يُوحَنَّا لَعَلَّهُ ٱلْمَسِيحُ . أَجَابَ يُوحَنَّا ٱلْجَمِيعَ قَائِلاً أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ وَلٰكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ٱلَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحُلَّ

سُيُورَ حِذَائِهِ . هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ ٱلْقُدُسِ وَنَارٍ . ٱلَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ وَيَجْمَعُ ٱلْقَمْحَ إِلَى مَخْزَنِهِ . وَأَمَّا ٱلتِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لَا تُطْفَأُ . وَبِأَشْيَاءَ أُخَرَ كَثِيرَةٍ كَانَ يَعِظُ ٱلشَّعْبَ وَيُبَشِّرُهُمْ .

(لوقا ٣ : ٧ — ١٨)

فى هذه الأعداد تظهر رسالة المعمدان فى أوضح وأجلى بيان وتبيان . كما يظهر معها الفرق بينه وبين يسوع. ذلك لأن رسالة المعمدان مهما سمت ليست إنجيلا، وليست الأخبار السارة المفرحة بل أخبار الخوف والتهديد والوعيد متمشية مع الحياة التى عاشها ، ومصطبغة بصبغة المكان الذى أواه . فقد كان يوحنا يقطن البرية التى لاتنبت إلا الشوك والحسك، ولا يرى أمامه إلا الوهاد والنجاد تختفى الأفاعى والحيات فى شقوق غائرة فيها. فإذا ما أضرم ناراً وازدادت النار توهجاً ظهرت الحيات مندفعة بفعل اللهب . لذلك شبه الناس الذين أتوا ليعتمدوا منه بالأفاعى . وقد اعتقد اليهود فى ذلك الوقت اعتقاداً راسخاً كما أشرت سابقاً أنهم شعب الله المختار . ومع أن الله سيدين الأمم إلا أنه سيعاملهم معاملة خاصة فينقذ اليهودى من الدينونة نسبة لأنه ابن لابراهيم لذلك أعلن لهم يوحنا أن نسبتهم لابراهيم لا تفيدهم شيئا ، لأن حياة الجسد لاتنجى من الدينونة . ولنا فى ، رسالة يوحنا ثلاثة أمور:

١ — ينبغى أن يعطى الغنى الفقير مما عنده من ملبس وغذاء . وهذا هو الإنجيل الاجتماعى ، وعليه فإن الله لا يبرىء الشخص الذى يرتع شبعاً بينما أخوه الذى بجواره يموت جوعاً .

٢ — ينبغى أن يكون الإنسان أميناً مخلصاً فى عمله وأن يدرك إيماناً أن ذلك عبادة لله . وواجب الإنسان هو خدمة الله الذى خلقه لخدمته . توجد ترنيمة تقول : « هناك ملك ضابط الكل ، سيأتى بجيوش جرارة فيجدنى أفلح فى قطنى . . ربما يظن الناس إنى معذب ونفسى مرة حتى الموت : لكننى عندما أتألم أذكر ذاك الذى أبغضوه بلا سبب وصلبوه . . لكنه سيأتى منتصراً غالباً فى موكب من الملائكة الأطهار والقديسين الأبرار وهم يرنمون ويهتفون أوصنا . . سيأتى الذى أنكره الناس ويرانى ساجداً فى قطنى عند مجيئه . . »

٣ — أعلن يوحنا للناس أنه الرسول الوحيد الذى أرسله الرب لتهيئة الطريق ثم يأتى الرب للدينونة ممسكا رفشه بيده (رفشه أى المذراة التى تذرى بها الحنطة) ، وكما أن المذراة تفصل التبن من الحنطة هكذا يفصل الرب الأشرار من الأبرار . . هذه هى الصورة التى قدمها يوحنا للدينونة العتيدة ، ولكن لاخوف على المؤمن الذى يقوم بعمله خير قيام ، والذى يسلك حسب قول الرب .

لقد كان يوحنا بالفعل واعظاً قديراً وخطيباً ممتازاً . امتدح أحدهم مرة شالمرز Chalmers الواعظ المشهور عند سماعه إحدى مواعظه ، فأجابه شالمرز على الفور « هل عملت بها » . وواضح أن يوحنا تكلم عن الأعمال الصالحة المرضية بتفصيل وإسهاب . . وبالرغم أنه لم يتكلم عن نظريات لاهوتية إلا أنه تكلم باستفاضة عن الحياة وكيف تكون .

القبض على يوحنا

أَمَّا هِيرُدُسُ رَئِيسُ ٱلرُّبْعِ فَإِذْ تَوَبَّخَ مِنْهُ لِسَبَبِ هِيرُودِيَّا ٱمْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ وَلِسَبَبِ جَمِيعِ ٱلشُّرُورِ ٱلَّتِي كَانَ هِيرُودُسُ يَفْعَلُهَا . زَادَ هٰذَا أَيْضاً عَلَى ٱلْجَمِيعِ أَنَّهُ حَبَسَ يُوحَنَّا فِي ٱلسِّجْنِ .

(لو ٣ : ١٩ و ٢٠)

كان يوحنا واعظاً للبر واضح العبارات ، شديد اللهجة ، حتى وقع فى الشدائد واعتقله هيردوس وروى يوسيفوس المؤرخ اليهودى أن سبب الاعتقال هو خوف هيرودس من تأثير يوحنا الشديد على الناس وطاعتهم إياه ، فيقومون بثورة ضده . لكن كتبة العهد الجديد يقدمون سبباً آخر أكثر قوة ومنطقاً لأنه يختص ويمس شخصية هيرودس نفسه إذ قد تزوج هيروديا زواجاً غير شرعياً فوبخه يوحنا على ذلك . ولقد كان هيرودس انتيباس يحب كثرة الزواج كأبيه ، لأنه ابن هيردوس الكبير من زوجته ملتاك malthake . وكانت هيروديا نفسها ابنة ارستوبولوس بن هيرودس الكبير من مريمن mariamne وتسمى عادة هسمونيان Hasmonean . وقسم هيرودس مملكته بين أرخيلاوس وهيرودس أنتيباس وهيرودس فيلبس . ولكن يوجد ابن رابع لهيرودس الكبير اسمه هيرودس من مريمن أخرى وكانت ابنة رئيس كهنة . ولم يكن للابن الرابع قسم يحكم عليه مثل أخوته ، فعاش فى روما كمواطن رومانى ، وتزوج هيروديا الذى يعتبر عما لها لأنه أخو أرستوبولوس وكلاهما أولاد هيرودس من أمين مختلفتين . وعندما زار هيرودس أنتيباس روما عمل على إغراء هيروديا زوجة أخيه وتزوجها . وكانت تعتبر أختاً له لأنها امرأة أخيه

كما أنها من ناحية أخرى ابنة أخيه ارستوبولوس من امرأة أخرى . وكان هذا مخالفاً للشرع اليهودى وللرأى العام ، فوبخه يوحنا بأسلوب صارم قاس، وكم كان من الصعب توبيخ حاكم شرقى ، فثار لكرامته وثأر منه فاعتقله وسجنه فى قلعة مكاريوس على شاطىء البحر الميت ، وأخيراً قطع رأسه ليهدأ من ثورة هيروديا العارمة ويسكن من غضبها (مت١٤: ٥-١٢ ، مر٦: ١٧-٢٩).
من هذا نرى إن إعلان الحق خطر خطير ، ومن يتمسك بالحق قد يصل به الأمر للسجن أو المقصلة ، لكنه صاحب الانتصار الأخير . هدد مرة نائب اسكتلندا « ايرل مارتن » Earl of Marton المصلح الكنسى اندرو ملفيان Andrew Melville : قائلا « لا يمكن أن يعم البلاد الهدوء أو يسودها الاستقرار إلا بعد أن يشنق ستة منكم أو ينفوا بعيداً عن البلاد » فأجابه ملفيان فى إيمان عنيد وفى شجاعة نادرة : « هدد ماشاء لك التهديد . . أما أنا فيستوى عندى أن يتعفن جسدى بعد موتى فى باطن الأرض أو يتمزق على خشب مقصلتك . . ومهما فعلت فليس فى مقدورك أن تشنق حق الله أو تنفيه فإن المجد لله أولا وأخيراً » . ولقد قال الفيلسوف أفلاطون : « أن تحتمل الخطأ أشرف لك من أن تفعله» . فأيهما أفضل لك إذن أن تكون هيرودس أنتيباس أم يوحنا المعمدان ؟ .

صوت السماء

وَلَمَّا ٱعْتَمَدَ جَمِيعُ ٱلشَّعْبِ ٱعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضاً . وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي ٱنْفَتَحَتِ ٱلسَّمَاءُ . وَنَزَلَ عَلَيْهِ ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ قَائِلاً أَنْتَ ٱبْنِي ٱلْحَبِيبُ بِكَ سُرِرْتُ .

(لو ٣ : ٢١ و ٢٢)

كان ذهاب يسوع ليعتمد من يوحنا مدعاة لحيرة عقول المفكرين فى الكنيسة فى كل عصر ، ومصدراً لتفكيرهم الطويل . فلقد كانت معمودية يوحنا للتوبة ولمغفرة الخطايا ، إذن لماذا قدم يسوع نفسه لهذه المعمودية وهو المنزه عن كل خطأ له المجد ؟ وقد أجاب بعض رجال الكنيسة الأولى أنه فعل هذا مرضاة لأمه وإجابة لملتمسها، لكن هذا ليس بالدليل القاطع أو البرهان الأكيد . أما عين الحقيقة فهو أن فى حياة كل إنسان نقاطاً تدور عليها ظروف حياته ، وهكذا كانت حياة يسوع . فلقد كان ذهابه إلى الهيكل هو النقطة العظمى الأولى فى حياته ، عندما كان عمره اثنتا عشرة سنة حين أجاب أبويه : « ينبغى أن أكون فى ما لأبى » . وفى وقت ظهور يوحنا كان عمره ثلاثين سنة (لو ٣ : ٢٣) أى مضت على زيارة الهيكل ١٨ سنة تقريباً .. ولا بد أنه كان يفكر بإمعان فى الرحيل من الناصرة ، ويذهب لتأدية عمله العظيم ، ذلك اليوم الذى ظل ينتظره طيلة حياته . ولما ظهر المعمدان وتجمهر الناس ليسمعوه ويعتمدوا منه ، امتلأت البلاد بموجة دينية حارة لم يسبق لها مثيل ، عندئذ رأى يسوع أن ساعة عمله قد جاءت . وذهب إلى المعمدان ليعتمد منه ، لا لأنه بحاجة إلى التوبة ، لكن ليبين للناس أن ظهور يوحنا علامة من الله له لدعوته للعمل ، وقد كان عمله الأول أن يظهر نفسه للناس أثناء بحثهم عن الله.

وعند المعمودية حدث منظر عجيب ، فقد تحدث الله معه قبل بدئه فى عمله العظيم . وقد أعلن الله رضاه بابنه وببدء خدمته حين قال له « أنت ابنى الحبيب بك سررت » (مز ٢ : ٧) . وقد أظهر الله صفته ووظيفته الملكية كملك ممسوح فى القول « الذى به سررت » والمأخوذ من (إشعياء ٤٢ : ١) ، أما وصفه كخادم وكعبد الله المتألم فتتجلى صورته بوضوح فى إشعياء ٥٣ وبذلك حقق يسوع بمعموديته أنه المسيا الآتى ، وكشف عن وظيفته كملك ممسوح ، وكعبد الله

الذى سيرفع على الصليب . ومن هذا نرى بل نيقن أن الصليب لم يأت بغتة ، لكن يسوع رآه منذ اللحظة الأولى وكان مدركا له تمام الادراك، وماالمعمودية إلا إشارة تعلن طاعته الكاملة للآب وقبوله التام لحمل الصليب والموت .

سلسلة نسب المسيح

وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنُ يُوسُفَ بْنِ هَالِي . بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي بْنِ مَلْكِي بْنِ يَنَّا بْنِ يُوسُفَ . بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ عَامُوصَ بْنِ نَاحُومَ بْنِ حَسْلِي بْنِ نَجَّاي . بْنِ مَآثَ بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ شِمْعِي بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوحَنَّا بْنِ رِيسَا بْنِ زَرُبَّابِلَ بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ بْنِ نِيرِي . بْنِ مَلْكِي بْنِ أَدِّي بْنِ قُصَمَ بْنِ أَلْمُودَامَ بْنِ عِيرٍ . بْنِ يُوسِي بْنِ أَلِيعَازَرَ بْنِ يُورِيمَ بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي . بْنِ شِمْعُونَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوسُفَ بْنِ يُونَانَ بْنِ أَلِيَاقِيمَ . بْنِ مَلَيَا بْنِ مَيْنَانَ بْنِ مَتَّاثَا بْنِ نَاثَانَ بْنِ دَاوُدَ . بْنِ يَسَّى بْنِ عُوبِيدَ بْنِ بُوعَزَ بْنِ سَلْمُونَ بْنِ نَحْشُونَ . بْنِ عَمِّينَادَابَ بْنِ أَرَامَ بْنِ حَصْرُونَ بْنِ فَارِصَ بْنِ يَهُوذَا . بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحٰقَ بْنِ إِبْرٰهِيمَ بْنِ تَارَحَ بْنِ نَاحُورَ . بْنِ سَرُوجَ بْنِ رَعُوَ بْنِ فَالَجَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَحَ . بْنِ قِينَانَ بْنِ أَرْفَكْشَادَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحِ بْنِ لاَمَكَ . بْنِ مَتُوشَالَحَ بْنِ أَخْنُوخَ بْنِ يَارِدَ بْنِ مَهْلَلْئِيلَ

بْنِ قِينَانَ . بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيتِ بْنِ آدَمَ ٱبْنِ ٱللهِ .

(لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٨)

فى هذا الفصل نرى بدء خدمة يسوع ، وقد كان فى الثلاثين من عمره . ومن هنا يلح على أفكارنا سؤال هام : لماذا مكث يسوع فى الناصرة طوال هذا العمر وهو مخلص العالم ؟ وأغاب الظن ـ حسب رأى البعض ـ أنه مكث فى الناصرة لإعالة عائلته لموت يوسف المبكر . وسواء كان هذا الرأى صحيحاً أو غيرصحيح فعلينا أن نذكر الحقائق الثلاث الآتية :

(١) كان على يسوع أن يقوم بواجباته العائلية قبل أن يقام من قبل الله للخلاص ، وخير مثال لذلك ما قاله هو بنفسه فى (مت ٢٥ : ٢١ ، ٢٣)وكان هذا من وحى إختباره الشخصى . قال سرجيمس بارى Jomes Barrie عند موت أمه « إننى عندما أنظر إلى الماضى لا استطيع أن أرى شيئاً صغيراً لم يُفعل » هكذا قد تمم يسوع كل أمر صغير لذلك أعطى له أكبر وأعظم وأجلّ عمل فى العالم . (٢) كانت الفرصة سانحة لكى يُظهر يسوعَ تعاليمه إذقد جال يصنع خيراً . لذلك رأى أن يقوم بواجباته العائلية على خير وجه أولاً ، بعد ذلك يقدم للناس تعاليم مشفوعة ومؤيَدة عملياً فى حياته . كتب تولستوى مّرة عن المحبة لكن زوجته قالت محتدة ومحتجة « ليس كلامه حقاً ، فإن شفقته وعطفه قولا لا عملا ، وتاريخه يرينا كيف ساعد عماله على حمل أوانى الماء لكنه لم يجعل زوجته تتذوق طعم الراحة والسعادة . وفى مدة لاتقل عن ٣٢ عاماً لم يقدم لأحد صغاره كأساً من الماء بيده ، ولم يجلس بجوار صغيرة له لحظة واحدة » أما يسوع فقد كانت حياته وأعماله البرهان القاطع والقول الفصل لصدق رسالته وقوة تعاليمه . (٣) عاش يسوع فى الناصرة ولمس كيف يعيش الناس ، وعرف كيف يتصرف أمام مشكلات الحياة . كيف يعامل بلباقة

الذين يترددون على محل عمله ، بينهم اللطيف وبينهم الفظ بينهم المبتسم وبينهم الغضوب. ومن اختباراته فى حياته أحس بمشاعر وأحاسيس من حوله وبذلك استطاع أن يساعدهم بكل شىء ، واستطاع أن يضع يده بثقة على مكان الداء فيقدم الدواء المناسب .

كان اليهود مولعين بمعرفة سلسلة النسب . وفى هـذا الفصل أبرز لنا لوقا سلسلة نسب يسوع . واهتم اليهود بالذات بسلسلة نسب الكهنة ليبرهنوا أنهم من نسل هرون ، وإلا فإنهم يفقدون مركزهم الكهنوتى ، كما حدث فى أيام عزرا ونحميا مع الكهنة الذين لم يظهروا بيان نسبتهم (عزرا ٢ : ٦١ ـ ٦٣ ، نحميا ٧ : ٦٣ ـ ٦٥) . وعندما نقارن لوقا مع مت ١ : ١ - ١٧ نرى أن لوقا وحده هو الذى يذكر السلسلة بين آدم وإبراهيم أما من ابراهيم إلى داود نجدها فى لوقا ومتى على السواء لكن الإختلاف حدث فى السلسلة والمدة من داود إلى يوسف . وحاول قارئو العهد الجديد أن يفسروا هذا الإختلاف فقالوا :

١ — أعطانا متى السلسلة الملوكية بعكس لوقا الذى أعطانا السلسلة الكهنوتية .

٢ — هناك رأى قديم يقول إن متى بيّن سلسلة يوسف بينما تكلم لوقا عن سلسلة مريم .

٣ — فى مت ١ : ١٦ نرى أن أب يوسف هو يعقوب أما فى لو ٣ : ٢٣ نراه هالى والسبب هو أن الشريعة اليهودية (تث ٢٥ : ٥) قد قضت بالنسبة لزواج الأخ بزوجة أخيه المتوفى أن يفعل الأخ هذا العمل ليقيم نسلا لأخيه حتى لا ينقرض النسل ، وينسب الابن للأب الأول أو الثانى . ولذلك يوجد رأى يقول إن أم يوسف تزوجت مرتين ، وعلى هذا يكون يوسف بن هالى أى الزوج الثانى ، ولكن فى نظر الشريعة هو ابن يعقوب الزوج الأول المتوفى .

وعلى هذا أيضاً يكون هالى ويعقوب من أم واحدة وأبوين مختلفين . وأب يعقوب متسلسل من داود وبعده سليمان ، وأب هالى متسلسل من داود وبعده ناثان . وبهذا الشرح المستفيض والرأى الصائب تكون السلسلتان صحيحتين لاخلاف ولا إختلاف بينهما ومن قراءة سلسلة نسب يسوع التى يقدمها لوقا نشهد أمرين :

١ — إنها تظهر أن يسوع إنسان كامل ، رجل بين الرجال ، وقد صار إنساناً ليخلص البشر الذى هو منهم ، فهو ليس خيالاً أو نصف إله .

٢ — ذكر متى النسب إلى إبراهيم فقط لكى ينسب يسوع لليهود ، أما لوقا فقط ذكر نسب يسوع إلى آدم فلم ينسبه لأب اليهود بل نسبه لأب كل العالم وبذلك أزال الحدود الوراثية وتخطى كل الحواجز ليظهر أن يسوع للبشرية جمعاء .

أَمَّا يَسُوعُ فَرَجعَ مِنَ الأَرْدُنِ مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقدُسِ وَكَانَ يُقْتَادُ بالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ . أَرْبَعِينَ يَوماً يُجَرَّبُ مِنْ إِبْليسَ . وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئاً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيراً . وقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ لِهٰذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزاً . فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلا مَكْتُوبٌ أَنْ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ . ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ . وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ لَكَ أُعْطِي هٰذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ . فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ . فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلٰهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ . ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَأَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلَ . لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ يُوصِي مَلائِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ

يَحْفَظُوكَ . وَأَنَّهُمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ . فَأَجَابَ يَسُوع وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ قِيلَ لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ . وَلَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَه إِلى حِين .

(لوقا ٤ : ١ — ١٣)

كانت حياة السيد المسيح غاصة بحوادث عجيبة وبارزة .. وفى هذا الفصل بالذات سنرى حادثة فاقت كل مثيلاتها أوسابقاتها عجباً وتفوقت عليهن بروزاً ووضوحاً . فلقد رأيناه عندما كان عمره اثنتا عشرة سنة حين أعلن جهاراً أنه ينبغى أن يكون فى ما لأبيه . وتمتعنا به عندظهور يوحنا المعمدان عندمادقت بل دوت ساعته ، وأعلن الآب موافقته ، وأشهر رضاه أثناء معموديته حين قال : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » . وفى هذا الوقت ابتدأت خدمة يسوع الجهارية . وعند مايريد الإنسان أن ينفذ إلى هدفه وجب عليه أن يختار أفضل الطرق لوصوله . هكذا أرانا يسوع فى قصة تجربته الطريق التى اختارها لربح النفوس لله، فقد رفض طريق القوة والعظمة والسلطان وارتضى طريق الآلام والصليب ، وقبل أن ندخل فى تفاصيل ودقائق تجربة يسوع علينا أن نلاحظ أمرين :

١ — أن قصة التجربة من أقدس القصص، وذلك لأنها أتت من فم الطاهر مباشرة لا من مصدر آخر.. فهو بنفسه الذى يروى ما حدث له.

٢ — كان لا بد أن يظهر كل سلطان ضد إبليس وقواته الغاشمة فى وقت التجربة . وهذا ماظنه المجرب إذ تصور أنه أمام إنسان يعمل المدهشات والعجائب، ولذلك أتاه بتجارب كدس فيها كل مايملك من عدة وعتاد لكن المسيح وقف أمام هذه التجارب وواجهها ، كانسان يملك قوة لا مثيل لها لحارب

وانتصر . وقبل أن نبدأ فى سرد قصة التجربة ، يتعين علينا أن نلقى بعض الضوء على المكان الذى حدثت فيه وهو البرية. فقد وقع الجزء المعمور فى السهل الأوسط كأنه السلسلة الفقرية فى جنوب فلسطين. وبين السهل والبحر الميت كانت صحراء موحشة قاحلة ، يبلغ طولها خمسة وثلاثين ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا تسمى « جشمون » ومعناها « خراية » تتخللها التلال كأكوام ترابية مزودة بالأحجار الجيرية المحروقة والصخور العالية المدببة . أما أرضيتها فكانت تتميز بحمرة داكنة ، مجوفة كحوافر الخيل ، متقدة كتنور متوهج . وكانت تنحدر تجاه البحر الميت بارتفاع قدره ١٢٠٠ قدم . هنا فى هذه الخرابة المجدبة الجرداء جرب يسوع . ولا يجب أن نتصور أن التجارب الثلاث توالت كفصول فى رواية تمثيلية ، لكنها كانت قاسية مروعة ، لذلك قضى يسوع أربعين يوماً منفرداً يناضل ويصارع ليجد طريقة يربح بها النفوس لله . ثم ثارت الحرب بينه وبين العدو فى معارك دامية طويلة ، لم تنته إلا بالصلب إذ تركه المجرب إلى حين.

١ — كانت التجربة الأولى أن يحوّل الأحجار إلى خبز. ويقال إن البرية لم تكن من الرمال فقط بل كان يتخللها وكما رأينا — قطعاً صغيرة من الحجر الجيرى تشبه الأرغفة . لذلك قال المجرب ليسوع : إن أردت أن يتبعك الناس، فاظهر قوتك فى إعطائهم عطايا مادية « أى أن يرشى الناس ماديا ليتبعوه. وأما يسوع فأجابه بما ورد فى (تث ٨ : ٣) « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الانسان » وبذلك أظهر أن حياة الإنسان لن تستند على المادة مطلقاً .. ومن تعاليم السيد النازلة من فيه تظهر أمامنا حقيقة خالدة ، وهى أن المسيحية لم تكن فى يوم ما بهدف تغيير الظروف ، مع أن صوت الكنيسة يجب أن يساند كل من يصبو لحال أفضل . لكن غرضها الحقيقى وهدفها الأسمى هو خلق رجال مقدسين وهم بدورهم سيغيرون الظروف ويبدلون الأحوال .

٢ — في التجربة الثانية نتخيل يسوع واقفاً على قمة جبل مرتفع يرى منه كل العالم المتمدين، ويقف بجواره المجرب قائلا له: « أسجد لى وأعطيك كل هذه » .. وماأصعب هذه التجربة بل ما أخطرها إذ كأنى بالشيطان يقول للمسيح: « إن الناس جميعاً تحت قبضتى وطوع بنانى فإذا اتفقت معى سيتبعك الجميع ». لكن يسوع أجابه بلغة يظهر فيها مدى وعيه وإدراكه لقصده فيقول: « إن الله هو الله، والحق هو الحق، والباطل هو الباطل، ولا إتفاق مع الشر فى الحرب » وللمرة الثانية يقتبس يسوع من (تث ٦ : ١٣ ، ١٠ : ٢٠) إن تجربة يسوع مازالت مستمرة، إذ يرى البعض أن ربح الناس يتأتى بالإتفاق مع العالم. وقد قال ج. ك. تشترتون Chestenrton فى هذا الصدد «يميل العالم أن يرى الأشياء فى لون لاهو أبيض ولا هو أسود، أما المسيحى فيرى الأشياء كما هى فى نورها وفى ظلالها » . وقال كارليل أيضاً مؤيداً ومؤكداً « ينبغى أن يتشبع المسيحى بالإقتناع بالجمال اللانهائى للقداسة بقدر إقتناعه بدناءة الخطية » .

٣ — أما فى التجربة الثالثة فإننا نتصور يسوع واقفاً على جناح الهيكل فى برج سليمان الملكى، الذى يرتفع عن وادى قدرون بمقدار ٤٥٠ قدماً. وأراده المجرب أن يلقى بنفسه، لكن يسوع أجابه: «لا تجرب الرب إلهك» (تث ٦ : ١٦) . وكأنه يريد أن يعلم الناس أن يحكموا على الأمور حكماً سليما صائباً، إذ يقول « لا تطلب من قوة الله أشياء ليست سليمة وغير مهدفة». وقد يربح المسيح وقتياً مشاعر الناس عندما يلقى بنفسه دون أن يصاب بأذى لكن هذا الشعور سرعان ما يطير ويتبخر وينتهى. فقد كشف المسيح عن الطريق الوحيد لربح النفوس وهو طريق الخدمة والآلام ، التى تؤدى إلى الصليب، والتى تختم بإكليل النصر وتيجان الفخار.

ربيع حياة الجليلى

وَرَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى ٱلْجَلِيلِ وَخَرَجَ خَبَرٌ عَنْهُ فِي جَمِيعِ ٱلْكُورَةِ ٱلْمُحِيطَةِ . وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ مُمَجَّداً مِنَ ٱلْجَمِيعِ .

(لوقا ٤ : ١٤ ، ١٥)

حالما ترك يسوع البرية كان عليه أن يأخذ قراراً لنفسه ، فبعد أن عرف أن ساعته قد أتت وأن وقته الذى كان يستعد له بكل وسيلة قد جاء ، رسم طريق الخدمة . وهنا قرّر أن يبدأ خدمته . (١) ابتدأ بالجليل التى هى شمال فلسطين وتبلغ مساحتها ٥٠ ميلا من الشمال إلى الجنوب وعشرون ميلا من الشرق إلى الغرب . ومعنى اسمها « دائرة » من الكلمة العبرية Iila. وقد أخذ من موقعها لأنها تتوسط بلاد أممية متعددة يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم . وكان ذلك له أثره الكبير فى ديانة شـــعبها إذ تسللت إليهم أفكار الأمم ومعتقداتها ، فطغى ذلك على طهارتهم ونقاوة إيمانهم . وكانت الجليل مزدحمة جداً بالسكان ، وقد قال فيها يوسيفوس الذى كان يوماً ما حاكماً لها ، إن بها ٢٠٤ قرية أو مدينة لا يقل عدد السكان فى أى منهـا عن ١٥٫٠٠٠ نسمة . وبذلك لا نكاد نصدق أن عدد سكانها زاد عن ثلاثة ملايين نسمة . أما أرضها وتربتها فكانت خصبة للغاية ، لدرجة أن هناك مثلا يقول « من السهل عليك أن تزرع ٦٠٠٠ شجرة زيتون فى الجليل من أن تربى طفلا فى اليهودية » . وقد كانت بحق جنة فلسطين ومفخرتها نسبة لمناخها العجيب ومياهها المتوفرة ، وتعرف خصوبتها من كثرة وغزارة الأشجار التى تنمو بهـا من الكروم والزيتون والتين والبلوط والجوز والبطم والنخيل والأثل والبلسم والجميز وشجر الغار والآسى والموز والرمان والنارنج والعديد من الأشجار الدائمة الخضرة .

وكان الجليليون هم سكان القرى الفلسطينية ، ولقد قال عنهم يوسيفوس « إنهم يحبون الاختراعات ، مغرمون بالتغيير ، يسرون بالفن ، مستعدون أن يسيروا وراء أى قائد ثورى . مزاجهم حاد ومتأهبون للمشاجرات دائماً ، ولم تعوزهم الشجاعة أبداً ، يفضلون الكرامة على الربح » . هذا هو وصف البلاد التى استهل فيها يسوع خدمته وهى وطنه الذى كان يجب أن يكون أول المستمعين إليه وفى صدارة المتشدقين برسالته .

٢ — « ابتدأ يسوع فى المجامع وهى ميدان الحياة الدينية فى فلسطين . وكان هناك هيكل واحد فى أورشليم ، لكن تعاليم اليهود قضت بأنه حيثما توجد عشر عائلات يهودية ، ينبغى أن يكون مجمع فى وسطهم . لذلك كان فى كل مدينة أو قرية مجمع يجتمع فيه الناس للعبادة ولسماع التعاليم ، أما الذبائح فكانت تقدم فى الهيكل فقط . لكن يجابهنا سؤال غريب يتبوأ عرش تفكيرنا وهو كيف دخل يسوع وهو النجار العلمانى المجامع وكيف استطاع أداء رسالته ؟! وللإجابة على هذا السؤال أوضّح أن الخدمة فى المجمع مقسمة إلى ثلاثة أجزاء :

(ا) جزء العبادة المخصص للصلاة .

(ب) الجزء المخصص للقراءات الكتابيّة ، وجرت العادة أن يقوم بالقراءة سبعة أشخاص باللغة العبرانية القديمة ، المفهومة فى ذلك الوقت من عددٍ ضئيل ، ثم تترجم إلى الأرامية أو اليونانية ، واعتادوا أن يترجموا الشريعة آية فآية ، أما الأنبياء فيترجمون كلماتهم بمعدل كل ثلاث آيات .

(ج) الجزء الخاص بالتعليم ، ونسبةً لعدم وجود مُعلِّم مسئول بالتعليم فى المجمع ، كان على الرئيس أن يستدعى أى شخص من الحاضرين ، ليتكلم ثم يشرح كلامه هذا ببساطة وبوضوح للشعب . وبهذه الطريقة وجد يسوع الفرصة للكلام من على منبر المجمع .

٣ — ذاع صيت يسوع بين الجميع ، حتى سُمِّيت هذه الفرصة بربيع الحياة بالنسبة ليسوع ، فقد كان تعليمه كنسيم من الله وكوابل من المطر لزرع يتلهف عطشاً وظمئاً . ولم تكن مقاومات وتحديات القادة اليهود قد تبلورت ضده بعد ، ولم يكن الناس قد عرفوا التعارض القائم بين تعاليم المسيح والتعاليم الشائعة فى ذلك الحين . حقاً إن الإنسان الذى له رسالة صادقة ، لا بد أن يستمع إليه الجميع .

بلا كرامة فى وطنه

وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى . وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ . فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ . وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوباً فِيهِ . رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لِأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ . وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ . ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ وَجَلَسَ . وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ . فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ . وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ وَيَقُولُونَ أَلَيْسَ هذَا ابْنَ يُوسُفَ . فَقَالَ

لَهمْ. عَلَى كلِّ حالٍ تقولُونَ لِي هٰذَا المثَلَ أَيُّهَا الطَّبِيب اشْفِ نَفْسَكَ. كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جرَى فِي كَفْرِ نَاحومَ فافْعَلْ ذٰلِكَ هُنَا أَيْضاً فِي وَطَنِكَ. وَقَالَ الحَقَّ أَقُول لَكُمْ إِنَّه لَيْسَ نَبِيٌّ مَقبُولاً فِي وَطَنِهِ. وبالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَرامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا حِينَ أُغلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلاثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا. ولَمْ يُرْسَلْ إِيلِيَّا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلاَّ امْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ إِلَى صَرْفَةِ صَيْدَاءَ. وَبُرْصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ ولَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنهُمْ إِلاَّ نُعْمَانُ السُّرْيَانِيُّ. فامْتَلأَ غَضَباً جَمِيعُ الَّذِينَ فِي المَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هٰذَا. فَقَامُوا وأَخْرَجُوهُ خَارِجَ المَدِينَةِ وجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَةِ الجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلَ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ ومَضَى

(لوقا ٤ : ١٦ — ٣٠)

هذه هى إحدى زيارات يسوع لوطنه الناصرة التى لم تكن قرية بل سميت مدينة polis. وكان عدد سكانها ما يقرب من ٢٠٫٠٠٠ نسمة وتقع قرب وادى يزرعيل فى جوف تلال فى منحدرات الجليل، وكان فى استطاعة أى صبى إذا وقف على قمة أحد التلال، أن يرى منظراً عاماً للمدينة.

ويرى الاتساع الكبير الذى حولها ، وفيه يرى أماكن تاريخية هامة فى تاريخ بنى إسرائيل ، فهناك سهل إسدراليون حيث حارب باراق ودبورة ، وحيث حقق جدعون انتصاره الكبير، وحيث هُزِمَ شاول ، وَقُتِلَ يوشيا فى الحرب . وهناك أيضاً حقل نابوت حيث قتل ياهو إيزابل ، كما كانت هناك شونم التى سكن فيها أليشع، وجبل الكرمل حيث ظهرت بطولة إيليا ضد أنبياء البعل ، وعلى مقربة من هذا المكان يرى البحر الأبيض المتوسط وجزائر البحر . وبعد أن يرى الرائى تاريخ إسرائيل ، يرى مناظر أخرى لها مكانها فى تاريخ العالم ، إذ تتشعب ثلاث طرق عظيمة ، فهناك الطريق الجنوبى الذى يسير فيه الحجاج إلى أورشليم . ثم الطريق المتسع الكبير الذى يوصل بحراً إلى مصر ودمشق ، كما تجتاز فيه القوافل الضخمة المحملة بالبضائع الكثيرة . ثم الطريق الأخير إلى الشرق، تمر فيه قوافل العرب وفرق المشاه الرومان ، الذين يذهبون لجهات الإمبراطورية المتطرفة النائية فى الشرق . من كل هذا نرى أن يسوع جاء من بلد تجارى لها قيمتها فى تاريخ اليهود وتاريخ العالم أجمع .

وقد سبق ووصفنا طريقة العبادة فى المجامع ، لكن هذا الفصل يرينا العبادة بتفاصيلها وجزئياتها فلم يأخذ يسوع كتاباً عادياً كالذى بين أيدينا ، لكن دفع إليه شيئاً مكتوباً باليد على رقوق . وقرأ من إشعياء ٦١ ثم سلم السفر ثانية للخادم . والخادم هو الخازن الذى عليه أن يأخذ الأسفار ويحفظها ويخرجها عند الحاجة ، كما عليه أن يقوم بنظافة المجمع ، وأن يعلن عند بدء السبت ببوق فضى يبوق فيه ثلاث مرات، ثم عليه أيضاً أن يقوم بدور المعلم فى مدرسة القرية . فى عدد ٢٠ يقول «جلس يسوع» وهذا يرينا أنهم اعتادوا على أن يتكلم المتكلم ويعلم المعلم وهو جالس ، كما أن جلوسه إيذاناً وعلامةً على انتهاء القراءة وبدء الشرح . وقد أثار حديث يسوع الرقيق عن الأمم مكامن الحقد والغضب والضغينة التى فيهم ، إذ كانوا يحتقرون الأمم مظهرين بذلك أنهم

شعب الله الوحيد ، أما الأمم فقد خلقهم الله وقوداً لإشعال نار جهنم . أما يسوع فقد أظهر لهم نوراً جديداً لم يعهدوه من قبل ، إذ قدم لهم محبة الله للأمم وقبوله لهم. ونلاحظ هنا أمرين : (١) تعوَّد يسوع أن يذهب للمجمع يوم السبت رغم الأمور الكثيرة التي كانت لا تروق له هناك ، لكنه لم يمتنع يوماً عن العبادة مع العابدين في يوم الرب . (٢) من قراءة يسوع لإشعياء يظهر لنا الفرق واضحاً بينه وبين المعمدان ، إذ كانت رسالة المعمدان الدينونة القاسية التي ترعب السامعين هلعاً وفزعاً ، أما يسوع فجاء برسالة الخلاص بالأخبار السارة ، وإن كان يسوع قد أعلن غضب الله لكنه كان دائماً غضب المحبة وعتاب الود اللطيف .

روح نجس شرير

وَانْحَدَرَ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ . وَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي السُّبُوتِ . فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّ كَلاَمَهُ كَانَ بِسُلْطَانٍ . وَكَانَ فِي الْمَجْمَعِ رَجُلٌ بِهِ رُوحُ شَيْطَانٍ نَجِسٍ فَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ . قَائِلاً آهِ مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ . أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا . أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُّوسُ اللهِ . فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً اخْرَسْ وَاخْرُجْ مِنْهُ فَصَرَعَهُ الشَّيْطَانُ فِي الْوَسْطِ وَخَرَجَ مِنْهُ وَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْئاً . فَوَقَعَتْ دَهْشَةٌ عَلَى الْجَمِيعِ وَكَانُوا يُخَاطِبُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ مَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ . لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ يَأْمُرُ الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتَخْرُجُ . وَخَرَجَ

صِيتٌ عَنْهُ إِلَى كُلِّ مَوْضِعٍ فِي الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ.

(لوقا ٤ : ٣١—٣٧)

كنا نود أن نعرف كثيراً عن كفر ناحوم ، تلك المدينة التى فعل فيها يسوع جل أعماله وأجلها، والتى صرف فيها أمداً طويلا من حياته. ولكننا لا نعرف عنها الكثير — مثل الناصرة التى عرفنا عنها أموراً متعددة — وكل ما نعرفه عنها أنها مجاورة لبحيرة . وأغلب الظن أننا نشهد أول نزال ليسوع مع الشيطان فى هذا الفصل ، وقد كان الناس يؤمنون بأن الهواء مملوء بالأرواح الشريرة التى تدخل الإنسان عن طريق الأكل والشرب وخلافه ، فتسبب له آلاماً مبرحة وأمراضاً مستعصية . كما اعتقد المصريون أن فى الإنسان ستة وثلاثين موضعاً يمكن أن يدخل منها الشيطان . كما تنوعت واختلفت أعمال الشياطين وتخصصاتهم ، فهناك شيطان للصمم وآخر للبكم وآخر للحمى ، وهكذا كان لكل مرض شيطان خاص به ، إلى أن تذهب هذه الشياطين بوعى الإنسان وشعوره وعقله. وكان أيضاً لكل خطية شيطان يقود إليها ويشجع على عملها مثل الكذب والغش والنجاسة . وقد أخرج يسوع نوعاً من هذه الأنواع من الرجل المذكور فى الفصل الذى نحن بصدده الآن . ومن الأمور الجديرة بالذكر أن هذه الحادثة أوقفت الكثيرين أمامها فى حيرة وارتباك ، إذ ثارت أمامهم مشكلة الاعتقاد بالأرواح الشريرة التى يعتبرها الفكر الحديث لأمر بدائى ونوع من الخرافات . والأمر الذى زاد من حيرتهم أنهم رأوا — بين سطور هذا الفصل ما يدل على اعتقاد يسوع فى الأرواح الشريرة أو على الأقل موافقته على ذلك .

ويؤيد العلم أحياناً هذا الاعتقاد (الأرواح الشريرة) مظهراً أنه يوجد شىء من هذا القبيل ، مما ظهر من أمراض جسدية واضطرابات فعلية فى جسد المريض بدون علة عضوية . وفى أحايين كثيرة يقف الطب حائراً أمام مرض

لايعرف له سبباً ، لذلك يرجح أن هناك سبباً آخراً روحياً أو نفسياً ، هذا الترجيح يعطى تأييداً فى بعض الحالات لصحة فكرة الشياطين .

لم يكن غريباً أن يتعجب الناس من قوة يسوع وسلطانه ، فقد امتلأ الشرق بفكرة التعزيم بالشياطين والإيمان بالحظ . ولهم فى ذلك طرق غريبة فمثلا يضع الساحر خاتماً تحت أنف المريض وهو يتلو ويتمتم بكلام غامض مبهم فإذا بفقاقيع تظهر فى طست به ماء قد وضع على مقربة منهم ، ثم يخرج الشيطان .. !! وهذه الطريقة تعطى تأثيراً سحرياً خاصاً فإذا اقترب إنسان ما منها يشعر بهزة عنيفة ويكاد يسقط على الأرض ، وإذا ساعده شخص على إعادة اتزانه يموت تواً . ولذلك يربطون كلباً فى جذع سحرى يسمى biaras موضوعاً فى حفرة مجاورة فيهتز الكلب اهتزازاً عنيفاً وفى نضاله وصراعه يقطع الجذع ويموت بدلا من الإنسان!!. من هذا يظهر الفرق الشاسع بين ما يعمله المشعوزون والسحرة وبين الكلمة الواحدة التى نطق بها يسوع فأبهر الجموع بسلطانه .

ولقد كان سلطان يسوع أمراً جديداً على الشعب ، لأن معلمى اليهود كانوا يستمدون سلطانهم من كلام مقتبس من سابقيهم أو من كلام الأنبياء الذين هم بدورهم تكلموا عن فم الرب . أما يسوع فأظهر سلطاناً مستمداً من ذاته وقوته هو إذ كان يقول « أقول لكم » فلم يكن بحاجة إلى سلطان خارجى فهو السلطان المتجسد والمعرفة المتأنسة . وفى كل ميادين الحياة نجد أن الخبراء يمسكون بزمام الأمور ونواصيها ، هكذا يسوع إنه خبير الحياة الوحيد الذى يتكلم فتصمت الأرض قاطبة خاشعة ومتعلمة ، متعجبة وقائلة « بالحقيقة هذا هو الله » .

معجزة فى كوخ

وَلَمَّا قَامَ مِنَ الْمَجْمَعِ دَخَلَ بَيْتَ سِمْعَانَ . وَكَانَتْ حَمَاةُ سِمْعَانَ قَدْ أَخَذَتْهَا حُمَّى شَدِيدَةٌ . فَسَأَلُوهُ مِنْ أَجْلِهَا . فَوَقَفَ فَوْقَهَا وَانْتَهَرَ الْحُمَّى فَتَرَكَتْهَا وَفِي الْحَالِ قَامَتْ وَصَارَتْ تَخْدُمُهُمْ .

(لوقا ٤ : ٣٨ ، ٣٩)

يكتب لوقا الطبيب فى هاتين الآيتين وصفاً تفصيلياً لحالة المريضة فيقول: « أخذتها حمى شديدة » . وهو كطبيب يستعمل التعبيرات الطبية بدقة واعية وكلمة « أخذتها حمى » تعنى باليونانية « الشخص الذى اضطجع على سريره من قسوة المرض » . وقسم الكتّاب اليونان الحمى علمياً إلى نوعين: حمى ثقيلة وحمى خفيفة Magar And Minor ولذلك وصف لوقا كطبيب الحالة كما هى وعبر عنها بكلمة « حمى شديدة » . وفى هذه الكلمات القصيرة لنا الحقائق الثلاث الآتية :

١ — إستعداد يسوع الدائم للخدمة. وهذا يظهر فى ذهابه إلى بيت بطرس فور إنتهاء الخدمة فى المجمع . فلم يقدم إعتذاراً لتعبه وإرهاقه من جرّاء الخدمة رغم أن كل من يعرف الخدمة لابد أنه يعرف فى ذات الوقت ما يصاحبها من جهد جهيد ، وكم يكون الخادم فى حاجة ماسة إلى الراحة بعد خدمته . لكنّ يسوع لم يُعر التفاتاً لتعبه وجهده بل استحوذت الخدمة الإنسانية على كل مشاعره بقوة فاقت كل تعب وجهد . يُخبِرُ رجال جيش الخلاص عن مدام بروك berwick وخدمتها فى أيام الزوابع الثلجية فى لندن ، إذ كانت طيلة أيام حياتها تعمل فى الخدمة الاجتماعية فى أنحاء لفربول . ثم أُحيلت على المعاش وقطنت لندن. ولكن الناس كانوا يجتمعون حول بيتها فى أيام الزوابع معتقدين

أن الزوابع لا يمكن أن تؤثر على بيتها . وكانت هى بدورها تلبى رغبتهم وتقوم للمساعدة فى أى وقت . وروى أنها كانت تكتب ورقة وتلصقها على زجاج نافذتها مكتوباً فيها « من أراد مساعدة فليطرق النافذة » . أخى إن يسوع فى استعداد دائم لمساعدتك مادمت تقبل إليه قائلاً : كل حاجتى إليك .

٢ — لم يكن يسوع بحاجة إلى الجموع ليفعل المعجزة أمامهم . وكم من مرات نعوّل كثيراً على الجماهير فنعمل أعمالنا بكل إتقان أمامهم ، وفى بيوتنا أو بين أقاربنا لا نعبأ ولا نكترث لشىء . أما يسوع فبكل قوته عمل فى كوخ حقير فى كفر ناحوم عندما انصرفت الجموع ولم يكن معه سوى أهل البيت .

— جدير بالذكر أن حماة بطرس بعد ما نالت الشفاء قامت وصارت تخدمهم . فلم تنتظر رجاء أو دعوة لكنها حالا قامت لتطبخ وتخدم أهلها ويسوع مدفوعة بطبيعة الأم الغريزية فيها . هكذا يجب أن نذكر جيداً أنه مادام الله أعطانا هبة الصحة والقوة وجب علينا دائماً أن نستخدمها فى خدمة الآخرين والعمل على راحتهم .

الجموع اللجوجة

وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانَ عِنْدَهُمْ سُقَمَاءُ بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدَّمُوهُمْ إِلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَفَاهُمْ . وَكَانَتْ شَيَاطِينُ أَيْضاً تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ . فَانْتَهَرَهُمْ وَلَمْ

يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح .

ولما صار النهار خرج وذهب إلى موضع خلاء وكان الجموع يفتشون عليه فجاءوا إليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم . فقال لهم إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الاخر أيضاً بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت . فكان يكرز فى مجامع الجليل .

(لوقا ٤ : ٤٠ — ٤٤)

١ — ذهب يسوع فى الصباح الباكر إلى موضع خلاء منفرداً . وربما كانت الفرصة متاحة له لأن يقابل المحتاجين من الناس لكنه أراد أولا أن تكون له شركة مع الأب ثم بعد ذلك يستطيع أن يعطى كل محتاج بغنى . حدث مرة فى أبان الحرب العالمية ١٩١٤ — ١٩١٨ أن جاء ميعاد إبتداء إجتماع للعسكريين ، وحضر الجميع ماعدا القائد الجنرال فوش . لكن ضابطاً كان على صلة وثيقة به قال : « أنا أعرف أين أجده » وقادهم إلى كنيسة خربة قريبة من مكان القائد العام . وهناك وجدوه ساجداً أمام المذبح المحطم يصلى ..!! لقد أيقن أنه عليه أن يقابل الله أولا قبل مقابلة الناس .

٢ — لم يتفوه يسوع ببنت شفه شاكياً أو متذمراً عندما هاجمته الجموع فى خلوته . وبذلك أعطانا حقيقة واضحة أن الصلاة هامة لكن إجابة احتياجات الناس هى الأهم . أقامت المرسلة فلورنس كلية لتدريب المرسلين ، ولما كانت تعرف الطبع البشرى جيداً لذلك لم تسمح لأحد أن يعتذر عن غسل الأطباق بعد الأكل لأن ميعاد صلاته السرية قد جاء « نعم » ينبغى أن نصلى ولكن

الصلاة لا تجعلنا نهرب من الواقع والحقيقة « إن الصلاة لا تجعلنا نهمل إجابة طلب المحتاجين بقدر ما تجهزنا وتعدنا لإجابة مطاليبهم : فنقوم من السجود لله للعمل فى خدمة الآخرين .

٣ — لم يدع يسوع الروح النجس يتكلم بل قال له « إخرس » . ومن هذه الفكرة يتطرق إلى أذهاننا ذلك الفكر القديم الذى ساد على اليهود . إذ انتظروا أن المسيا الآتى سيضع قدمه بقوة وبطش على عنق النسر الرومانى ويحرر فلسطين من الرومان . وقد كانت فلسطين وقتئذ تثور غليانا كالمرجل وقد أدى ذلك إلى قيام ثورات كثيرة حقداً من اليهود على الرومان المضطهدين . ولو صرح يسوع بأنه المسيا لاندلعت الثورة فى قلب الشعب كألسنة اللهب . لكنه أعطى بتصرفه هذا درساً رائعاً إذ ينبغى أن يعرف الناس أنه الخادم المتألم قبل أن يكون الملك القاهر . لذلك أمر يسوع بالصمت لأن الناس يجهلون المعنى الحقيقى لكلمة مسيا لأنهم لو عرفوا أنه المسيا حسب انتظارهم الخاطىء لكان ذلك بمثابة إشعال عود الثقاب لثــــورة تؤول إلى خراب أكيد ودمار كامل .

٤ — فى هذا الفصل نجد أول ذكر لملكوت الله . فقد جاء يسوع ليكرز بملكوت الله (مر ١ : ١٥) وهذا هو جوهر رسالة يسوع ومركز كرازته . إذن ما هو قصد المسيح من قوله « ملكوت الله » ؟ . لقد قصد يسوع بالملكوت ثلاثة أمور :

(ا) الملكوت فى الماضى . إذ كان ابراهيم وإسحاق ويعقوب فى ملكوت الله رغم أنهم عاشوا منذ مئات السنين (لو ٢٣ : ٢٨) .

(ب) الملكوت فى الحاضر . « ها ملكوت الله داخلكم » (لو١٧ : ٢١) .

(جـ) الملكوت فى المستقبل: أى ان الله سيظهره وما على الناس إلا الصلاة لأجل مجيئه. وكيف يكون الملكوت إذن بكل هذه المعانى مجتمعة؟ وهذا يرجع بنا إلى الصلاة الربانية إذ نجد طلبتين « ليأت ملكوت » « لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض » (مت ٦ : ١٠، ١١).

ولكى نوجد ضوءاً على هاتين الطلبتين أقول إن اليهود اعتادوا أن يجعلوا لكل آية فى المزامير قولين. وفى معظم الحالات بل فى جلها يكون القول الثانى شرحاً وإيضاحاً وتبسيطاً للجزء الأول أو القول الأول. لذا ضع العبارتين معاً « ليأت ملكوت. لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض » واعتماداً على ما قلناه يكون القول الثانى توضيحاً للأول، فيصبح الملكوت على الأرض جماعة من الناس تتم فيهم مشيئة الله كما تتم فى السماء. ففى الماضى كل من فعل مشيئة الله هو فى الملكوت، ومن يقبل مشيئة الله الآن هو فى الملكوت أيضاً. ولكن اليوم الذى فيه يفعل كل الناس مشيئة الله ليس بقريب الآن. وهكذا نرى أن الملكوت فى الماضى والحاضر والمستقبل، الكل فى وقت واحد.

وأحياناً يحاول البعض تحقيق ملكوت الله على الأرض بالقوة وأحياناً يطيعون وأحياناً يخالفون، لكن يسوع وحده هو الذى كان يعمل على مجىء الملكوت فى كل وقت ولا عجب فهو أساسه وأصله.

وقد جاء ليترك للناس مثالا ليتبعوا آثار خطواته ويتمثلوا به فيعملون مشيئة الله ويكونون أهلا لملكوته وبذلك يستطيع الكل أن يقول مصلياً بلغة الواثق والمتعبد « يارب ليأت ملكوتك فى داخلى مبتدئاً بى ».

الأصحاح الخامس

ظروف معجزة

وَإِذْ كَانَ الجمعُ يَزْدَحِمُ عَلَيْهِ لِيَسْمعَ كَلِمةَ اللهِ كَانَ وَاقِفاً عِنْدَ بُحَيْرَةِ جنيِّسارتَ . فرأى سَفِينَتَيْنِ وَاقِفَتَيْنِ عِنْدَ البُحَيْرةِ والصَّيَّادُون قَدْ خرجُوا مِنْهُمَا وغَسلُوا الشِّبَاكَ . فَدَخلَ إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ الَّتى كَانَتْ لِسِمْعَانَ وَسأَلَهُ أَنْ يُبْعِدَ قَليلاً عنِ البَرِّ . ثمَّ جَلسَ وصَارَ يُعَلِّمُ الجُمُوعَ مِنَ السَّفِينَةِ . ولَمَّا فرَغَ مِنَ الكَلامِ قَالَ لِسِمْعَانَ أبعُدْ إِلى العُمقِ وأَلقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ . فأَجَابَ سِمْعَانُ وقَالَ لَهُ يَا مُعَلِّمُ قدْ تَعِبنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ ولَمْ نأْخُذْ شَيْئاً ولٰكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أُلْقِي الشَّبكَةَ . ولَمَّا فعلُوا ذٰلِكَ أَمْسَكُوا سَمَكاً كثِيراً جِداً فصَارَتْ شَبَكَتُهُمْ تتخَرقُ . فأَشَارُوا إِلى شُركَائِهِمِ الَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ الأُخْرَى أَنْ يأْتُوا ويُسَاعِدُوهُمْ . فأَتَوا ومَلأُوا السَّفِينَتَيْنِ حتَّى أَخَذَتَا فِي الغَرَقِ . فَلمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطرُسُ ذٰلِكَ خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً اُخرجْ مِنْ سَفِينَتِي يَارَبُّ لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِىءٌ .

إِذِ ٱعْتَرَتْهُ وَجَمِيعَ ٱلَّذِينَ مَعَهُ دَهْشَةٌ عَلَى صَيْدِ ٱلسَّمَكِ ٱلَّذِي أَخَذُوهُ . وَكَذٰلِكَ أَيْضاً يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ٱبْنَا زَبْدِي ٱللَّذَانِ كَانَا شَرِيكَيْ سِمْعَانَ . فَقَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ لاَ تَخَفْ . مِنَ ٱلآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ ٱلنَّاسَ . وَلَمَّا جَاءُوا بِٱلسَّفِينَتَيْنِ إِلَى ٱلْبَرِّ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ .

(لوقا ٥ : ١ — ١١)

يقودنا هذا الفصل إلى وقفة تأمل جميلة عند بركة المياه التى فى الجليل . فنجد أنها لقبت بثلاثة اسماء : بحر الجليل — بحر طبرية — وبحيرة جنيسارت وقد كانت غاية فى الاتساع فبلغ طولها ثلاثة عشر ميلا وعرضها ثمانية أميال منخفضة عن مستوى سطح البحر بمقدار ٦٨٠ قدما الأمر الذى جعل مناخها استوائياً . أما المدن المنتشرة على شاطئها فقد كانت تسع مدن متوشحة بثوب الدمار الآن نهائياً ولكن فى أيام المسيح كانت عامرة زاخرة بالسكان يبلغ تعداد كل منها ١٥,٠٠٠ نسمة . وعلى جانب البحيرة الغربى امتد سهل خصيب يسمى جنيسارت. وقد كان لكلمة جنيسارت عند اليهود ثلاثة معانى تكشف مجتمعة أو فرادى ما فى جنيسارت من روعة وجمال :

١ — دعيت « قيثارة » وأخذت من الكلمة Kinnor وذلك لفاكهتها الفجة اللذيذة المذاق والسحرية التأثير كصوت القيثارة .

٢ — الاسم الثانى جاء من الكلمة Gan أى حديقه والكلمة Sar أى أميرة فيكون متكاملا أميرة الحدائق .

٣ — أما الاسم الثالث فجاء من Gan أى حديقة و Asher أى أغنياء فيصبح حديقة الاغنياء أو حديقة الدسم .

وبعد أن ألقينا هذه النظرة الفاحصة الشاملة على البحيرة لا بد أن ننظر إلى يسوع الواقف عند شاطئها . وإذ ذاك نلحظ نقطة تحول كاملة فى حياة المسيح ، فقد أصغينا إليه يعظ عند البحيرة . نعم « ربما يعود ثانية إلى المجمع ليعظ ولكنه كان يعلم أن الوقت سيجىء الذى يوصد المجمع أبوابه فى وجهه، وعندئذ تصبح كنيسته على شاطىء بحيرة وفى الطرق العامة ويصير منبره قارب الصيد ، سيذهب إلى كل حدب وصوب ، إلى كل منحى وناحية فيه يجد من يريد فعلا الاستماع إليه . ولقد نسج يوحنا وسلى على هذا المنوال إذا قال: « تكونت اجتماعاتنا من المشتتين فى جبال ظلماتهم الذين لا ينتمون لكنيسة ، فأيقظتهم مواعظ الميثود ست التى تتبعهم فى برارى العالم وفى قفاره وفيافيه ، فى الطرقات العامة والأسواق والموالد وعلى قمم التلال . وقد رفع الميثودست راية الصليب فى الشوارع وفى الأزقة والقرى والمزارع وفى بيوت الفلاحين وعلى موائدهم وقد قاموا بهذا العمل بتوسيع لم يحدث له مثيل منذ أيام الرسل» ثم أردف وسلى وأضاف : «ما أحب إلى الواعظ من مكان متسع يعظ فيه »إننى أرغب فى وسادة ناعمة ومنبر مريح أقف خلفه « ولكن حقل التبشير الخشن هو الذى يخلص النفوس » . هكذا عندما أغلق باب المجمع أمام يسوع اتجه إلى الطرقات العامة .. إلى البحيرة .

والآن نتجه بأفكارنا إلى القصة المدونة فى الفصل الذى أمامنا والتى تكشف عن ملامح وظروف المعجزة التى صنعها يسوع فنرى :

١ — العين البصيرة « فلم يخلق يسوع كمية كبيرة من السمك خصيصاً لهذا الموقف . لكن عين يسوع الثاقبة والنفاذة كانت تبصر كميات السمك المنتشرة بغزارة فوق صفحة بحر الجليل فى بقع معينة فيه فى معظم الأحايين . وحالما لمحت عين يسوع ذلك السمك المنتشر أشار إليه، الأمر الذى صنع معجزة »

بالغة العظمة» ، لذا كم نحن بحاجة ملحة إلى العين البصيرة . ولقد رأى كثيرون الغطاء الذى يرفعه البخار من على الغلاية وأما جيمس وات رأى الآلة البخارية فى البخار وفكر فى عملها . وقد اعتاد كثيرون أن ينظروا إلى التفاحة وهى تسقط من الشجرة كأمر عادى درجوا على رؤيته ولكن اسحق نيوتن وحده بعينه البصيرة رأى فى سقوطها قانون الجاذبية وكم من معجزات تملأ العالم تحدث أمامنا كل يوم ولا تراها إلا العيون البصيرة والمبصرة .

٢ — الروح العامل النشيط .. فعندما طلب يسوع من بطرس أن يبذل محاولة أخرى فى الصيد لم يتكاسل لتعبه وجهده طول الليل وقد كان متعباً بالفعل — لكنه قام وعمل بجد وغيرة . وكم من كثيرين أقعدتهم كوارث الدهر وثبطت همتهم صعوباته عن جهادهم النشط فى ميدان الحياة .

٣ — الروح العامل حتى عند نقطة اليأس .. فقد مضى الليل وهو وقت الصيد وانتهت كل الظروف الملائمة والمناسبة للتصيد ، ولكن بطرس شمر عن ساعد الجد ثانية وكأنى به يقول : « مهما بدت الظروف معاكسة وغير ملائمة فإنى سأحاول ثانية مادمت قد طلبت منى ذلك ياسيد». ونحن كم من مرات ننتظر الظروف المهيأة لكن الذى ينتظر ذلك سوف لا يعمل عملا » وهذه هى المعجزة أن نتبع قول يسوع حتى لو أمرنا أن نفعل المستحيل . . كيف لا وهو إله المستحيلات . . وصانع المعجزات . . وهو وحده الذى يستطيع أن يعطينا من صعاب الأمر إمكاناً ومقدرة .

مَسٌّ الذى لا يُمَسّ

وَكَانَ فِي إِحْدَى الْمُدُنِ فَإِذَا رَجُلٌ مَمْلُوءٌ بَرَصاً . فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلاً يَا سَيِّدُ إِنْ أَرَدْتَ

(*) لاشك أن عين يسوع البصيرة التى أشار إليها المؤلف ليست بالأمر العادى لكنها وسمة من سماته اللاهوتية بدليل عدم رؤية التلاميذ للسمك (المترجم)

تَقْدِرُ أَنْ تُطَهِّرَنى . فَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً أُرِيدُ فَاطْهُرْ .
وَلِلْوَقْتِ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ . فَأَوْصَاهُ أَنْ لاَ يَقُولَ لأَحَدٍ
بَلِ امْضِ وَأَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ كَمَا أَمَرَ
مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ . فَذاعَ الْخَبَرُ عَنْهُ أَكْثَرَ . فَاجْتَمَعَ جُمُوعٌ
كَثِيرَةٌ لِكَىْ يَسْمَعُوا وَيُشْفَوا بِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ .

(لوقا ٥ : ١٢ — ١٥)

هناك نوعان من البرص فى فلسطين ، أحدهما يظهر كمرض ردىء فى الجلد وهو أخفهما ، والنوع الثانى هو الذى فيه يتآكل اللحم حتى يسقط ، ولا يبقى لمريض غير عظام اليد أو القدم . ويشبه بل يكون المريض فى هذه الحالة الحى الميت فعلا وحقيقة . وبالرجوع إلى شريعة البرص فى سفر اللاويين أصحاح ١٣ و ١٤ نجد أن الكارثة المرة هى عزل الأبرص بعيداً عن الناس ، إذ يقيم وحده خارج المحلة (لا ١٣ : ٤٥ و٤٦) . وليس ذلك فقط بل عليه أن يصرخ قائلا : نجس !! نجس !! ولا يجتمع بأفراد أسرته وأصدقائه بل يكون معزولا عن الجميع منبوذاً منهم. وبذلك نرى أن نتائج البرص النفسية أكثر فظاعة وأقسى تأثيراً من نتائجه الجسدية . وفى ذلك يقول د .مكدونلد Dr. A.b. Mac Donald فى مقال عن مستعمرة البرص التى تحت اشرافه فى « اتو » : « البرص مرض نفسى كما هو جسدى ، لأن حالة المريض بالبرص تختلف عن حالة أى مريض بمرض آخر، إذ يصاحب الخجل والخوف والإحساس بالذنب المريض باستمرار. ولاشمئزاز الناس منه وابتعادهم عنه خوفاً من العدوى كثيراً ما يفكر الأبرص فى الانتحار فعلا » : هكذا يكره الناس الأبرص حتى يكره نفسه أيضاً إذ يعتبرونه نجساً !! أما يسوع فلمسه .

١ — وهنا تبرز حقيقة رائعة من خبائها وهى أن يسوع لمس ومس من لا يمس . وضع يده على الشخص الذى يرتعب من رؤيته الجميع ويهرب الكل من محضره هلعاً وفزعاً ، احتقاراً واستنكاراً لإنسانيته . ومن هذه الحقيقة يخرج أمران: الأول هو أننا عندما نحتقر أنفسنا ، وتمتلىء قلوبنا بالخجل المفعم بالمرارة تمتد يد يسوع إلينا . والأمر الثانى هو الذى يحتوى على نصيب الأسد من جوهر المسيحية وهو مس من لا يمس ، ومحبة من لا محبة فى قلبه ، والغفران لمن لا يستحقه .. هذا ما فعله يسوع وعلمنا أن نفعله .

٢ — أرسل يسوع الرجل فور شفائه ليحمل نبأ تطهيره وذلك حسب الشريعة فى (لا ١٤) . وهذا معناه أن حدوث المعجزة لا يمنع الإنسان من تنفيذ القوانين المفروضة والتعليمات الموضوعة له . ولا يمكن أن تكون هناك معجزات بإهمال المواهب والقدرات والعلم ، لكن عندما تتفاعل حكمة الله وقدرته مع ذكاء الإنسان وتفكيره وعقله حينئذ تحدث المعجزات وتتوالى .

٣ — اشتهر يسوع كما هو ظاهر من ع ١٥ لأن الناس أرادوا الحصول على منفعة منه . كم من كثيرين يسرعون لنوال الهبات ويتقاعسون عن وفاء ما يطلب منهم .. ولا يوجد بالفعل ما هو أكثر شراً من هذا .

شدة المقاومة

وأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي وَيُصَلِّي .

وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ كَانَ يُعَلِّمُ وَكَانَ فَرِّيسِيُّونَ وَمُعَلِّمُونَ لِلنَّامُوسِ جَالِسِينَ وَهُمْ قَدْ أَتَوْا مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ . وَكَانَتْ قُوَّةُ الرَّبِّ لِشِفَائِهِمْ .

(لوقا ٥ . ١٦، ١٧)

نرى فى هاتين الآيتين نقطة بارزة وهامة فى حياة يسوع ، فيها ترى الكتبة والفريسيين على المسرح حيث ظهرت مقاومتهم وعنادهم الذى أدى إلى صلب يسوع . وإذا أردنا أن نقف على حقيقة الأمور فيما حدث ليسوع وجب علينا أن نعرف شيئا عن الشريعة وعن الصلة بين الكتبة والفريسيين .

أما عن الشريعة فقد أيقن اليهود عند رجوعهم من سبى بابل عام ٤٤٠ م أن عظمتهم كأمة قد زالت. فقرروا بعد ترو وتفكير أن يعيدوا مجدهم وعظمتهم فى صيرورتهم أهـــلا للشريعة ، فوجهوا كل نشاطهم لمعرفة الشرائع وتفنيدها وحفظها . وتمركزت الشريعة فى الوصايا العشر التى تحتوى على النظريات العظمى للحياة لكنها لم تكن قوانين واضحة تحدد مايجب عمله فى كل حادثة وفى كل ظرف . لكنها لم تكن بكافية فى نظرهم إذ أنهم ليسوا راغبين فى نظريات عظيمة بقدر رغبتهم فى قوانين لمواجهة كل مواقف الحياة . . وبكل دقة متناهية صاغوا القوانين المؤسسة على الوصايا العشر . وعلى سبيل المثال لم يكتفوا بنص الوصية القائلة « أذكر يوم السبت لتقدسه » (خر ٢٠ : ٨ — ١١) التى تعنى عدم العمل فى يوم السبت . فابتدأوا يبحثون فى ماهية هذا العمل ، وتعريفه ، فعرفوه فى تسعة وثلاثين موضوعاً مختلفاً رئيسياً وأطلقوا عليها « آباء العمل » . ولم يكتفوا أيضا بهذه المواضيع الرئيسية فقسموها إلى مواضيع فرعية،وظهرت بذلك ألوف القوانين والأنظمة وهذا ماسموه القانون الشفهى. ولم يعيشوا على مستوى الوصايا العشر بل أعلى منها بكثير ونأخذ لذلك مثلا عمليا : إمتنعوا عن حمل الأحمال فى يوم السبت انظر (أر ١٧ : ٢١ — ٢٤) يقول : « تحفظوا بأنفسكم ولا تحملوا حملا يوم السبت » لكنهم فى تشريعهم قالوا : ماهو نوع الحمل ؟ وعرفوه بأنه « طعام وزنة تينة جافة ، وخمر يكفى لمزج قدم ، ولبن يكفى لبلعه ، ودهنة زيت تكفى لدهن عضو واحد ، وماء يكفى لتكحيل عين ، وقطعة ورق تكتب عليها عوائد بيت ،

وحبر يكفى لكتابة خطابين ، وقلم بسط » وهكذا إلى آخر ما شاكل ذلك من أمور . فوجود إبرة فى ثياب الخياط يوم السبت كانت خطيئة لأنه كسر الشريعة . وهكذا كانت تقاس التقوى بمقدار حفظ الشخص لهذه الشرائع . وخذ مثالا آخر ! من يشفى مريضا يوم السبت يخطىء لأنه عمل عملا، ويكون الشفاء فى حالة الخطر فقط ، على أن يكون العلاج لوقف زيادة المرض وليس لتحسين صحة المريض فيتمكن ربط الجرح برباط بسيط ولكن بدون مراهم، ويمكن وضع قطعة صدف صغيرة فى أذن مريضة ولكن بدون وضع دواء .

وهكذا .. فلا حدود لهذه الأوضاع . واختصت جماعة الكتبة بمعرفة هذه القوانين وحفظها ، أما الفريسى فمعناها « المُفْرَزْ » وقد أفرز الفريسيون أنفسهم من عامة الشعب لحفظ هـــذه القوانين والأنظمة . وفى هذا لنا ما يأتى :

أولا : كانت هذه القوانين أمر حياة وموت للكتبة والفريسيين ، وفى كسر واحدة منها خطية مميتة.

ثانيا : اجتهدوا فى حفظها لأنهم أرادوا أن تكون الحياة قاسية .. وأما يسوع فلم يكن بحاجة لهذه القوانين لأن صراخ الناس واحتياجاتهم كان أعلى من هذه جميعها . ولهـــذا إعتبره الكتبة والفريسيون ناقضاً للناموس فأبغضوه وقتلوه أخيراً .. وهذه هى مأساة يسوع ، إن الذين حافظوا على دينهم ساقوه للموت فقد صلبه أكثر الناس تدينا . عرف يسوع كل هـذا لذلك قرر أن يعتزل للصلاة قبل أن يواجه مقاومتهم وعندئذ نال تعزية وعزاء ، ووجد فى محبة الآب ما عوضه بغض الناس وكرههم . وفى شجاعة تامة قابل انتقادات

الناس آخذاً من سلام الله قوة حارب بها . . ويكفى أن يكون التلميذ كسيده .

غفر له خطاياه وشفاه

وَإِذَا بِرِجَالٍ يَحْمِلُونَ عَلَى فِرَاشٍ إِنْسَانًا مَفْلُوجًا وَكَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ وَيَضَعُوهُ أَمَامَهُ . وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُونَ بِهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ صَعِدُوا عَلَى السَّطْحِ وَدَلَّوْهُ مَعَ الْفِرَاشِ مِنْ بَيْنِ الْأَجُرِّ إِلَى الْوَسْطِ قُدَّامَ يَسُوعَ . فَلَمَّا رَأَى إِيمَانَهُمْ قَالَ لَهُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ . فَابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يُفَكِّرُونَ قَائِلِينَ مَنْ هٰذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِتَجَادِيفَ . مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ . فَشَعَرَ يَسُوعُ بِأَفْكَارِهِمْ وَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ مَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِكُمْ . أَيُّمَا أَيْسَرُ أَنْ يُقَالَ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ . أَمْ أَنْ يُقَالَ قُمْ وَامْشِ . وَلٰكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا قَالَ لِلْمَفْلُوجِ لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ . فَفِي الْحَالِ قَامَ أَمَامَهُمْ وَحَمَلَ مَا كَانَ مُضْطَجِعًا عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ . فَأَخَذَتِ الْجَمِيعَ حَيْرَةٌ وَمَجَّدُوا

اللهَ وَامْتَلأُوا خوفاً قَائِلِينَ إِنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا اليَوْمَ عَجَائِبَ.

(لوقا ٥ : ١٨ — ٢٦)

يضم هذا الفصل بين أطرافه قصة طريفة . . كان يسوع يعلم فى بيت ، وعادة تجد سقف المنزل فى فلسطين مسطحاً مائلا بالتدريج ليكفى لتوزيع المطر. كما درجوا أن يصنعوا السقف من كتل خشبية تصل من حائط إلى آخر بينهما فسحات بسيطة تملأ بالحشائش الجافة المخلوطة بالمونة . ثم يغطى السقف كله بطبقة من الطين .وكان من السهل جداً أن تُرفع حزم الحشائش من بين كتل الخشب عند الحاجة ، إذ كانوا يحملون جثث الموتى إلى خارج منازلهم عن طريق السقف .

ومن الأمور التى تجذب انتباهنا فى هذه القصة كلام يسوع للمفلوج عن غفران خطاياه . . فما معنى غفران الخطية فى هذا الفصل ؟ وحتى يتضح المعنى أمامنا بجلاء ينبغى أن نتذكر صلة الخطية بالألم فى فلسطين . فقد اعتقد اليهود أن الخطية هى السبب الوحيد للألم ، ولذلك تجد المتألم دائماً مغموراً بإحساسه بالذنب بسبب التفكير فى الخطية . ولهذا قال يسوع للمفلوج « مغفورة لك خطاياك » . وعندئذ ثارت ثائرة الكتبة والفريسيين إذ كيف يدعى يسوع لنفسه القدرة على غفران الخطايا ؟!! لكن سرعان ما اجتاحتهم موجة من الصمت المشفوع بالخزى والخجل عندما رأى المفلوج وقد شفى تماماً وهذا برهان أكيد لغفران خطاياه .

ووجه الغرابة فى هذا الفصل ينحصر فى شفاء المريض بإيمان أصدقائه « لما رأى يسوع إيمانهم » الذى ذلل كل صعوبة وارتفع على كل العقبات فى سبيل إحضار صديقهم ليسوع لنوال الشفاء وهذا مايحدث لليوم فنرى . .

١ — الذين خلصوا بإيمان والديهم كما اعتاد كارليل أن يقول «مع مضى السنين عاد صوت أمى إلى هاتفا » (ثق بالله وأفعل الحق) . وكما أتت والدة القديس أغسطينس مستنجدة بأسقف مسيحى من أجل ابنها الماجن ، فجاوبها الأسقف « تأكدى أنه لا يمكن أن يهلك ابن الصلاة والدموع » . ويشهد كثيرون منا أنهم مدينون لوالديهم بما هم عليه من إيمان .

٢ — يخلص كثيرون يومياً بواسطة إيمان الذين يحبونهم . وهنا يهتف هـ. ويلز H.G.Wells عندما تزوج حديثاوكان زواجه ناجحاً« كم أحس بالسعادة تجد طريقها إلى قلبى كسيل منهمر يثلج صدرى عندما أرى خلف أبواب بيتى من تصلى لأجلى حتى لا أقف أمامها يوماً رجساً أو سكيراً أو ملوماً » . وكم من كثيرين يمتنعون عن ارتكاب الرزائل لكى لا يتسببوا فى جلب الحزن والألم إلى قلوب محبيهم .. مجداً لله من أجل غرس حياة المحبة التى تكون لها اليد الطولى فى جذب النفوس لحظيرة المسيح .

ضيف المنبوذ

وَبَعْدَ هٰذَا خَرَجَ فَنَظَرَ عَشَّاراً ٱسْمُهُ لَاوِي جَالِساً عِنْدَ مَكَانِ ٱلْجِبَايَةِ . فَقَالَ لَهُ ٱتْبَعْنِي . فَتَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَامَ وَتَبِعَهُ . وَصَنَعَ لَهُ لَاوِي ضِيَافَةً كَبِيرَةً فِي بَيْتِهِ . وَٱلَّذِينَ كَانُوا مُتَّكِئِينَ مَعَهُمْ كَانُوا جَمْعاً كَثِيراً مِنْ عَشَّارِينَ وَآخَرِينَ . فَتَذَمَّرَ كَتَبَتُهُمْ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ عَلَى تَلَامِيذِهِ قَائِلِينَ لِمَاذَا تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ مَعَ عَشَّارِينَ وَخُطَاةٍ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ لَا يَحْتَاجُ ٱلْأَصِحَّاءُ

إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى . لَمْ آتِ لِأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ .

(لوقا ٥ : ٢٧ — ٣٢)

فى هذا الفصل الذى أمامنا نرى دعوة يسوع لمتى (مت ٩ : ٩—١٣) . وقد كان العشارون منبوذين فى فلسطين ومكروهين كرها شديداً . إذ كانت فلسطين تحت سلطة الرومان الذين اتخذوا من العشارين أداة لابتزاز الأموال وسلبها من الناس ، ولذلك إعتبرهم اليهود خونة مرتدين عن الدين . وكانت طريقة جمع الضرائب غير منظمة وبأسلوب بشع فقد أعطت الحكومة الرومانية مسئولية جمع الضرائب عن كل إقليم لمن يدخل فى مزايدة ويقدم أكثر من سواه . وعندئذ يدفع المبلغ للحكومة ثم يجمع من الشعب ما يستطيع جمعه بكل الطرق الممكنة قسراً وعنوة وعنفاً ليجمع أضعاف أضعاف ما دفع ، مستغلا جهل الناس عن قيمة الضرائب المقررة عليهم لعدم وجود وسائل لتوصيل الأخبار مثل الجرائد اليومية أو التلغراف اللاسلكى أو ما شابه ذلك . وهناك نوعان من الضرائب :

أولا : ضرائب مقررة .. إذ وجدت قوائم ضرائب على الرجال من ابن ١٤ سنة إلى ابن ٦٥ سنة وعلى النساء من سن ١٢ إلى ٦٥ سنة . ثم ضرائب ثابتة وهى عُشر الحنطة وخُمس الخمر والزيت تُخفف إذا دفعت نقداً . ثم ضريبة الدخل وتقدر ١ ٪ من كسب الرجل . وكانت تجمع هذه الضرائب بطريقة مهذبة نوعاً ما .

ثانياً : واجبات معينة . . إذ توجد ضريبة لاستخدام الطرق والموانى والأسواق ، وأخرى على العربات بقدر عدد العجلات التى بها والحيوانات التى تجرها . ثم ضرائب الشراء على بعض السلع ، وضرائب على كل ما يستورد

أو يصدر . وأعطى للجابى الحق فى تفتيش الحقائب وتقرير ما يجب دفعه ، وإذا عجز إنسان عن الدفع يعرض عليه العشار أن يدفع عوضاً عنـه ثم بعد ذلك يأخذ منه المبلغ بالفائدة أو الربا ، وبهذه الطريقة يقع ذلك الإنسان فى قبضة العشار الوحشية و بين أنيابه ومخالبه الجشعة، ولذلك وضع الناس طبقة العشارين فى مستوى اللصوص ومنزلة القتلة فمنعوهم من العبادة ومن دخول المجمع للصلاة .

ويخبرنا كاتب رومانى أنه رأى يوماً ضريحاً لعشار أمين ، وقلما وجد الأمين فيهم،لذلك عندما رأى الناس هذه التحفة النادرة أقاموا على قبره شاهداً !! ولقد كان حتى من هذا النوع فى مظهره ومخبره وقد اختاره يسوع ليكون رسولا ولا غرابة فقد كان خليقاً بهذه المنزلة .

١ — لقد صنع من بادىء ذى بدء وليمة ليسوع إذ كان مقتدراً وميسراً واستضاف زملاءه العشارين المنبوذين لمقابلة يسوع ، وقد قصد متى بذلك أن يشاركه الآخرون فرصة التمتع بهذا الشخص العجيب الذى التقى معه .قال جون وسلى مرة : « لا يذهب أحد للسماء وحيداً لأنه إما أن يجد أصدقاء أو يجتهد فى ذلك» . ومن الواجب على كل مسيحى ان يتقاسم ما يجده من نعم وهبات مع الآخرين .

٢ — إحتدم الموقف مع الكتبة والفريسيين وثارت ثورة غضبهم كألسنة اللهب . إذا كيف يجلس يسوع مع عشارين وخطاة ؟فهم لا يمكن أن يسمحوا لأمثال متى أن يلمسوا هدب ثيابهم ، لكن يسوع أعطاهم الجواب الذى أفحمهم وألجمهم والذى دعاه « أبكتيتوس »« دواء الخلاص »إذ لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. وكم كان متى وأصدقاؤه بحاجة إلى المسيح ،ونحن هل ننظر إلى الخاطىء كمجرم يستحق العقاب أم كمريض يحتاج إلى المحبة

والمساعدة ، وكضال فى حاجة إلى الهداية حتى يتلمس دروب النور وينتحى ناحية الصواب والحق والفضيلة ؟ ؟.

الرفقة السعيدة

وَقَالُوا لَهُ لِمَاذَا يَصُومُ تَلَامِيذُ يُوحَنَّا كَثِيراً وَيُقَدِّمُونَ طَلِبَاتٍ وَكَذَلِكَ تَلَامِيذُ الفَرِّيسِيِّينَ أَيْضاً وَأَمَّا تَلَامِيذُكَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ . فَقَالَ لَهُمْ أَتَقْدِرُونَ أَنْ تَجْعَلُوا بَنِي العُرْسِ يَصُومُونَ مَا دَامَ العَرِيسُ مَعَهُمْ . وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ العَرِيسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ .

(لوقا ٥ : ٣٣ — ٣٥)

تعجب الكتبة والفريسيون كثيراً لأنهم رأوا أن الذين تبعوا يسوع من البشر العاديين ، ويحدثنا نكس Collie knox عن كلمة قالها له خادم لله « يانكس لا تجعل دينك يؤلمك » ؛هكذا إعتقداليهود المدققون أنه لا راحة فى الدين ولذلك صاموا يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع واعتادوا أن يبيضوا وجوههم حتى يعرف كل من يراهم أنهم صائمون رغم أن الصيام الحقيقى ليس مؤلماً إذ يبدأ بشروق الشمس وينتهى عند المغيب وبعد ذلك يتناولون طعامهم الطبيعى ، وكان القصد من الصيام أن الله ينتبه دائماً إلى الصائم ، كما أن فى الصيام فكرة الذبيحة إذ يقدم الصائم جسده لله ، كذلك حددوا مواقيتاً لصلواتهم فتكون فى الساعة ١٢ ظهراً ، والساعة الثالثة بعد الظهر ثم فى السادسة مساءاً . ولقد أبغض المسيح هذا النوع من الصلاة إذ أراد أن تكون الصلاة هى شركة المحبة الحقيقية بين الخالق والمخلوق .

وجرت العادة فى فلسطين فى الزواج أنه عندما يتزوج اثنان يمكثان فى منزلهما لمدة أسبوع يفتحان البيت ويرتديان أفخم الثياب ، وأحياناً يوضع تاجان على رأسيهما فيكونان كملك وملكة لمدة هذا الأسبوع ويعمل الكل على إجابة ما يصدر منهما من أوامر ، الأمر الذى لا يتكرر فى حياتهما بعد ذلك . أما الأحباء والأصدقاء الذين يستضيفونهم فيسمون « أبناء العرس » ، ولنا بهذه المناسبة الحقائق الآتية :

١ — كثيراً ما دعى يسوع المسيحيين أبناء العرس ، ذلك لأن الفرح هو من الخواص الأساسية فى المسيحية ،قال تلميذ عن مدرسته المسيحية الأمريكية : « جعلتنى أشعر بأنى أسبح فى شمس مشرقة » . وكم من مرات يزعم البعض أن المسيحية تنادى بالتزمت وبالامتناع عن أشياء مسرة لناومن ضمن خواصها الوجه العابس والجبين المقطب . لكن يسوع يعلمنا ان المسيحية هى منبع الفرح ومبعث السرور ومصدر الابتهاج ،وصدق ما كتبه روبرت لويس ستيفنسون فى مجلة الجراحين : « إن تلعثمت يوماً فى سرورى وسرت وسط قومى بوجه غير مشرق كالصباح ؛ وإن لم تسعدنى أفراح غيرى ، وإن لم يبهجنى طعامى وكتابى ، ليمنع الله عنى سرورى ... وإن كنت متمجداً بهذا الوضع يا إلهى ليبغتنى الموت قبل أن يكتنفنى هذا الروح » .

٢ — قال يسوع : « يأتى يوم فيه يرفع العريس » . ومن هذا نرى أن يوم الصليب لم يأت بغتة فقد كان يسوع يرى الصليب أمامه باستمرار . وفى طريقه إلى الصليب علمنا أن فرحنا لا يمكن أن يؤخذ منا لأنه فرح الحضور أمام الرب .

الفكرة الجديدة

وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً . لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ رُقْعَةً مِنْ ثَوْبٍ جَدِيدٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ . وَإِلاَّ فَالْجَدِيدُ يَشُقُّهُ وَالْعَتِيقُ لاَ تُوَافِقُهُ الرُّقْعَةُ الَّتِي مِنَ الْجَدِيدِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ فَهِيَ تُهْرَقُ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ . بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ فَتُحْفَظُ جَمِيعاً . وَلَيْسَ أَحَدٌ إِذَا شَرِبَ الْعَتِيقَ يُرِيدُ لِلْوَقْتِ الْجَدِيدَ لأَنَّهُ يَقُولُ الْعَتِيقُ أَطْيَبُ .

(لوقا ٥ : ٣٦—٣٩)

كثيراً ما ينزع الإنسان إلى القديم ، ويجد أنه من الصعوبة بمكان أن ينتحى ناحية أمر جديد . ولا يوجد مايتحرك ببطء نحو الجديد مثل الكنيسة ولذلك إضطرب الفريسيون جداً وامتعضوا من يسوع لأنه ابتدأ بجديد ، ولم يتمكنوا من تكييف نفوسهم وتهيئة أفكارهم لهذا الأمر الجديد . وقد استخدم يسوع مثلين فقال : « ليس أحد يضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق وإلافالجديد يشقهوالعتيق لا توافقه الرقعة التى من الجديد . وقد كانت الزقاقات فى فلسطين تصنع من الجلد وعندما توضع فيها الخمر تتخمر وتخرج غازاً ، فإذا كان الزقاق جديداً يتحمل ضغط الغاز ويتسع له ، أما إذا كان عتيقاً فسينشق وينفجر . هكذا قصد يسوع أن لاتكون عقولهم مثل الجلد العتيق هذا . وقد قال الناس إن الخمر العتيق أفضل ، وهو أفضل بالفعل ولكن

لايجب احتقار الخمر الجديد إذ أنه بعد قليل سينضج . وبهذا المثل أيضاً شجع المسيح سامعيه على عدم مقاومة الجديد من الأفكار .

١ — يجب أن لانخف من الأفكار الجديدة طالما أن هناك الروح القدس الذي يقودنا إلى الحق الجديد سأل فوسدك Fosdick : « كيف يسير الطب إن تقيد الأطباء باستعمال الدواء القديم الذي كانوا يستعملونه منذ ٣٠٠ سنة ؟ »! بل إن تمسكنا بالتديم زاد عن هذا الحد ، ولذا فكل من يأتي بالجديد عليه أن يجاهد . فقد أعتبر جاليليو ملحداً عندما أعلن أن الأرض تدور حول الشمس وقد نال لستر مقاومة وصداً لا مثيل له لأجل عمليات الطب الحديثة ، كما ذاق سمسون الأمرين في معارضة الناس للكلوروفورم. فلانرتعد من الجديد بل علينا أن نواجهه بدراسة جادة وتفكير عميق حتى نأخذ منه النافع لنا والعامل على نمونا .

٢ — يجب أن لا نخشى الطرق الحديثة . فإن كون الشيء قديماً قد يكون هذا أفضل الأسباب لتركه والكف عنه . كما أن الشيء الذي لم يعمله أحد من قبل قد يكون أنسب الأشياء لنا ، فلا يوجد رجل أعمال ينفذ أعماله بالطرق القديمة البالية . هكذا يجب على الكنيسة أن تجاري الجديد وأن تسير في طريق التطور فالتاجر الذي يفقد بعض زبائنه عليه أن يجدد طرق بيعه وعرض بضاعته حتى يربح الجميع . أما الكنيسة فكيف تقف حيث هي ؟!! مرة كان الشاعر كبلنج يسافر على ظهر سفينة عليها الجنرال بوث قائد جيش الخلاص وقد كان كبلنج مدققاً للغاية ومحافظاً على القديم . ولاحظ أن بوث ذهب إلى حيث يلعب فريق قطعة من الموسيقى الصاخبة ، فتضايق كبلنج من تصرف بوث هذا. وحين تعرف عليه أبلغه بضيقه من سماع بوث للموسيقى الصاخبة فأجابه بوث :

« ياصديقى إن كان ربح نفس واحدة يتطلب منى أن أقف على يدى وأضرب الدف بقدمى فإنى مستعد أن أفعل ذلك » ، يوجد تمسك حكيم بالقديم ، ويوجد أيضاً ما يجب تغييره فلذا لا يجب أن تكون عقولنا ضيقة جامدة غير مرنة بل فى شجاعة لنجاهد الجهاد الحسن .

ألاصْحَاحُ السَّادِسُ

إزدياد المقـاومة

وَفِى السَّبْتِ الثَّانِى بَعْدَ ٱلأَوَّلِ اُجْتَازَ بَيْنَ الزُّرُوعِ . وَكَانَ تَلَامِيذُهُ يَقْطِفُونَ السَّنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ وَهُمْ يَفْرُكُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ . فَقَالَ لَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ لِمَاذَا تَفْعَلُونَ مَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ فِى السُّبُوتِ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ أَمَا قَرَأْتُمْ وَلَا هٰذَا الَّذِى فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ . كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ وَأَخَذَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ وَأَكَلَ وَأَعْطَى الَّذِينَ مَعَهُ أَيْضاً . الَّذِى لَا يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلَّا لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ . وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ ٱبْنَ ٱلإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ .

(لوقا ٦ : ١ — ٥)

فى بداءة هذا الأصحاح وفى الجزء الذى أمامنا الآن نجد أول قصتين تظهر فيهما المقاومة الشديدة ليسوع علناً . وقد كانت الاتهامات المباشرة ضد يسوع هى كسر ناموس السبت لأنه عبر وتلاميذ طريقاً بين الزروع حيث قطف التلاميذ بعض السنابل . ولم تكن عملية قطف السنابل محرمة فى ذاتها لأن الناموس أعلن أنه لا جناية على من يقطف السنابل بدون منجل (تث ٢٣ : ٢٥) وهو عمل جائز فى كل يوم ماعدا يوم السبت . وكان اليهود يحرمون أربعة أشياء فى يوم السبت : الحصار ، ودرس السنابل ، والتذرية ،

ثم إعداد الطعام ، وبحسب إصطلاحهم هذا فقد كسر التلاميذ كل هذه .

إذ أنهم حصدوا عندما قطفوا السنابل ، ودرسوا عند فركها ، وذروا عندما أزالوا القش عن الحنطة ، ثم أعدوا طعاماً عندما أكلوا . وربما يعتبر هذا الأمر فى نظرنا مدعاة للضحك والسخرية ، لكنه فى نظر الفريسى المدقق مسألة حياة أو موت .

ولقد اقتبس يسوع عند اتهامهم إياه بكسر السبت قصة داود ورجاله التى فى (١ صم ٢١ : ١ - ٦) عندما أكلوا خبز الوجوه حين جاعوا . وقد كان الخبز يوضع فى كل سبت على المذبح أمام الله ، وهو عبارة عن إثنى عشر رغيفاً من دقيق أبيض ، منخول ما لا يقل عن ١١ مرة ، ومعد بمعدل رغيف عن كل سبط . وفى أيام حياة يسوع على الأرض كانت توضع هذه الأرغفة على مائدة من ذهب طولها ثلاثة أقدام ، وعرضها قدم ونصف ، وارتفاعها ثلاثة أرباع قدم ، وكان موقعها فى جانب القدس الشمالى . وما الخبز إلا دليل على وجود الله الدائم ، ولا يمكن أن يأكل منه أحد غير الكهنة (لا ٢٤ : ٥ - ٩) ولكن داود عندما احتاج أكل منه ضارباً بالقوانين والنظم عرض الحائط ، وقد قال فى ذلك الربيون « خلق السبت لك ولم تخلق أنت للسبت » أى أنهم آثروا مصلحة الناس فوق الناموس الطقسى ... فإذا كان الربيون كذلك فكم بالحرى يكون قلب ابن الإنسان الزاخر بالرحمة والعامر بالمحبة ، وهو رب السبت أيضاً والذى أوجده ، ألا يستطيع أن يستخدم السبت لأغراض محبته الكاملة !! ؟ ولكن الفريسيين الذين غرقوا فى قوانينهم وغاصوا فى شرائعهم ، تعاموا عن مطاليب الرحمة ومستلزماتها . وذلك يتضح من مراقبتهم ليسوع وتلاميذه أثناء مرورهم فى حقل الحنطة ، إذ برهنوا بذلك على تجسسهم عن كل أعمال يسوع بعين الحقد والبغضة والانتقاد والشر .

ومن خلال كلام يسوع للفريسيين « أما قرأتم مافعل داود ؟ » وأجابوه « نعم » . . تنتفض أمامنا حقيقة كبرى محاولة أن تثبت وجودها لهم ولنا نحن أبناء هذا العصر . لقد قرأوا ولكنهم لم يفهموا ما تعنيه الكلمات وماتتكلم به المعانى من حقائق سامية . فقد يقرأ إنسان الكتاب المقدس بتدقيق من أوله إلى آخره ويحفظه حرفياً لكنه لا يدرك معانيه العميقة وجواهره النادرة. لكن لسائل أن يسأل ما هو السر فى عدم فهمهم وإدراكهم ، وعدم وعينا نحن لما فى كلمة الله من تعاليم ؟ .

١ — عدم وجود القلب المفتوح « فلم يدرسوا الكتاب ليعرفوا مشيئة الله ، بل درسوه ليجدوا فيه مايؤيد أفكارهم ويؤكد معتقداتهم . وكثيراً ما يفعل الناس ذلك بأن يجذبوا عنان كلمة الله إلى جانبهم ولتدعيم صفوفهم ، بدلا من مجيئهم إلى الكتاب فى روح الخضوع ليتعلموا منه العقائد الصحيحة والنافعة ويكون لسان حالهم جميعاً « تكلم يارب لأن عبدك سامع » .

٢ — لم يأت الناس بالقلب المحتاج « فعندما يدرس الإنسان الكتاب وهو غير شاعر بحاجته إلى كلمة الله ، يفقد كل المعانى الغالية والحقائق السامية التى فى الكتاب « لكن عندما نشعر بحاجتنا ويقدم على مائدة الكلمة بهذا الإحساس لأخذنا من كلمة الله كل سام وجليل ووجدنا لنفوسنا حقاً جديداً . اضطرب الأسقف بتلر عند موته ، فقال له قسيسه الخاص «هل نسيت ياسيدى أن يسوع المسيح هو المخلص ؟ »فأجابه الأسقف وهو فى حشرجة الروح «لكن كيف أعرف أنه مخلصى ؟ » فوافاه القسيس بالقول « مكتوب من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً » ، عندئذ علت وجه الاسقف للشرف على الموت غلالة من نور سماوى وقال « قرأت هذه الكلمات ألف مرة ، ولم أر معناها غير الآن ولذلك سأموت بسلام » . . . نعم إن كنوز الكتاب مكشوفة لمن يشعر بحاجة قلبه إليه .

تحدِّى يسوع

وَفِى سَبْتٍ آخَرَ دخَلَ المَجْمَعَ وَصارَ يُعلِّمُ . وَكانَ هُناكَ رَجُلٌ يَدُهُ اليُمْنَى يَابِسَةٌ . وَكانَ الْكَتَبَةُ وَالفَرِّيسيُّونَ يُرَاقِبُونَهُ هَلْ يَشْفِى فِى السَّبْتِ لِكَىْ يَجِدُوا عَلَيْهِ شِكَايَةً . أَمَّا هُوَ فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِى يَدُهُ يَابِسَةٌ قُمْ وَقِفْ فِى الْوَسْطِ . فَقَامَ وَوَقَفَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَسْأَلُكُمْ شَيْئاً . هَلْ يَحِلُّ فِى السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ . تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ إِهْلاَكُهَا . ثُمَّ نظَرَ حَوْلَهُ إِلَى جَمِيعِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ مُدَّ يَدَكَ . فَفَعَلَ هٰكَذَا . فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى . فَامْتَلأُوا حُمْقاً وَصَارُوا يَتَكَالَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَاذَا يَفْعَلُونَ بِيَسُوعَ .

وَفِى تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّىَ . وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِى الصَّلٰوةِ لِلّٰهِ .

(لوقا ٦ : ٦ — ١٢)

أضحت المعارضة ضد المسيح أكثر وضوحاً وعنفاً فى نفس الوقت ، فقد أتى الكتبة والفريسيون إلى المجمع فى يوم السبت هذا أثناء تعليم المسيح مبيتين النية لمراقبته ليروا هل يشفى مريضاً فيحكموا عليه ويتهموه بكسر السبت . وبالمقارنة بين مت ١٢ : ١٠ ـ ١٣ و مر ٣ : ١ ـ ٦ نجد أن لوقا وحده هو الذى يخبرنا أن يد الرجل اليمنى يابسة ، فشخص لنا المرض بدقة كطبيب . وقدشفى

يسوع الرجل وبذلك كسر وصية السبت في نظرهم لأن الشفاء عمله محرم ، رغم أنه كان من الممكن معالجة المرض الخطير الذي يفضى إلى الموت في يوم السبت وخصوصاً إذا كان في العين أو الحنجرة ، لكن ذلك الرجل لم تكن حالته خطيرة بحيث تستدعي الشفاء العاجل إذ يمكنه أن ينتظر لليوم التالي. وهنا نرى يسوع يضع قانونه غير مكترث بكل النواميس الفريسية فيجيز فعل الخير في يوم السبت . وعندئذ سأل سؤاله الذي أوقفهم في صمت وحرج لاهل يجوز تخليص نفس أو هلاكها في يوم السبت ؟ » وقد أراد يسوع إنقاذ حياة الرجل في السبت أما هم فأرادوا إهلاك يسوع ، سعى هو لأجل الحياة أما هم فسعوا للموت . ويدور الحديث في هذه القصة بين ثلاثة أشخاص :

١ — الرجل صاحب اليدّ اليابسة . . ونجد عنه أمرين :

(ا) ورد في أناجيل الأبوكريفا الغير قانونية أن هذا الرجل كان يعمل في بناء الأحجار ، وقد أتى إلى يسوع يطلب الشفاء قائلا . « كنت أبنى الأحجار وأحصل على ما يسد رمقي وعائلتي بكد يدى . أرجوك ياسيد أن ترد لي يدى حتى لا أحتمل عار الاستجداء » . لقد كان الرجل يريد العمل ، والله لا يمكن أن يرد رغبة رجل يريد العمل بأمانة .

(ب) لقد حاول هذا الرجل المستحيل ؛ حتى أنه لم يجادل عندما قال له يسوع أمدد يدك ، ونجح بالفعل بقوة يسوع المعطاة له . هكذا ينبغي أن تتلاشى كلمة المستحيل من قاموس المؤمن ، لأنه يستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويه ، وكما قال عالم شهير : « إن الفرق بين الصعب والمستحيل هو أن المستحيل يأخذ وقتاً أطول في إنجازه » .

٢ — نرى يسوع . . وفي هذه القصة بالذات نجد جوا « ملتهبا » بتعبير

يسوع ، ولقد أيقن هو أنه مراقب ولـكنه شفى الرجل بدون تردد على مرأى من الجميـع إذ أمره أن يقف فى الوسط . قيل عن مبشر من أتباع وسلى أراد أن يعظ فى مدينة تبغضه ، فاستأجر منادى المدينة ليعلن عن ميعاد الاجتماع ، وأعلن الرجل بصوت خافت ؛ فأغتاظ المبشر وأخذ منه الجرس ونادى بكل قوة وأعلن أنه الواعظ . لذا يجب أن يعلن المسيحى إيمانه بقوة وشجـاعة مهما فعل المقاومون .

٣ — أخيراً يرى الـكتبة والفريسيين — الذين أبغضوا مضمد الجراح وشافى الآلام ومكفـكف الدموع ، والذين أحبوا أنظمتهم أكثر من محبتهم لله . . وبكل حزن وأسف نرى هذا الروح يتفشى بسرعة رهيبة فى كنائسنا اليوم ، حيث لا تحدث المجادلات بسبب الإيمان أو أمور روحية ؛ بل بسبب الأعمال الإدارية والأغراض الشخصية أو ما شاكل ذلك . وفى هذا الميدان قال ليفون : « نستطيع أن نستغنى عن بعض الأمور الإدارية بدون تعطيل لرسالة الـكنيسة ، ولـكننا لا نستطيع أن نستغنى أبداً عن السلام والوئام والمحبة والإرادة الصالحة » . وكم من الخطر أن نضع النظام فوق الإخلاص لله .

يسوع يختار تلاميذه

وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَهُ وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضاً رُسُلاً . سِمْعَانَ الَّذِي سَمَّاهُ أَيْضاً بُطْرُسَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ . يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا . فِيلِبُّسَ وَبَرْثُولَمَاوُسَ . وَمَتَّى وَتُومَا . يَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَسِمْعَانَ الَّذِي يُدْعَى الْغَيُورَ . يَهُوذَا أَخَا يَعْقُوبَ وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي صَارَ مُسَلِّماً أَيضاً.

وَنَزَلَ مَعَهُمْ وَوَقَفَ فِي مَوْضِعٍ سَهْلٍ هُوَ وَجَمْعٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ جَمِيعِ الْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ وَسَاحِلِ صُورَ وَصَيْدَاءَ الَّذِينَ جَاءُوا لِيَسْمَعُوهُ وَيُشْفَوْا مِنْ أَمْرَاضِهِمْ. وَالْمُعَذَّبُونَ مِنْ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ. وَكَانُوا يَبْرَأُونَ. وَكُلُّ الْجَمْعِ طَلَبُوا أَنْ يَلْمِسُوهُ لأَنَّ قُوَّةً كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَشْفِي الْجَمِيعَ .

(لوقا ٦ : ١٢ — ١٩)

فى هذا الفصل نرى إختيار يسوع لتلاميذه ، وحرى بنا أن نسأل عن الأسباب التى دعت يسوع لأن يختار تلاميذه لأننا لو عرفناها لأيقنا أنها نفس الأسباب الموجودة حتى اليوم .

١ — نرى يسوع فى مر ٣ : ١٤ يختارهم « ليكونوا معه » ولهذا معنيان

(ا) ليكونوا أصدقاءه. ومن الأمور التى تدعو للدهشة أن يسوع يحتاج إلى أصدقاء من البشر . وبحسب ما يمليه علينا الإيمان المسيحى نعلم أن الله لا يسر إلا بالبشر ، فإن لذات الله مع بنى آدم . وهذا ينتج من أبوة الله ، إذ فى قلب الآب المتسع يوجد مكان لآخر إنسان يقبل إليه .

(ب) رأى يسوع أن ساعته قد اقتربت وأن النهاية على الأبواب لذلك أراد أن يملى عليهم رسالته فيكونوا الرسالة الحية التى تصل لكل الناس .

٢ — إختارهم من تلاميذه . . وكلمة تلاميذ توحى بجماعة تجلس عند قدمى معلمها طالبة المعرفة ، هكذا يتعلم المسيحى طوال حياته من معلمه الذى يلاقيه يوماً ويقول : « أعرف كما عرفت » .

٣ — اختارهم ليكونوا رسله . وكلمة رسول تعنى باليونانية موسل أى سفير وبذلك هم سفراء المسيح .

درست فتاة فى مدرسة الأحد درساً عن التلاميذ ، لكنها لم تدرك معنى الكلمة لصغر سنها وعندما رجعت إلى البيت أخبرت والديها أنها درست عن الذين مثلوا يسوع. والسفير هو الذى يمثل بلده فى أرض غريبة فيصبح عنوانا وعينة لبلده . والمسيحى سفير عن المسيح بكلامه وبحياته وبكل مافيه .

وفى دراستنا عن الاثنى عشر نلاحظ شيئين :

١ — أنهم أناس عاديون جداً ، فلم يوجد بينهم عظيم أو غنى أو شهير أو صاحب تأثير . فقد كانوا أميين من عامة الشعب . وكأنى بالمسيح يقول : « أعطنى اثنى عشر شخصاً عادياً وأنا أفتن بهم المسكونة » . إننا كعاديين أو فقراء يجب آن نحس بالمسئولية أمام عمل الله .

٢ — كانوا خليطاً غريباً من البشر . فتجد بينهم حتى العشار المعتبر خائناً لوطنه وملحداً بأمته ، وسمعان الغيور صاحب الوطنية المتقدة والتعصب الملتهب لكل خائن ولكل رومانى متسلط . هذه هى المعجزة التى تظهرها قوة المسيح أن يتحد متى مع سمعان ويكونان رسل سلام ومن بين أتباع المسيح بل رسله. وعندما يكون المسيحيون مؤمنين بالفعل لابد أن يغمر السلام كل حياتهم مهما اختلفت أخلاقهم وتناقضت سجاياهم وتعارضت أمزجتهم فمحبة المسيح توحد صفوفهم ، وراية المسيح تجمع شملهم . وإن كنا نحب يسوع فإننـــا نحب بعضنا بعضاً .

نهاية قِيَم العالم

وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ طُوبَا كُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِين

لأَنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ ٱللهِ. طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْجِيَاعُ ٱلآنَ لأَنَّكُمْ تُشْبَعونَ. طُوبَاكُمْ أَيُّها البَاكُونَ ٱلآنَ لأَنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ. طُوبَاكُمْ إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ وَإِذَا أَفْرَزُوكُمْ وَعَيَّرُوكُمْ وَأَخْرَجُوا أَسْمَكُمْ كَشِرِّيرٍ مِنْ أَجْلِ ٱبْنِ الإِنْسَانِ. افْرَحُوا فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ وَتَهَلَّلُوا. فَهُوَذَا أَجْرُكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ. لأَنَّ آبَاءَهُمْ هٰكَذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالأَنْبِيَاءِ وَلٰكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّها الأَغْنِيَاءُ. لأَنَّكُمْ قَدْ نِلْتُمْ عَزَاءَكُمْ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّها الشَّبَاعَى لأَنَّكُمْ سَتَجُوعُونَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّها الضَّاحِكُونَ ٱلآنَ لأَنَّكُمْ سَتَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ. وَيْلٌ لَكُمْ إِذَا قَالَ فِيكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ حَسَنًا. لأَنَّهُ هٰكَذَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ بِالأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ.

(لوقا ٦ : ٢٠ — ٢٦)

تتقارب عظة لوقا فى السهل مع عظة متى على الجبل (مت ٥ — ٧) بشكل واضح . فكلتيهما تبدأ بالتطوبيات ولكن توجد بعض الفوارق بين الروايتين . وعندما نقف أمامهما وقفة تأمل ودراسة نجد أن المعلومات التى فيهما عبارة عن سلسلة متواصلة من متفجرات المعانى الثورية ، ولكننا مع كثرة قراءتنا السطحية لها ننسى المعانى الجميلة والمثيرة التى فيهما . ويجب أن نعلم أن وجه الشبه الذى بينهما ليس فى كل شىء ، فالقوانين التى يضعها فيلسوف أو عالم ما تختلف من قانون إلى آخر .

وقد قال فيها ديسمان Deissmann « لقد نطق المسيح بهما فى جو

كهربائى فهما ليسا نجمين صامتين ولكنهما يضيئان كالبرق ويعقبهما رعد من التعجب والانبهار » . فالذين يسميهم يسوع سعداء يدعوهم العالم تعساء ، وتصور شخصاً يقول « طوبى للمساكين وويل للأغنياء » !! ألا يكون بهذا قد وضع حداً لكل قيم العالم مجتمعة .

وإذا بحثنا عن حل لهذا لوجدناه فى ع ٢٤ حيث يقول يسوع : « ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم نلتم عزاءكم » فالكلمة « نلتم » تعنى « أخذتم استحقاقكم »، وهى نفس الكلمة التى يكتبها التاجر فى حساباته بعد أن يستوفى الكل . ولذلك قال المسيح « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ ! ! . وربما يعدك العالم بأنك ستخسر فى سيرك مع يسوع ، لكنك يجب أن تعلم يقيناً أن يوم المكافأة يأتيك حالا وحتماً . كما علينا أن نعرف أننا لا بد أن نختار الأبدية هنا ، فهل تختار الطريق السهل والمسر أم الطريق الضيق ؟ هل ترغب فى مسرات الحياة أم تضحى بها لتنال الخير الأعظم ؟ هل تركز مكافأتك فى الدنيا أم فى المسيح ؟ . . لكن إعلم أنك إذا اخترت العالم ستخسر المسيح وإن اتبعت المسيح سيتلاشى العالم أمام ناظريك . قال ف . ر. مالتبلى Maltibly « لقد وعد يسوع تلاميذه بثلاث أشياء : «عدم الخوف ، العيش فى سلام وفرح ، وفى إضطراب دائم » وأكد هذا المعنى ج . ك . تسسترتون عندما قال :« أحب أن أكون فى مصاعب وضيقات متقدة كالماء الساخن لأنها تحفظنى نظيفاً » . هكذا علمنا يسوع أن فرح السماء يعوضنا عن آلام البرية الجرداء ، وأمجاد الأبدية لا بد أن تنسينا خفة ضيقتنا الوقتية ؛ ولقد أجاد بولس فعلا عندما أشاد بهذه الحقيقة قائلا: « إن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً » (٢ كو ٤ : ١٧) . وهكذا تجابهنا التطويبات فى نهاية مطافنا فى هذه التأملات بالسؤال : « أتريد أن تكون سعيداً بطرق العالم أم بطرق يسوع ؟ » ! ! .

لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً. وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ. وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ. وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ هٰكَذَا. وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ. فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ. وَإِذَا أَحْسَنْتُمْ إِلَى الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَيْكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ. فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ هٰكَذَا. وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ. فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يُقْرِضُونَ الْخُطَاةَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمُ الْمِثْلَ. بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ. فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ. وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ. أَعْطُوا تُعْطَوْا. كَيْلاً جَيِّداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً يُعْطُونَ فِي

أَحْضَانِكُمْ . لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِى بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ .
(لوقا ٦ : ٢٧ — ٣٨)

كانت وصية المسيح عن محبة الأعداء مبعث بحث وتنقيب طويل وشرح مستفيض لكثيرين من الكتاب والمفكرين . . لذا وجب علينا قبل أن ننفذها عملا فى حياتنا أن نفهم ما تحتوى عليه من معانى دسمة : توجد ثلاث كلمات أو معانى فى اليونانية لكلمة « محبة » : الأولى هى eran وهى المحبة الشهوانية الجسدانية كتلك القائمة بين رجل وفتاة . ثم "philein" وهى المحبة التى بين الأقرباء والأصدقاء المحبة القلبية الحارة ، وكلتاهما ليس المقصود هنا أما الكلمة المقصودة هنا هى "agapan" وتحتاج إلى فصل كامل لشرحها وتفسيرها . . فهى تعنى الإحسان للآخرين والشفقة عليهم حتى لو أساءوا إلينا وأبغضونا لكننا نقدم إليهم العطف الكامل والمحبة المستكملة . لكن لا يجب أن يغيب عن بالنا أننا لا يمكن أن نحب أعداءنا بنفس الحب الذى للأقربين والأعزاء ، فهذا مستحيل على النفس البشرية ، لذا وجب أن نخدم المسىء إلينا إذا سنحت فرصة لخدمته . كما أن محبتنا لأحبائنا أمر طبيعى أما حبنا لأعدائنا فيخرج من صميم القلب والإرادة ، ويأتى نتيجة العزم والتصميم ، وعمل نعمة المسيح التى تخضع نفوسنا على ممارسة هذا الحب .

ولنا فى هذا الفصل حقيقتان عظيمتان عن الأخلاقيات المسيحية :

١ — إيجابية الخلق المسيحى . . فهو لا يدعو إلى الإحجام عن العمل بل الإقدام عليه . وأكد السيد المسيح بنفسه هذا المعنى ، عندما نطق بالقانون الذهبى للحياة المسيحية إذ نعمل للآخرين كما نريد أن يفعلوا بنا . كما أننا نجد كل التعاليم والعقائد الأخرى تنادى بهذا المعنى ولكنها تختلف عن المسيحية فى أنها تنادى بنفس القانون فى صيغة النفى أما المسيحية فتصوغه بالإيجاب . فمثلا

سأل أحدهم هليل Hillel المعلم اليهودى العظيم قائلا : علمنى كل القانون فى كلمة. فأجابه : « ما تبغضه لاتفعله مع غيرك ، وهذا هو كل القانون وماسواه فهو شرح له » . ولقد قال فيلو اليهودى الاسكندرى فى نفس المعنى : « الألم الذى تكرهه لاتؤلم به شخصاً آخر » . أما سقراط الخطيب اليونانى فقال « الأمر الذى أغضبك وآلمك وأنت بين يدى الآخرين لاتؤلم به الآخرين أيضاً » . وثمة قانون أساسى عند الرواقيين يقول : « مالاتريد أن يعمل معك فلا تعمله بآخرين » . وسئل كنفوشيوس عن كلمة واحدة تصلح قانوناً للعمل لكل إنسان فقال : « هى كلمة المبادلة » ، ما لا تريد أن يعمله الناس معك لا تعمله مع الآخرين » . وفى خلال سردنا لكل القوانين السابقة نرى أنها فى صيغة النفى ، وليس من الصعوبة بمكان أن يمتنع الإنسان عن أمر يكرهه ، ولكن ليس من السهل أبداً أن تغير خطتك وطريقة تعاملك مع الناس فتعمل مع الأخرين ماتحب أن يعاملوك به . هكذا ينحصر التصرف المسيحى فى أنك لاتعمل عملا رديئا فقط بل أن تعمل عملا صالحاً أيضاً .

٢ — إن الاخلاق المسيحية تتأسس على السلوك الغير عادى والغيرمألوف بالنسبة لعامة الناس . ولقد رفض المسيح الأخلاق العادية والتصرف المعهود لدى الناس عامة بقوله : أى فضل فى هذا ؟ فأحياناً يتصف البعض بأنهم صالحون مثل أقربائهم وذويهم ، وربما يكونوا كذلك ، لكن يسوع يقف أمامهم ويقول لكل منهم « كم أنت أفضل من الآخرين ؟ » لذلك وجب علينا أن لانقارن نفوسنا بالآخرين حتى وإن جانباً الصواب فى مقارنتنا ، بل أن ننظر دائماً إلى الله عندئذ يكون لسان حال الجميع « وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً » .

٣ — ماهو الدافع الحقيقى وراء التصرف المسيحى ؟ . . لنكون مثل الله

الذى يمطر على الأخيار والاشرار ، والذى يشفق على من يجلب السرور إلى قلبه كما يشفق أيضاً على من يحزنه ، فمحبة الله تتسع للقديسين والخطاة معاً ، وهذه هى المحبـــة التى يجب أن نسلـكها مع الآخرين بل مع أعدائنا والتى بموجبها نـكون أولاداً لله بالفعل .

فى عدد ٣٨ نجد القول « يعطون فى أحضانـكم » ، وهذا يرجع بنا إلى عادة اليهود فى ملبسهم ، فقد كانوا يرتدون ثياباً فضفاضة متسعة ، طويلة حتى الأقدام ويضعون حزاماً على الوسط لـكى يحـكم الثياب وعندما يشد الثوب من فوق الحزام يكون هناك مكان متسع يشبه الجيب الـكبير، يتسع لحمل أى شىء. ولذلك يكون معنى هذا التعبير : « أن الناس يملأون هذه الجيوب المتسعة »

قوانين الحيـاة

وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً . هَلْ يَقْدِرُ أَعْمَى أَنْ يَقُودَ أَعْمَى . أَمَا يَسْقُطُ الإثْنَانِ فِى حُفْرَةٍ . لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ . بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلاً يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ . لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِى فِى عَيْنِ أَخِيكَ وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِى فِى عَيْنِكَ فَلَا تَفْطِنُ لَهَا . أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لِأَخِيكَ يَا أَخِى دَعْنِى أُخْرِجِ الْقَذَى الَّذِى فِى عَيْنِكَ . وَأَنْتَ لاَ تَنْظُرُ الْخَشَبَةَ الَّتِى فِى عَيْنِكَ . يَا مُرَائِى أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى الَّذِى فِى عَيْنِ أَخِيكَ . لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً رَدِيًّا . وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ

ثمراً جيداً. لأنَّ كلُّ شجرةٍ تُعرفُ من ثمرِها. فإنَّهم لا يجتنون من الشوكِ تيناً ولا يقطفون من العُلَّيق عنباً. الإنسانُ الصالحُ من كنزِ قلبِهِ الصالحِ يُخرِجُ الصلاحَ. والإنسانُ الشرِّيرُ من كنزِ قلبِهِ الشرِّيرِ يُخرِجُ الشرَّ فإنَّهُ من فضلةِ القلبِ يتكلَّمُ فمُهُ. ولماذا تدعونني يا ربُّ يا ربُّ وأنتم لا تفعلون ما أقولُهُ.

(لوقا ٦ : ٣٩ — ٤٦)

عندما نقرأ هذا الفصل بانتباه كامل ، يخيل إلينا أن كلماته غير مرتبطة ، وأن أفكاره غير موحدة . وهناك تفسيران لهذه الظاهرة ، أولهما أن لوقا جمع بعض أقوال المسيح التى قيلت فى مناسبات مختلفة وفى نفس الموضوع . وثانيهما أن هذه الطريقة هى طريقة الوعظ عند اليهود . ويسمى اليهود الوعظ « كرز Charaz » ومعناها « خرز منظوم » كما اعتاد الواعظ اليهودى أن لا يطيل الحديث حول فكرة واحدة ، لكنه ينتقل من فكرة إلى أخرى آملا فى جذب انتباه السامعين . ولهذا يظهر أمامنا الوعظ اليهودى مفككا غير مرتبطاً . أما هذا الفصل فينقسم إلى أربعة أجزاء :

(١) عدد ٣٩ ، ٤٠ وفى هذا الجزء يحذر المسيح سامعيه من أن المعلم لا يقدر أن يقود تلاميذه إلى درجة أعلى من مستواه هو . وفى هذا تحذير مزدوج : أولا أن نطلب أفضل معلم ليقودنا إلى أفضل درجة . وثانياً ينبغى أن لا نُعلّم شيئا لا نعرفه ففاقد الشىء لا يعطيه .

(٢) عدد ٤١ ، ٤٢ وهنا مثل كامل لأخلاق يسوع . إذ يرينا من يريد أن يُخرج القذى من عين أخيه وفى عينه خشبة ، ومن يُخرج ذرات التراب

من عين أخيه وفى عينه كميات من الحصى . وبذلك يعلمنا يسوع أن لا ننتقد أحداً إن لم نكن نحن بلا لوم ، أو بعبارة بسيطة ليس لنا الحق أن ندين أحداً لأن فى حياتنا أخطاء. كما توجد حسنات فى أردأ الناس . إذن فمن العيب أن نبحث عن أخطاء الآخرين ، بل علينا أن نفتش عن حسناتهم .

(٣) عدد ٤٣ ، ٤٤ نرى فيهما أن الإنسان يُدانُ من أعماله . قال أحدهم لمعلم : « لا أقدر أن أستمع إلى كلامك لأنى أصغى لأعمالك » . والتعليم والوعظ كلاهما « الحقيقة فى شخصيَّة القائمين بها » فالكلمات اللطيفة الرقيقة لا يمكن أن تقوم مقام الأعمال . وهذا ظاهر اليوم . فاننا نخاف من تهديد الشيوعية والحركات العالمية الأخرى والمختلفة . كما أن هذه المبادىء الهدامة لا يمكن أن تسحق بكتاب كتب عنها . لكنها تزال بالبرهان العملى الذى يظهر تفوق المسيحية فى حياتنا التى تنتج رجالا ونساء أفضل .

(٤) عدد ٤٥ فى هذه الآية ذكر يسوع أن كلمات الشفاه من فضلة القلب ، ولا يستطيع أحد أن يتكلم عن الله إن لم يكن روح الله فى قلبه . كما أننا لا نستطيع أن نعرف حالة قلب رجل ما إلا من كلمات فمه عندما يتكلم بحرية مطلقة أو كما يقولون فى علم النفس « فى تداعى طليق » . فاذا سألنا بعض الأشخاص عن مكان ما أجاب أحدهم قرب الكنيسة . وقال الثانى قرب السينما . والثالث بعد برهة من التفكير أجاب : ليس بعيداً عن ملعب كرة القدم . وآخر يقول بقرب منزل فلان الكبير . . وبهذا نرى أن كلَّ واحدٍ عبَّر بما فى قلبه . إن كلامنا يشهر حقيقتنا .

الأساس الأكيد والوحيد

كُلُّ مَنْ يَأْتِى إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلاَمِى وَيَعْمَلُ بِهِ أُرِيكُمْ مَنْ

يُشْبِهُ . يُشْبِهُ إِنسَاناً بَنَى بَيْتاً وَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ ٱلْأَسَاسَ عَلَى ٱلصَّخْرِ فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذٰلِكَ البَيْتَ فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزَعْزِعَهُ لِأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى ٱلصَّخْرِ . وَأَمَّا ٱلَّذِي يَسْمَعُ وَلاَ يَعْمَلُ فَيُشْبِهُ إِنْسَاناً بَنَى بَيْتَهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنْ دُونِ أَسَاسٍ. فَصَدَمَهُ النَّهْرُ فَسَقَطَ حَالاً وَكَانَ خَرَابُ ذٰلِكَ البَيْتِ عَظِيماً .

(لوقا ٦ : ٤٧ — ٤٩)

إذا أردنا أن نفهم هذا المثل بشكل وضوح لابد أن نقرأ ما جاء فى (مت ٧ : ٢٤ — ٢٧) . فنجد أن لوقا لا يوضح كلمة نهر لأنه ليس مواطنا « فلسطينيا » وليس فى مخيلته صورة كاملة عن الظروف والأحداث التى تجرى فيها . أما متى الذى عاش فى فلسطين فيعرف الصورة واضحة بكل جوانبها . ففى فلسطين تجف مياه الأنهار صيفا ويصير مجراها رملياً لا ماء فيه . ومتى جاءت الأمطار فى شهر سبتمبر تمتلىء الأنهار بوفرة حتى عندما يأتى الشتاء يكون تيارها جارفاً . فإن استحسن إنسان أن يبنى بيتاً على رمل النهر الجاف فى وقت الصيف ، فسرعان ما تأتى مياه الشتاء بتيارها الجارف فيسقط البيت ويكون سقوطه عظيما . أما الرجل العاقل فيبحث عن مكان صخرى حتى عندما تأتى المياه وتصدم بيته المقام على الصخر يثبت ولا يتزعزع .

ومن هذا المثل نتعلم أهمية وضع الأساس الصحيح للحياة فتبنى الحياة على طاعة تعاليم فادينا يسوع . والآن لنا أن نسأل ما الذى جعل الجاهل يختار بناء بيته على الرمل ؟ :

(١) أراد الجاهل أن يريح نفسه من عناء ومشقة الحفر فى الصخر ، فاستسهل

أن يحفر فى الرمال الهينة الحفر . لقد اختار الطريق الأسهل . ونحن كم من أحيان تسهل علينا طرقنا الخاصة ونبتعد عن عناء السير فى طريق يسوع فتكون النهاية الخراب والدمار . وقد تظهر طريق يسوع صعبة فعلا لكن لنعلم مؤمنين أن آخرتها نعيم دائم وهناء مقيم هنا وفى الأبدية .

(٢) كان الجاهل قصير النظر ، لم يفكر ولو لبرهة من الوقت فى ماذا سيكون بعد ستة شهور . هكذا يوجد فى كل قرار فى الحياة الأمد البعيـــد والنظر القريب . وسعيد هو الإنسان الذى لا يبيع المستقبل الباهر الصالح لأجل لذة وقتية حاضرة . وسعيد ذلك المرء الذى ينظر للأشياء لا فى نور الحاضر الخافت بل فى نور الأبدية الوضاء . ومن الأفضل لنا أن نعلم أن طريق شاق . ومن الأفضل أيضاً أن ننظر إلى ما هو أبعد مما تحت أقدامنا . وهكذا نجد نفوسنا وقد تأسست على تعاليم يسوع فلا نهتز من الزوابع العاصفة أو الأعاصير المدمرة .

الأَصْحَاحُ ٱلسَّابِعُ

إيمان جندي

وَلَمَّا أَكْمَلَ أَقْوَالَهُ كُلَّهَا فِي مَسَامِعِ ٱلشَّعْبِ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ. وَكَانَ عَبْدٌ لِقَائِدِ مِئَةٍ مَرِيضاً مُشْرِفاً عَلَى ٱلْمَوْتِ وَكَانَ عَزِيزاً عِنْدَهُ. فَلَمَّا سَمِعَ عَنْ يَسُوعَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ شُيُوخَ ٱلْيَهُودِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَشْفِيَ عَبْدَهُ. فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى يَسُوعَ طَلَبُوا إِلَيْهِ بِٱجْتِهَادٍ قَائِلِينَ إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هٰذَا. لِأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا وَهُوَ بَنَى لَنَا ٱلْمَجْمَعَ. فَذَهَبَ يَسُوعُ مَعَهُمْ. وَإِذْ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ ٱلْبَيْتِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَائِدُ ٱلْمِئَةِ أَصْدِقَاءَ يَقُولُ لَهُ يَاسَيِّدُ لَا تَتْعَبْ. لِأَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي. لِذٰلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ. لٰكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ غُلَامِي. لِأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ مُرَتَّبٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ. لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. وَأَقُولُ لِهٰذَا ٱذْهَبْ فَيَذْهَبُ وَلِآخَرَ ٱئْتِ فَيَأْتِي وَلِعَبْدِي ٱفْعَلْ هٰذَا فَيَفْعَلُ. وَلَمَّا سَمِعَ هٰذَا تَعَجَّبَ مِنْهُ وَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْجَمْعِ ٱلَّذِي يَتْبَعُهُ وَقَالَ أَقُولُ لَكُمْ لَمْ أَجِدْ وَلَا فِي

إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هٰذَا. وَرَجَعَ الْمُرْسَلُونَ إِلَى الْبَيْتِ فَوَجَدُوا الْعَبْدَ الْمَرِيضَ قَدْ صَحَّ.

(لو ٧ : ١ — ١٠)

ترتكز هذه القصة حول شخصية بارزة فيها وهي شخصية قائد المئة الروماني ومن تتبعنا لما جرى في القصة من أحداث نجد أن هذا الرجل غير عادي في كل ما يتصف به من صفات وسجايا :

١ — كان قائد مائة . . وقائد المئة لا يمكن أن يكون رجلا عاديا فهو بمثابة الرقيب الأول والضابط المباشر لجنوده. كما أن قادة المئة هم السلسلة الفقرية في الجيش الروماني . وحيثما جاء ذكر قائد المئة في العهد الجديد ، ذكر بالسمات الطيبة والخصال الحميدة (لو ٢٣ : ٤٧ ، أع ١٠ : ٢٢ ، ٢٢ : ٢٦ ، ٢٣ : ١٧ و ٢٣ و ٢٤ ، ٢٤ : ٢٣ ، ٢٧ : ٤٣) . وقد وصف بلبيوس Polybius المؤرخ قادة المئة بأنهم « لا يطلبون ضرراً في أوامرهم ، بل ثابتون في أعمالهم ، أكفاء في حمل مسئولياتهم وتبعاتهم ، لا يندفعون للحروب ولكن عندما تصدر إليهم الأوامر بالثبات في مواقعهم يربضون في أماكنهم حتى الموت في بسالة نادرة » . ولو لم يكن قائد المئة رجلا من الرجال الرواسخ الأشداء لما أوكلت إليه هذه الوظيفة.

٢ — كان موقفه مع عبده موقفاً نادراً . فقد أحب عبده حباً جماً واحتمل مشقة التعب لينقذه ، مع أن العبد في القانون الروماني ما هو إلا كآلة لا حقوق لها . ولا ينتظر من سيده إلا الوحشية في المعاملة والقسوة المميتة بل القتل لو رغب السيد . وقد كتب أحد كتبة الرومان يوصي الفلاح أن يفتقد الآلات الزراعية ويعزل ما تلف منها ، وأن يفعل نفس الشيء مع عبيده . وكان هذا أمراً عادياً جداً فالعبد الذي لم يقم بواجبه على أكمل وجه يتركونه بلا عناية ويطرحونه

خارجاً إلى أن يموت . أما معاملة قائد المئة فكانت نادرة حقاً .

٣ — كان عميقاً فى تدينه . . فقد بنى المجمع ، وكان فى عمله هذا فذاً بالفعل . وقد شجع الرومان الدين . لا لأى أمر إلا لتهدئة ثورة اليهود والابتعاد عن أى هرج . وهكذا أمر أغسطس ببناء المجامع لهذا الغرض . ويقول « جيبون Gibbon » : « كانت نماذج الدين المختلفة فى عهد الرومان معتبرة أنها حقيقية عندالفيلسوف كمثل الجاهل ، وكذلك اعتبرها الحاكم أنها مفيدة » أما قائد المئة هذا فلم يكن متهكماً بل متديناً بإخلاص .

٤ — كانت نظرته لليهود غير عادية وكان موقف اليهود منه نادراً . . إذ احتقر اليهود الأمم ولذلك أبغضهم الأمم واعتبروهم الرومان متبربرين جهلاء. كما تشدق الرومان كثيراً بكراهية اليهود للإنسانية جمعاء واتهموهم بعبادة رأس حمار وبذبح رجل غريب سنوياً لإلههم . وربما نجد كثيرين من الأمم قد أنهكهم الجرى وراء العديد من الآلهة . والأخلاق الفاسدة التى فى الوثنية ، وقبلوا تعليم اليهود بعبادة الإله الواحد الحقيقى ؛ وسلكوا بموجب الآداب اليهودية . لكن هذه القصة ترينا عمق الصداقة بين قائد المئة واليهود.

٥ — كان رجلا متواضعاً . . لأنه عرف أن اليهودى المدقق لا يمكنه الدخول إلى بيت رجل أممى ؛ كما أنه لا يسمح للأممى أن يدخل بيته أو أن تقوم بينهما أية علاقة . وذلك بأمر الشريعة كما فى (أع ١٠ : ٢٨) . لذلك لم يأت ليسوع بنفسه بل أرسل إليه أصدقاءه اليهود الذين يمكنهم أن يتصلوا به وفى ذلك نرى أن الرجل تشبع بروح الإمرة العسكرية واعتاد على إصدار الأوامر رافع الرأس واثقاً من تنفيذها على وجه الدقة . يخضع بل يتضع أمام عظمة يسوع الحقيقية .

٦ — كان رجل الإيمان « وقد تأسس إيمانه بالله على برهان عملى سليم فإن كان بسلطان يأمر فيطاع . فكم بالحرى يكون سلطان يسوع . وظهرت ثقته فى قوله : « ياسيد أنا أعلم أنك تقدر أن تفعل هذا » . وإن كان إيماننا كهذا الإيمان لأصبحت حياتنا مغمورة بمعجزات لا تنتهى .

شفقة المسيح

وَفِى الْيَوْمِ التَّالِى ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ . فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ ابْنٌ وَحِيدٌ لِأُمِّهِ وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا لَا تَبْكِي . ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ . فَقَالَ أَيُّهَا الشَّابُّ لَكَ أَقُولُ قُمْ . فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ . فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ . وَخَرَجَ هٰذَا الْخَبَرُ عَنْهُ فِى كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ .

(لوقا ٧ : ١١ — ١٧)

فى هذه الفقرة وفى الفقرة التى قبلها نجد لوقا يتكلم كطبيب بأسلوب علمى، ففى عدد ١٠ نجد الكلمة المترجمة « قد صح » وهى كلمة علمية طبية لصحة المريض. وفى عدد ١٥ نجد الكلمة « جلس » وهى تصف علمياً مريضاً جلس فى فراشه.

أما الحادثة التى أمامنا فحدثت فى نايين التى تبعد مسيرة يوم واحد عن كفرناحوم ، وتقع بين عين دور وشونم حيث أقام أليشع قديماً ابن الأرملة (٢ مل ٤ : ٨—٣٧) . كما توجد هناك إلى اليوم مقبرة صخرية تقع على مسيرة عشر دقائق على الأقدام من نايين إلى عين دور. ومن جوانب عديدة ونواحى مختلفة نجد أن هذه القصة أجمل قصة فى كل الأناجيل :

١ — ترينا قوة عواطف البشر « فترى النعش تسير أمامه جماعة الحزانى المأجورين ممسكين بالناى والصنوج ليخرجون نغمات حزينة مصطنعة . كما أنك تسمع كل كلمات الألم من وجوه عابسة مرددين كلمات كأنها مرثاة « كان وحيداً لأرملة منكوبة ، لقد انكسر قلبها بين الصباح والمساء ». رثى أحدهم ميتاً فقال : « مادامت زرقة السماء موجودة واخضرار الحقول مستمر . يعقب الليل النهار ويتمخض الليل بالصباح ، شهر يعقب شهراً بالحزن وسنة تتبع أخرى بالأنين ». كما تكلم فرجيل الرومانى والشاعر الموهوب عن « دموع الأشياء » وهذه هى طبيعة الحال فى عالم يكسر القلوب .

٢ — يضيف لوقا إلى لوعة الحياة عطف يسوع وشفقته . فقد عطف يسوع على الناس بكل قلبه وملأت الشفقة كل كيانه . ولم توجد فى اليونانية كلمة أقوى مما نطق به يسوع تدل على العطف المفرط والمشاعر المرهفة الحساسة (مت ١٤ : ١٤ ؛ ١٥ : ٣٢ ؛ ٢٠ : ٣٤ ؛ مر ١ : ٤١ ؛ ٨ : ٢) . وكان العطف فى حياة القدماء ليس أساسياً . فقد أغرموا بالتصوف ، واعتقد الرواقيون أن صفة الله الأولى هى القسوة ، فعندما يشعر إنسان ما بمشاعر الحزن أو السرور كانوا يرجعون ذلك إلى تأثير قوى من شخص عظيم . وبما أنه لا يوجد من هو أعظم من الله لذلك فلا يوجد تأثير عليه وعلى هذا فهو يمثل القسوة والسيطرة والبطش . ولقد تعجب الناس كثيراً من ابن الله الذى شعر بحالة البشر وشاركهم

آلامهم، واعتبروا أن أثمن شيء فى يسوع أنه شارك البشرية ظروفها وما تجتاز فيه من أفراح واتراح.

٣ — أضاف لوقا إلى عطف يسوع القوة الفعالة . تقدم ولمس النعش ، لم يكن هناك كفن لأن الشرقيين لا يستعملونه مع موتاهم ، بل استخدموا نوعاً من السلال لحمل الجثة إلى القبر ، وق كانت فرصة مذهلة كقول أحد المفسرين : « استخدم يسوع سلطانه قائلا ماذا يفعل الموت فى قفص الحياة ؟» ليس يسوع هو رب الحياة فقط ، بل إله الموت الذى انتصر عليه بقوة شخصه ، ووعدنا قائلا « إنى أنا حىّ فأنتم ستحيون » (يو ١٤ : ١٩) .

البرهان النهائى

فَأَخبَرَ يُوحَنَّا تَلاَمِيذُهُ بِهٰذَا كُلِّهِ . فَدَعَا يُوحَنَّا اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى يَسُوعَ قَائِلاً أَنْتَ هُوَ الآتِى أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ . فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ الرَّجُلاَنِ قَالاَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ قَائِلاً أَنْتَ هُوَ الآتِى أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ . وَفِى تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَدْوَاءٍ وَأَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِعُمْيَانٍ كَثِيرِينَ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا أَنَّ الْعُمْىَ يُبْصِرُونَ وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ وَالْبُرْصَ يُطَهَّرُونَ وَالصُّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالْمَسَاكِينَ يُبَشَّرُونَ . وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِىَّ .

فَلَمَّا مَضَى رَسُولاَ يُوحَنَّا ابْتَدَأَ يَقُولُ لِلجُمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا. مَاذَا خَرَجْتُم إِلَى البَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ بَلْ مَاذَا خَرَجْتُم لِتَنْظُرُوا إِنْسَانًا لاَبِسًا ثِيَابًا نَاعِمَةً. هُوَذَا الَّذِينَ فِي اللِّبَاسِ الفَاخِرِ وَالتَّنَعُّمِ هُمْ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ. بَلْ مَاذَا خَرَجْتُم لِتَنْظُرُوا. أَنَبِيًّا. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ. هٰذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ بَيْنَ المَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ. وَلَكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ سَمِعُوا وَالعَشَّارُونَ بَرَّرُوا اللهَ مُعْتَمِدِينَ بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا.

(لوقا ٧ : ١٨ — ٢٩)

في يوم ما أرسل يوحنا المعمدان تلاميذه إلى يسوع ليسأل : (أنت هو الآتي أي المسيا الملك الممسوح أم ننتظر آخر ؟) ولتوضيح هذا السؤال لنا الأمور الآتية :

١ — أدهشت هذه الحادثة كثيرين من المفكرين لأجل مايبدو فيها من شك واضح في فكر يوحنا . وقد وجدت تفاسير كثيرة لهذا الأمر :

(ا) أرسل يوحنا تلاميذه لا لأجل تأكيد إيمانه هو ، بل لتثبيت إيمانهم هم ، فقد أحس بارتيابهم وعدم ثباتهم فأرادهم أن يوجهو الجواب المقنع والحق اليقين .

(ب) أراد يوحنا أن يسرع يسوع فقد جاء الوقت ليتقدم لعمل حاسم .

(حـ) أما التفسير الثالث فهو أبسط التفاسير وأحسنها . فعندما نفكر فيما حدث ليوحنا نجد أنه ابن البرية الذى قضى طيلة حياته فى الخلاء الفسيح ، كان معتقلا فى قلعة ماخيروس .. حدث مرة أن سجن أحد الرؤساء فى غرفة صغيرة فى قصر كارليل . وكانت به نافذة صغيرة . وكنت ترى أثر أقدام السجين على الأحجار الرملية . وآثار يديه حينما كان يرفع جسده وينظر من تلك النافذة يوماً فيوماً حتى هذا اليوم . متلهفاً بل تواقاًلرؤية التلال والوديان فى الخارج، والنجاد والوهاد التى حرم من السير فيها . هكذا سأل يوحنا هذا السؤال للمسيح لأنه تضايق من السجن الذى كبل نفسه وأزهق روحه ملتمساً حريته .

٢ — عندما تلاحظ البرهان الذى قدمه يسوع . تجده يشير إلى القوة التى اختبرها المرضى والفقراء والبسطاء وكيف سمعوا الأخبار السارة . لكن يوحنا لم يجد جواباً شافياً لسؤاله.فقد انتظر يوحنا أن يكون الجواب« تجمعت جيوش جرارة ممسكة بسيوف قواطع ستسقط قيصرية بمركز الحكومة الرومانية . . سيباد الأشرار وستأتى الدينونة الرهيبة » انتظر يوحنا أن يقول يسوع «جاء غضب الله» أما يسوع فقال «أتت الرحمة الالهية».عندئذ زالت الأتراح وحلت البهجة لأن فى حضرة يسوع يزول الحزن والتنهد . جاء ملكوت الله لينتزع الحزن والألم والموت إلى الأبد. قال يسوع « قولوا ليوحنا.. قد أتت محبة الله » .

٣ — مدح يسوع يوحنا بعد ذهاب رسله . لقد ذهبت الجموع إلى البرية لينظروا ويسمعوا يوحنا.لم يروا قصبة تحركها الريح.وهذا يعنى واحداًمن شيئين:

(ا) أن ظهور قصبة تحركها الريح على شاطىء البحيرة أمر عادى ، لكنهم خرجوا لا لينظروا منظراً عادياً .

(ب) القصبة التى تحركها الريح تعنى عدم الثبات، لكنهم خرجوا لينظروا رجلا ثابتاً كجبل أشم، فلم يروا إنساناً لابساً ثياباً ناعمة يسكن القصور الشاهقة المنيفة . إذن ماذا خرجوا ليروا ؟ :

١ ـ مدح يسوع يوحنا .. لقد انتظر الناس يوحنا قبل الملك الممسوح ، وقد جاء يوحنا كإيليا يعد الطريق فهو معد الطريق ليسوع (ملا ٤ : ٥) .

٢ ـ وضع المسيح حدود يوحنا إذ قال إن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه . لماذا ؟ . يقول البعض : « لأنه شك » ، ولكن الإجابة السديدة هى أن يوحنا كان الخط الفاصل فى التاريخ :ومنذ إعلان يوحنا بمجىء المسيح اجتاحت الأزلية الزمن ، ولامست الأرض السماء ،وظهر الله فى المسيح ،وبذلك تغيرت الحياة ، وانقسم التاريخ إلى ق ، م ،ب ، م . إن يسوع وحده هو الخط الفاصل ، وكل الذين يأتون بعده ينالون بركة أكثر من الذين كانوا قبله ، وقد قسم دخول المسيح إلى العالم كل شىء إلى قسمين ، لذا كان من المحتم أن يقسم حياتنا عندما يدخل قلوبنا . إلى ماض مدلهم أستتر فى محبة المسيح وإلى حاضر منير ومستقبل مشرق . فلقد خلق الكل جديداً «إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة » (٢ كو ٥ : ١٧) . قال بلينى الشهيد : « عندما أقرأ أن المسيح جاء إلى العالم ليخلص الخطاة أرى أن نور النهار باغت الليل البهيم » .

زيغان الناس

وَأَمَّا الفَرِّيسيُّونَ وَالنَّامُوسِيُّونَ فَرَفَضوا مَشُورةَ اللهِ مِنْ جِهةِ أَنفسِهِمْ غَيْرَ معتَمِدِينَ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ فَبِمَنْ أُشَبِّهُ أُنَاسَ هذَا الْجِيلِ وَمَاذَا يُشْبِهُونَ . يُشْبِهُونَ أَوْلاداً جَالِسِينَ فِي السُّوقِ يُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيَقُولُونَ زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا. نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا. لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ خَمْراً فَتَقُولُونَ بِهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فَتَقُولُونَ هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشَرِيبُ خَمْرٍ. مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا .

(لوقا ٧ : ٣٠ — ٣٥)

فى هذا الفصل نجد تحذيرين عظيمين .

١ — الأول يخبرنا عن خطر الإرادة المطلقة «لقد نجح الكتبة والفريسيون في رفض مشورة الله لأنفسهم، لكن الحق المسيحى هو أن ما يلزمنا به الله ليس إلزام القوة بل إلزام المحبة ، والنظرة الصادقة تجعلنا نلمس غضب الله حين يرى الذين أحبهم يتلمسون طريقاً رديئاً، فيصلون إلى أعماق الضلال بعيداً عن القصد الإلهى لحياتهم . وهذا أعظم ما يكسر قلب إنسان ، قال السير وليم وطسون فى قصيدة عنوانها « النور المفقود » « أخذت الأيادى الضعيفة النفوس القوية وحملتها على معاندة قصدك اللطيف ، وربطتها بأغلال محكمة وأصفاد متينة بدون مقاومة منها ، أما الأذرع الأبدية السماوية فقد قطعت تلك الربط . . لكن العيون الهادئة حولت زورق حياتى إلى بحر ساكن ، وقادتنا إلى مرفأ السلام لنعيش فى طهارة ونقاوة بحكمة وتعقل ، تسبح فى النور وتندمج فى شخصك .. مررت بنا وألبستنا الثياب البيض فى أيام التكريس.. وجعلتنى

فى طريق منير — وتركت من اتبع طريق الغواية ، حيث يقودهم بريق طريق الضلال للبعد والالحاد » . ولعل أكثر مايؤسف القلب هو الرجاء الضائع فى الإصلاح ، ولذلك صار غضب الله على ماصارت إليه حياتنا كقول ج. ك . تشسترتون Chesterton : « لم يفرض الله نظاما ، بل عمل رواية كاملة تركها للبشر ليمثلوا أدوارها ولكنهم أفسدوها »ليحفظنا الرب من انكسار سفينة حياتنا فنحزن قلبه الأبوى فى السير فى ارادتنا المطلقة حيث نرفض مشيئة الله لأنفسنا .

٢ — التحذير الثانى يخبرنا عن عناد الإنسان .. إذ جاء يوحنا المعمدان لا يأكل ولا يشرب فقال عنه الكتبة والفريسيون : به شيطان . وأتى يسوع واختلط مع الناس فقالوا عنه أكول وشريب خمر . وعندما نعود بأفكارنا إلى أيام طفولتنا لتذكرنا عنادنا لكل شىء ، هكذا كأطفال نقاوم إرادة الله دائماً بكل عناد فيندمج القلب البشرى بحمأة الخطية .

٣ — يوجد قليلون يرتضون بحكمة الله . . فكثيراً ما استخدم الإنسان إرادته المطلقة فى مهاجمة ومقاومة غرض الله ، وبذلك يعمى الإنسان بعناده ويصم أذنيه عن سماع مايريده الله . أماالله فلا يضع فرضاً على الانسان ويكبله بقيود حديدية ، بل اختار الله طريق المحبة وإن كانت تبدو قاسية فى طاعتها لكن آخرتها الانتصار والظفر .

محبة خاطىء

وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ فَدَخَلَ بَيْتَ ٱلْفَرِّيسِيِّ وَٱتَّكَأَ . وَإِذَا ٱمْرَأَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ ٱلْفَرِّيسِيِّ جَاءَتْ

بِقَارُورَةِ طِيبٍ . وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً وَٱبْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ . فَلَمَّا رَأَى ٱلفَرِّيسِيُّ ٱلَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً لَوْ كَانَ هٰذَا نَبِيًّا لَعَلِمَ مَنْ هٰذِهِ ٱلمَرْأَةُ ٱلَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ . إِنَّهَا خَاطِئَةٌ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ يَا سِمْعَانُ عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ . فَقَالَ قُلْ يَا مُعَلِّمُ . كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ . عَلَى ٱلوَاحِدِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ . وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعاً . فَقُلْ . أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبّاً لَهُ . فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ أَظُنُّ ٱلَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ . فَقَالَ لَهُ بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ . ثُمَّ ٱلتَفَتَ إِلَى ٱلمَرْأَةِ وَقَالَ لِسِمْعَانَ أَتَنْظُرُ هٰذِهِ ٱلمَرْأَةَ . إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ وَمَاءً لِأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ . وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا . قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي . وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ . بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي . وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ

قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا . وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً . ثُمَّ قَالَ لَهَا مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ . فَابْتَدَأَ الْمُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَنْ هٰذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضاً . فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ .

(لوقا ٧ : ٣٦ — ٥٠)

هذه القصة من ضمن القصص التى عندما نتأملها توحى إلينا بأن لوقا كان فناناً ماهراً .

(١) كان المشهد فى فناء بيت سمعان الفريسى. واعتاد الأغنياء أن يتركوا حول بيوتهم فناء مكشوفاً به حديقة غناء ونافورة مياه . وكانوا يجلسون فى هذا الفناء صيفاً لتناول طعامهم.ودرج الناس على المجىء إلى بيوت معلمى الدين اليهود أثناء تناول الطعام بحرية كاملة ليسمعوا الدرر الغوالى والجواهر الثمينة التى يتفوهون بها . وهذا يعنى أن النساء كن يحضرن أيضاً للسماع .

وقضت العادة والتقاليد أن يعمل المعلم اليهودى ثلاثة أمور لضيفه : يضع يده على كتف الضيف ويقبله قبلة السلام . إذ كانت القبلة هى علامة الاحترام التى لا تنقطع من بيت المعلم الممتاز . ولما كانت الطرق غير معبدة كثيرة الأتربة . والأحذية نعالا تثبت فى القدم . كان على صاحب البيت أن يقدم للضيف ماء بارداً يصبه على قدميه للنظافة والراحة من عناء السير . ثم وجب على المضيف أيضا أن يسكب شيئا من العطور والطيب على رأس الضيف أو يطلقون رائحة البخور نفاذة قوية تتردد فى جنبات البيت . . ولم يعمل المضيف شيئاً واحداً من هذه الواجبات مع يسوع . . . كما قضت التقاليد أيضا أن

لا يجلس الضيف بل يستند على المائدة مضطجعاً على وسادة مريحة . متكئاً على الذراع الأيسر حتى يكون الذراع الأيمن حراً فى الحركة . وتمتد القدمان إلى الخلف حيث تكون خالية من النعال أثناء تناول الطعام . ومن تأملنا لهذا الوضع نستطيع أن نفهم كيف تمكنت المرأة من الوقوف عند قدمى يسوع .

(٢) كان سمعان فريسياً منطـــوياً ومعتزلا . لكنه دعا يسوع لأسباب ثلاثة :

(ا) ربما كان معجباً بيسوع حانياً عليه لأن الفريسيين لم يكونوا جميعاً أعداء ليسوع (لو ١٣ : ٣١) ولو أن ما حدث هنا كان مفعمـــاً بالخشونة الظاهرة .

(ب) ربما كان يتحين الفرص السانحة ليتربص ليسوع عله يجد انتقاداً أو شكاية يتهمه بها . لكن هذا ليس محتملا . لأنه دعاه يامعلم كما فى عدد ٤٠ .

(جـ) غالباً كان السبب الرئيسى أن أمثال سمعان يحبون الشهرة والصيت الذائع . فدعا يسوع ليتناول الطعام معهم . وهذا ما ظهر فى الموقف الغريب من حذف الكثير من تقاليد الاحترام الواجبة الحدوث فى مثل هذه الموائد رغم أن سمعان حاول أن يكرم يسوع جزئياً .

(٣) كانت المرأة خاطئة .. تحمل عار الزنا والفحشاء . لها ماض متشح بالسواد ، مغموس فى الرذائل . ولا شك أنها سمعت حديث يسوع وأيقنت أنه وحده القادر أن يرفعها من وهدتها . وكانت زجاجة طيب غالية الثمن مربوطة حول عنقها كعادة كل يهودية . فأرادت أن تسكبها على قدمى يسوع رغم أنها كل ما كان لديها . وسقطت دموعها على قدمى يسوع عندما تقابلت سهام أنظار يسوع الفاحصة مع أنظارها . وعادة يكون شعر المرأة اليهودية مسدولا عند الحزن . مربوطاً فى مناسبـــات الفرح

والسرور وحفلات الزفاف .. إلخ . والحقيقة أن هذه المرأة أرخت شعرها الطويل فى وسط الجمهور لتمسح به قدمى يسوع . لأنها تعامت كل الناس ولم تر إلا يسوع وحده .

فى هذه القصة الطريفة نرى مقارنة بين موقفين للعقل والقلب :

(ا) لم يشعر سمعان بحاجته إلى الغفران ولم تلتهم قلبه نيران محبة يسوع لأنه ظن أنه مقبول عند الله والناس على حد السواء .

(ب) شعرت المرأة باحتياجها الشديد ، وأحست بإعوازها اللحوح ، فغمرت قلبها محبة جارفة ليسوع الذى سيقيمها من سقطتها ، وبذلك نالت مغفرة خطاياها. حقاً أن أشر مايبعد الإنسان عن الله هو ذلك المرض الممقوت « الاكتفاء بالذات » . أما نحن فلنعلم أن الشعور القوى بثقل خطايانا ، وبحاجتنا لله ، هو السلم الأول فى طريق الغفران . وبذلك يقـــول بولس من أعماق أعماقه : « الخطاة الذين أولهم أنا » (١ تى ١ : ١٥) . ويردد فرنسيس الأسيسى : « لايوجد خاطىء تعيس وبائس مثلى » . وأكثر الناس خطأ وشراً من لايحس بخطاياه ، ويشعر بصلابة أنيابها المفترسة ووعورة مخالبها الحادة .. وأما من يشعر بحاجته الماسة للمغفرة فيجد الباب مفتوحاً على مصراعيه لغفران كامل شامل من القدير الذى كله محبة ، ومجد المحبة الأعظم هو أنك تشعر بحاجتك للخلاص وتقبل إلى حنان الآب مردداً ودموع التوبة والندامة تكتسح الماضى وتنتزعه « أثيما أتيت لربى يسوع ».

الأَصْحَاحُ الثَّامِنُ

على الطريق

وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَمَعَهُ الاثْنَا عَشَرَ . وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ . مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ . وَيُوَنَّا امْرَأَةُ خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ وَسُوسَنَّةُ وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدُمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ .

(لوقا ٨ : ١ — ٣)

توقعنا — كما سبق وأشرنا — اليوم الذى فيه ترفض مجامع اليهود وعظ المسيح فيها . وقد جاء اليوم بالفعل ، فخرج يسوع إلى الطرق كارزاً ومبشراً بالأخبار السارة . لقد بدأ فى المجامع ، كما نبدأ نحن اليوم فى الكنيسة ، ليؤدى الرسالة التى عليه ، منتظراً شعباً يلبى الدعوة حين يستمع إليها . ولكن عوضاً عن القبول والاقتناع وجد الرفض والمقاومة ، وبدلا من أن يجد المشتاقين والمتلهفين لسماعه وجد الكتبة والفريسيين الذين راقبوه وترقبوا كلامه لعلهم يجدون منه علة يتمسكون بها ضده أو عملا رديئاً يدينوه به . لذلك اختار يسوع الطرق العامة وسفوح الجبال وشاطىء البحيرة ليلقى رسائله هناك .

١ — فى هذا الفصل تواجهنا حقيقة هامة ألقينا عليها قبساً من الضوء قبلا.

إذ نجد قائمة بأسماء السيدات اللواتى خدمن يسوع من أموالهن . وكانت إعالة المعلم اليهودى من أعظم الأعمال الخيرية ، ولقد ساعد أتباع يسوع المخلصون معلمهم حسب الطريقة المتبعة والمعمول بها .

أما أتباع يسوع منهم: تلاميذه، والنسوة اللواتى تبعنه، ومنهن مريم المجدلية التى من مدينة مجدل أو مجدله « Magdala » ، وكان قد أخرج منها يسوع سبعة شياطين إذ كان ماضيها مظلماً مزعجاً ، ومنهن يونه امرأة خوزى وكيل هيرودس الملك صاحب الممتلكات الخاصة والأموال الطائلة ، إذ كان ناظراً على أموال هيرودس وجميع مكاسبه . . واعتاد مجلس الشيوخ الرومانى تعيين وكلاء خصوصيين للامبراطور ولحكام الأقاليم ليراقبوا إيرادات الدولة، لذلك كان وكيل هيرودس صاحب مركز مرموق وعظيم ووظيفة هامة . ومن الغريب أن تجد المجدلية صاحبة الماضى المعتم جنباً إلى جنب وفى شركة واحدة مع يونه زوجة نديم الملك . لكننا عندما نتأمل فيما فعله يسوع تزول الغرابة ويمحى الاندهاش ، ونيقن أن المستحيل أصبح ممكناً . إذ جعل الشخصيات المتضاربة والمختلفة تعيش معاً بدون أن تفقد كل شخصية سماتها البارزة وقدراتها الخاصة . وقد كتب ج . ك . تشترتون Chesterton عن نص الآية : « يسكن الذئب مع الخروف » هذا القول : « إن تفسيرها فى غاية من البساطة فعندما يسكن الذئب مع الخروف يصير الذئب أو الأسد حملا ، فيعد هذا انتصاراً للخروف يمكنه من ربح الأسد والسيادة عليه بدلا من أن يفترسه الأسد . لكن العقبة الكأداء هى كيف يستطيع أن ينس الأسد طبيعته الوحشية ووحشيته الطبيعية والغريزية فيه؟ وتحاول الكنيسة باستمرار حل هذه المعضلة ، وهذه هى المعجزة التى عليها أن تحققها » .

ولا يوجد شىء أصعب على الكنيسة من أن تحتمل زمرة من الناس تختلف معهم فى السر وفى السريرة . . لكننا إذا لم ننجح فى التعايش مع

هذه الفئة بالذات فلن يجانبنا الصواب، لأن قوة يسوع تجعل هذا التعايش ممكنا وضروريا .

٢ — قامت السيدات المذكورات أمامنا بمساعدة عملية ليسوع ، إذ لم يكن مسموح لليهوديات أن يبشرن فى فلسطين ، ولذلك قدمن مساعدتهن المالية . أراد إسكافى عجوز أن يكون خادماً دينياً ، لكنه لم يجد باباً مفتوحاً ينفذ منه لهذا العمل . وإذ كان صديقاً لطالب بكلية لاهوت ، طلب منه بعد تخرجه ورسامته راعياً على كنيسة ما أن يسمح له بعمل أحذيته طالما كان على قيد الحياة ، حتى يشعر بأنه صانع الحذاء الذى يقف به المبشر أو الراعى على المنبر الذى لم تطأه قدما الاسكافى .

لذلك علينا أن نعلم أن الأعمال العظيمة ليست من صنع من كان فى المقدمة دوماً . فكم من الرجال الذين يقومون بكبائر الأعمال وأعظمها لا يستطيعون أن يستمروا فيها أسبوعاً كاملا بدون عناية البيت الفائقة ، واهتمام الزوجة الفاضلة الوفية . فلا توجد موهبة منحت للنـــــاس إلا لمجد المسيح ولخدمته ، وكم من خدام عظام تجدهم فى المؤخرة يعملون بيد خفية لكنهم ضروريون لخدمة سيدهم .

الزارع والبذار

فَلَمَّا اجْتَمَعَ جَمْعٌ كَثِيرٌ أَيْضاً مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ قَالَ بِمَثَلٍ . خَرَجَ الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ زَرْعَهُ . وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَانْدَاسَ وَأَكَلَتْهُ طُيُورُ السَّمَاءِ . وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الصَّخْرِ

فَلَمَّا نَبَتَ جَفَّ لِأَنَّه لَمْ تَكُنْ لَهُ رُطُوبَة . وَسَقَطَ آخَرُ فِي وَسَطِ الشَّوْكِ . فَنَبَتَ مَعَهُ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ وَسَقَطَ آخَرُ فِي الأَرْضِ الصَّالِحَةِ فَلَمَّا نَبَتَ صَنَعَ ثَمَراً مِئَةَ ضِعْفٍ . قَالَ هٰذَا وَنَادَى مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ

فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هٰذَا الْمَثَل . فَقَالَ . لَكُمْ قَدْ أُعْطِيَ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ اللهِ . وَأَمَّا لِلْبَاقِينَ فَبِأَمْثَالٍ حَتَّى إِنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَسَامِعِينَ لاَ يَفْهَمُونَ . وَهٰذَا هُوَ الْمَثَل . الزَّرْعُ هُوَ كَلاَمُ اللهِ . وَالَّذِينَ عَلَى الطَّرِيقِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ثُمَّ يَأْتِي إِبْلِيسُ وَيَنْزِعُ الْكَلِمَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِئَلاَّ يُؤْمِنُوا فَيَخْلُصُوا . وَالَّذِينَ عَلَى الصَّخْرِ هُمُ الَّذِينَ مَتَى سَمِعُوا يَقْبَلُونَ الْكَلِمَةَ بِفَرَحٍ . وَهٰؤُلاَءِ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ فَيُؤْمِنُونَ إِلَى حِينٍ وَفِي وَقْتِ التَّجْرِبَةِ يَرْتَدُّونَ . وَالَّذِي سَقَطَ بَيْنَ الشَّوْكِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ثُمَّ يَذْهَبُونَ فَيَخْتَنِقُونَ مِنْ هُمُومِ الْحَيٰوةِ وَغِنَاهَا وَلَذَّاتِهَا وَلاَ يُنْضِجُونَ ثَمَراً . وَالَّذِي فِي الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ هُوَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ صَالِحٍ وَيُثْمِرُونَ بِالصَّبْرِ .

(لوقا ٨ : ٤ — ١٥)

استخدم يسوع فى هذا المثل صورة معهودة معروفة عند كل الذين سمعوه . وأغلب الظن أنه كان يشاهد زارعاً يلقى البذار فى الأرض عندما كان يتكلم . والمثل الذى عرضه يسوع يتكلم عن أربعة أنواع من الأرض أو التربة :

١ — عادة ما يقسم المزارعون الأرض إلى قطع صغيرة مستطيلة تسمى أحياناً أحواض ، يفصل بينها ممرات ضيقة لسير الفلاحين عندما يفلحون التربة أو ما شاكل ذلك . وعندما يبذر المزارع البذار يسقط بعض على الممرات أو الطرق الضيقة هذه لكنه لا ينمو لصلابة التربة من جراء السير .

كما وُجدت الأرضُ المحجَّرة . وهذا لا يعنى أنها غاصة بالأحجار ، بل توجد طبقة رقيقة من التربة تحتها أرض صخرية جافة ليس بها غذاء للنبات الذى يتعرض لحرارة الطقس فيذبل ويموت .

٣ — الأرض الممتلئة بالشوك.. وهى تربة لينة مما يسهل حرثها ، ولكن البذور الرديئة تبقى فى الداخل وتنمو مع النبات الجيد وتتفوق عليه لقوتها وتلتف حوله وتخنقه .

٤ — الأرض الجيدة .. وهى عميقة فى تربتها .. نظيفة مجهزة أحسن تجهيز.

فى الأعداد ٩ ، ١٠ نرى فيهما أمراً محيراً للغاية ، إذ يظهر لنا أن يسوع يستخدم الأمثال لإخفاء المعانى على السامعين .. لذلك وجدت الآراء الآتية :

(أ) يقدم متى (مت ١٣ : ١٣) الفكرة فى أسلوب آخر سهل المأخذ سلس العبارة ، فأوضح لنا أن يسوع يستخدم الأمثال لعدم فهم السامعين بدونها ، فهو يريد أن يقدم المعانى واضحة مفهومة سهلة الاستيعاب .

(ب) اقتبس متى بعد هذا القول الوارد فى إشعياء ٦ : ٩ ، ١٠ حيث يقول:

« فقال اذهب وقل لهذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يقصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى » . ومعنى كلام يسوع يفيد بأنهم لم يفهموا مغزى أقواله ، أما الكلمات فقد فهموها . وهذا يعنى أنهم فهموا الأسلوب لكنهم تعاموا ورفضوا تنفيذ ما يريده يسوع .

(ج) ما يعنيه يسوع هو أن الناس لهم من غلاظة القلب الشيء الكثير، مما جعلهم لم يلتفتوا إلى الحق الإلهى الواضح، فليس العيب فى الله بل هم متباطئو السامع ، فسدوا آذانهم عن كل شيء فى سبيل مقاومتهم ليسوع ، فلم يرغبوا أن يفهموا مالم يريدوه ، لذلك لم يستطيعـــوا هضم تعاليم المسيح ومبادىء الحق الإلهى .

وهناك تفسيران لهذا المثل :

١ — إن ثمار كلمة الله تتوقف على القلب الذى تزرع فيه :

(ا) فتدل « الطريق » على العقل المغلق الذى يرفض كلمة الله .

(ب) وتدل الأرض الحجرية على الذين يقبلون الكلمة لكنهم لم يدركوا كنهها ولم يستحوذوا ما جاء فيها من تعاليم سامية ، لذلك سرعان ما ارتدوا عندما واجهتهم أية صعوبة .

(ج) أما الأرض المملوءة بالشوك فتشبه جماعة المنهمكين فى الأعمال العالمية ولا يوجد لديهم متسع من الوقت لسماع كلمة الله ولإعوازهم الروحى . . ربما تكون المشغوليات فى حد ذاتها نافعة ومفيدة لكن لنعلم أن ألد أعداء الأحسن هو الشيء الأحسن أيضاً ، ويوجد مثل انجليزى يقول :

The worst enemy of the best is the second best

(د) أما الأرض الجيدة فتدل على القلب الصالح النقى . . ويعمل السامع الأفعال الآتية :

(ا) يصغى بانتباه .

(ب) يدرك ما يسمعه واضحاً إياه فى عقله وقلبه .

(ج) يطبق ما يسمع فى حياته العملية.

٢ — أما التفسير الثانى فيظهر بل يركز على مكانة الكلمة ..لقد طردوا يسوع من المجمع، ووقف الكتبة والفريسيون ضده يقاومونه . وعندئذ فترت همة التلاميذ وضعف عزمهم ، فتكلم المسيح بأمثال لكى يعلم ويظهر «أن كل زارع يجب أن يعلم أن بعض البذار قد لا تنجح : فليس الكل ينمو ، لكن هذا لا يفشله أو يثبط همته، فهو يدرك بغض النظر عن هذا أنه سوف يكون له الحصاد الوفير » . وكأنى به يقول للتلاميذ « أنا أعلم ما يزعج أفكاركم ، لكن يجب أن لا نفشل مهما كانت قوة الأعداء ،لأنه من المؤكد أننا سنحصد فى النهاية إن كنا لا نكل » . لذلك نخرج من هذا المثل بحقيقة كبرى ، أن نطرد كل المفشــــلات عند سماعنا لكلمة الله ، مؤمنين أن كل ما يعطلنا لا يوقف حصاد الله النهائى .

قوانين لأجل الحياة

وَلَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجًا وَيُغَطِّيهِ بِإِنَاءٍ أَوْ يَضَعُهُ تَحْتَ سَرِيرٍ بَلْ يَضَعُهُ عَلَى مَنَارَةٍ لِيَنْظُرَ ٱلدَّاخِلُونَ ٱلنُّورَ. لأَنَّهُ لَيْسَ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ وَلاَ مَكْتُومٌ لاَ يُعْلَمُ وَيُعْلَنُ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْمَعُونَ . لِأَنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى . وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِى يَظُنُّهُ لَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ .

(لوقا ٨ : ١٦ — ١٨)

فى هذا الفصل ثلاث آيات لكل منها تحذير خاص :

١ — عدد ١٦ « وفيه نجد تنبيراً خاصاً على مظاهر الحياة المسيحية ، إذ أن من طبيعتها أن تظهر سماتها علناً أمام الجميع . ومن السهل أن نجد أسباباً كثيرة وربما حكيمة تدفعنا لإخفاء مسيحيتنا ونحن فى مواجهة عالم يضطهد كل من يختلفون معه فى التفكير « تحدث أحدهم عن كيفية حفظ الدواجن فقال : « إن كل الدجاج كان متشابهاً فى الحظيرة إلا دجاجة ، فما كان من الدجاج الباقى إلا أن قتلها هكذا نرى أن من يخرج عن عادات الجماعة فى عالم الحيوان يعتبر مجرماً . ونحن كمسيحيين يجب أن لا نستحى من إظهار سيدنا والشهادة عنه وخدمته ، مؤمنين أن هذا امتياز أكثر منه واجب .

تتزين معظم البيوت والمحال التجارية بالأعلام قبل يوم العيد بوقت قصير وذات مرة سرت فى طريق خلوى فوجدت خيمة حداد ، وهى صغيرة وبجانبها قصبة تحمل راية كبيرة توازى الخيمة ارتفاعاً .وكأنه يقول :«أنا معدم ولكن أجعل علمى كبيراً بين الأعلام » . هكذا يجب على المسيحى أن يظهر علم مسيحيته حتى وإن كان بسيطاً فى كل شىء .

٢ — عدد ١٧ .. ينبر على عدم الكتمان ، ويوجد ثلاثة أشخاص نخبىء عنهم أسرارنا :

(ا) أحيانا نخبىء الشىء عن نفوسنا ، بأن نغمض عيوننا عن نتائج أعمال وعادات نريد أن ننفضها ونحترس منها ، وبذلك نشبه رجلا يتعمد يغمض عينيه عن علامات مرض أدركه أو خطر ألم به ، وفى هذا جهل لا يحتمل .

(ب) أحياناً نخبىء أسرارنا عن ذوينا من النـــــاس ، ولكن سرعان ما ينكشف السر وتظهر عورته، ولذلك يعيش صاحب الأسرار فى قلق دائم. قيل عن مهندس أراد أن يبنى بيتاً لأفلاطون تختفى كل حجرة فيه عن أنظار

الناس ، فواجهه أفلاطون بالقول . « أعطيك نقوداً مضاعفة لو كانت كل غرفة فى المنزل منظورة للجميع » وسعيد هو الرجل الذى يتكلم بمثل هذا .

(جـ) ونجاهد أحياناً فى إخفاء السر عن الله ، وهذا مستحيل لأن عينيه تخترقا أسرار الظلام وتنفذ إلى مكامن القلوب وخبايا العقول ، وهو يرانا أمام ناظريه باستمرار .

٣ — عدد ١٨ . . يقدم لنا الحق القديم المعروف فى كل عصر ومصر ، وهو أن من لا يحصل على المزيد،ومن ليس له يفقد ماعنده . فإذا حافظ شخص قوى البنية على جسده يكون مستعداً للقيام بأعمال أعظم ، أما إذا أهمل جسده واهتمامه به فلا بد من ضعفه تدريجياً حتى تضيع منه قدراته . وكلما زاد التلميذ فى المعرفة استطاع أن يستوعب المزيد من العلم ، ولكنه إذا رفض أن يدرس ويبحث يفقد المعرفة التى حصل عليها ، وكأنى بالمسيح يريد أن يقول ، إن الحياة لا تقف عند حد ، فإما أن نتقدم أو نتأخر ، فمن المحال أن نقف حيث نحن ، فالذى يطلب يجد ، والذى لا يطلب فإنه يفقد كل مالديه .

القرابة الحقيقية

وَجَاءَ إِلَيْهِ أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ . وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ لِسَبَبِ ٱلْجَمْعِ . فَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجاً يُرِيدُونَ أَنْ يَرَوْكَ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ أُمِّي وَإِخْوَتِي هُمُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ ٱللهِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا.

(لوقا ٨: ١٩ - ٢١)

عندما ننظر إلى العلاقة القائمة بين يسوع وعائلته ،نرى أنها لم تعطف عليه

أبداً . فنرى من (مر ٣ : ٢١) أن أقرباءه جاءوا ليرجعوه عن عمله وظنوه مختل العقل ، ونجد فى (مت ١٠ : ٣٦) يحذر يسوع تابعيه قائلا : «أعداء الإنسان أهل بيته » وكأنى به يتكلم عن اختيار مر عاش فيه واجتازه . ولنا فى هذا الفصل حق عملى ، فقد يجد الإنسان نفسه قريباً لأناس من غير أهله أكثر مما يجد هذه القرابة فى جماعته الذين ينتسب إليهم . فليست القرابة الحقيقية هى قرابة الدم بل قرابة القلب للقلب والعقل للعقل عندما يكون للناس هدف واحد فى الحياة ، وبهذا يكونون أقرباء حقاً وفعلا .

وأهل ملكوت الله هم الذين يعملون مشيئة الله على الأرض كما فى السماء ، وقد عرفنا أن يسوع وحده هو الذى نجح فى إتمام مشيئة الله كاملة . وعلى هذا فإن كل العاملين مشيئة الله هم أقرباء يسوع ، وربما يقول قائل إن كل الناس هم أبناء لله لأن الله يحب الجميع ، ولكنى أؤكد أن أبناء الله الحقيقيين لهم شروط ظاهرة ، وهى إخضاع إرادتهم لإرادة الله بمعاونة الروح القدس وعندئذ تبتدىء البنوية الحقيقية ، وقد قال الرواقيون إن مشيئة الله هى الرضا بكل ما يحدث من الله ، سواء كان فرح أم حزن ، انتصار أم انتكاس ، ربح أو خسارة ، سواء اتشحت الظروف بالسواد أم اكتحلت بالنور الوضاء. فإن رفض إنسان إرادة الله يكون كمن يضرب رأسه بحائط فلا يصيبه غير الألم والاضطراب . . ولكن طريق الفرح هو طريق الإنسان الذى يرفع وجهه إلى الله يقول : « إعمل بى كما تحب » . فإن أخضعت إرادتك له يحدث لك شيئان :

١ — يوجد عندك إخلاص يفوق كل إخلاص للعالم ، وتكون لك الأسبقية فى كل ماهو ثمين فى الدنيا وبهذا المعنى يكون يسوع هو السيد الوحيد الذى لا يشاركه أحد فى قلب الإنسان إذ يطلب المحبة الكاملة ، فإن أحببناه لا نقدر أن نخدم سواه .

٢ — ربما يكون هذا الفعل من أصعب الأمور ، لكنه من أمجدها أيضاً فمن يجعل يسوع ملكا على حياته يصبح فرداً من العائلة المنتشرة فى كل ربوع الأرض . وذلك كما كتب يوحنا أو كسنهام : « لا يوجد شرق أو غرب فى المسيح ، ولا شمال أو جنوب ، بل فيه شركة المحبة فى أركان الأرض. له كل القلوب الصادقة فى كل مكان فى اتحاد واحد ، وخدمته هى الرابطة الذهبية التى تربط الكل .. » ومن ما سبق نرى أن الذى فى المسيح يطلب مشيئة الله ويصير فرداً فى عائلة الرب التى تشمل كل القديسين فى الأرض .

هادىء فى الزوبعة

وَفِى أَحَدِ ٱلأَيَّامِ دَخَلَ سَفِينَةً هُوَ وَتَلاَمِيذُهُ . فَقَالَ لَهُمْ لِنَعْبُرْ إِلَى عَبْرِ ٱلْبُحَيْرَةِ . فَأَقْلَعُوا . وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ نَامَ . فَنَزَلَ نَوْءُ رِيحٍ فِى ٱلْبُحَيْرَةِ . وَكَانُوا يَمْتَلِئُونَ مَاءً وَصَارُوا فِى خَطَرٍ . فَتَقَدَّمُوا وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ يَا مُعَلِّمُ إِنَّنَا نَهْلِكُ . فَقَامَ وَٱنْتَهَرَ ٱلرِّيحَ وَتَمَوُّجَ ٱلْمَاءِ فَٱنْتَهَيَا وَصَارَ هُدُوٌّ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيْنَ إِيمَانُكُمْ . فَخَافُوا وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَنْ هُوَ هٰذَا . فَإِنَّهُ يَأْمُرُ ٱلرِّيَاحَ أَيْضاً وَٱلْمَاءَ فَتُطِيعُهُ .

(لوقا ٨ : ٢٢ — ٢٥)

تلمع كلمات لوقا فى هذه القصة بنور عجيب رغم قصرها. كان يسوع محتاج للراحة ، فطلب من تلاميذه أن يعبروا البحيرة ، وحينما ركبوا السفينة نام . ومن المسر أن نرى نوم يسوع ، لقد تعب مثلنا فاستسلم للسلطان الكرى .

ولا شك أنه كان واثقا بتلاميذه عندما نام ،لخبرتهم بالبحر الذى اعتادوا الصيد فيه ، كما وثق بالله واختبر قربه منه فى البحر كما اليابسة ، وأثناء نومه ، أتت زوبعة كعادة الزوابع المفاجئة فى بحر الجليل ، كما قال أحد المسافرين مرة : « قبل أن تغيب الشمس اندفعت الرياح إلى البحيرة واستمرت طول الليل فى عنف وقوة ، وفى الصباح رأينا عند وصولنا للشاطىء أن سطح البحيرة كان مثل مرجل يغلى ».وكان هبوب العواصف نتيجة لانخفاض بحر الجليل بنحو ٦٠٠ قدم ، تحفه أرض مستوية تتخللها الجبال المرتفعة ، وتقطع الأنهار سهولا فى الأرض المستوية وتصب فى البحر، وتكون السهول كمجارى عظيمة للرياح الباردة الهابطة من الجبال ولذلك تقوم الزوابع. وروى نفس المسافر يصف شدة الرياح : « جعلنا الحبال مزدوجة لنربط الخيام ، وكنا نجلس على الحبال بقوة ، ومع ذلك كادت الرياح تطوح بالخيام لتطير فى الهواء ».هكذا كانت الرياح التى صدمت سفينة يسوع شديدة للغاية ، وشعر التلاميذ بخطر الموت فأيقظوه، وبكلمة واحدة أسكت الرياح. كان كل ما يعمله يسوع عظيماً بحق، والمعنى الذى نأخذه من هذه القصة هو « حيثما وجد يسوع هناك السكينة والهدوء » .

١ — يأتى يسوع ليهدىء عواصف التجربة المحيطة بنا بقوة قاهرة قال ستيفنسون « تعرفون سكة حديد محطة أدنبرة قابلت هناك فى صباح يوم بارد شيطاناً » هكذا فى مرات كثيرة يخيل إلينا أننا نقابل شياطين حقاً بصورة مفاجئة عندما تأتى علينا عاصفة التجربة ونحن منفردين وتكاد أن تقتلنا ، ولكن قوة التجربة تضيع إن كان يسوع معنا .

٢ — يأتى يسوع ويهدىء زوبعة الانفعال النفسى. وما أصعب الحياة لصاحب القلب الملتهب والطباع الحارة ، مرة قابل صديق شخصاً من هذا النوع فقال :

« أرى أنك نجحت فى قهر التجربة » أما حاد الطبع فقال : « لا لم أغلب بل يسوع غلب التجربة لى » . نعم . . عندما تتأجج الكبرياء فى صدورنا مع الغضب وتكاد شفاهنا تنفجر بالكلام الذى لا يليق وتدمع عيوننا بدموع الألم . . لنحارب حروب الرب ولنعط جواباً ليناً فينصرف أتون كلام الشر. ولابد أن نخسر المعركة إلى النهاية مالم يكن يسوع معنا ليهبنا السكينة والهدوء .

٣ — يأتى يسوع للحزن فيهدىء زوبعة الحزن «ولابد أن زوبعة الحزن تثور ضد كل إنسان لأن الحزن هو عقاب المحبة ، فمن يحب لابد أن يحزن ، قال أحدهم عندما أسلمت زوجته الروح : « لقد كانت لى بمثابة يد قوية تحتى ترفعنى من السقوط وتضمنى بحنان » . . نعم ففى حضرة يسوع وحده تمسح الدموع وتضمد جراحات القلوب المثخنة .

قَهْرُ الشَّيَاطِين

وَسَارُوا إِلَى كُورَةِ الْجدَرِيِّينَ الَّتِى هِىَ مُقَابِلَ الْجَلِيلِ . وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الأَرْضِ اسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ كَانَ فِيهِ شَيَاطِينُ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ وَكَانَ لاَ يَلْبَسُ ثَوْباً وَلاَ يُقِيمُ فِى بَيْتٍ بَلْ فِى الْقُبُورِ . فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ صَرَخَ وَخَرَّ لَهُ وَقَالَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ مَا لِى وَلَكَ يَايَسُوعُ ابْنَ اللهِ الْعَلِىِّ . أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِى . لأَنَّهُ أَمَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الإِنْسَانِ . لأَنَّهُ مُنْذُ زَمَانٍ كَثِيرٍ كَانَ يَخْطَفُهُ . وَقَدْ رُبِطَ بِسَلاَسِلَ وَقُيُودٍ

محروساً . وكان يقطع الربط ويساق من الشيطان إلى البراري . فسأله يسوع قائلاً ما اسمك . فقال لجئون لأن شياطين كثيرة دخلت فيه . وطلب إليه أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية . وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى في الجبل . فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها . فأذن لهم . فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت في الخنازير . فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحيرة واختنق . فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع فخرجوا ليروا ما جرى . وجاءوا إلى يسوع فوجدوا الإنسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلا جالساً عند قدمي يسوع . فخافوا . فأخبرهم أيضاً الذين رأوا كيف خلص المجنون . فطلب إليه كل جمهور كورة الجدريين أن يذهب عنهم . لأنه اعتراهم خوف عظيم . فدخل السفينة ورجع . أما الرجل الذي خرجت منه الشياطين فطلب إليه أن يكون معه . ولكن يسوع صرفه قائلاً .

ارْجِعْ إِلَى بَيْتِكَ وَحَدِّثْ بِكَمْ صَنَعَ اللهُ بِكَ. فَمَضَى وَهُوَ يُنَادِي فِي الْمَدِينَةِ كُلِّهَا بِكَمْ صَنَعَ بِهِ يَسُوعُ.

(لوقا ٨ : ٢٦ : ٣٩)

إذا أردنا أن نستوعب هذه القصة بكافة نواحيها يجب أن نعرف أن الشياطين كانت معروفة عند الجدريين ، وخاصة للرجل المشوش التفكير والعقل. وكان ذلك الرجل مجنوناً ، يتخذ من القبور مسكناً له ، لأن القبور كانت فى نظر الجميع مأوى للشياطين ، وحتى لا يسبب ضرراً كبيراً للناس عندما يسكن بينهم فى المنازل العامرة . ونلمح هنا قوة يسوع الخارقة التى فاقت قوة المجنون التى تقطع السلاسل الجديدة والربط حتى خاف منه الجميع وابتعدوا عنه ، وأما يسوع فقابله بكل هدوء غير هياب سطوته ، وسأله عن اسمه فأجاب « لجئون » . ولجئون فرقة جنود رومانية تبلغ ستة آلاف .

ويبدو أن كلمة لجئون علقت بذهنه وهو صغير عندما رأى جنود الرومان يفعلون فظائع مريرة ومخيفة ومرعبة، ربما كانت سبب جنونه وضياع عقله . وانتقد البعض هذه المعجزة شفقة على الخنازير، وقالوا كيف يأمر المسيح الشياطين أن تسكن فى الخنازير ؟ واعتبروا هذا الفعل قسوة منه ولقد بدا أن الشياطين تتكلم فى الرجل راجية المسيح أن لا يرسلهم إلى الهاوية ليحفظوا للدينونة الأبدية .. دعنا نتصور ما حدث : الرجل — وهو محور القصة. ما كان يؤمن لولم ير قوة يسوع الشافية التى ظهرت فيه ، لقد أقنعه خروج الشياطين منه بالشفاء . وهذا ماحدث — إذ كانت الخنازير ترعى على سفح الجبل ، وبغتة صاح المريض صياحاً وحشياً بدرجة أرعبت الخنازير ، فاندفعت من على الجرف

إلى البحر ... عند ئذ قال يسوع : « أنظر لقد ذهبت عنك الشياطين !! ».
وماقيمة الخنازير بجوار الرجل صاحب النفس الخالدة ؟ وهل نتعجب عندما تنقذ حياة الرجل وتهلك الخنازير ؟ !! ولـكن رغم هذا حدث تذمر شديدعلى هلاك الخنازير — ولا بد أن نتوقع هذا —ولـكن حياةالرجل المريض كانت أهم بكثير منهم فى نظر يسوع. ولنا أن ننظر إلى نوعين من الناس كرد فعل للحادثة :

١ — أهل كورة الجدريين الذين طلبوا من المسـيح أن يخرج من كورتهم :

(ا) لقد كرهوا التغيير فى الحياة ، إذ عندما جاء يسوع أزعج بلدتهم ، فأبغضوه . وكم من كثيرين يبغضون يسوع لنفس السبب . فإن قال يسوع لرجل ما « تخل عند هذه أو كف عن تلك » وإن قال لرجل الأعمـال «لاتستطيع أن تعيش مسيحياً وتعامل الموظفينبهذه القسوة » ، وإن قال لمالك الأرض « لاتعامل الفلاحين بهذه الصورة المرعبة» !!! لسمعنا الجميع يصرخون بصوت واحد « إذهب عنا ودعنا فى سلامنا » .

(ب) أحبوا خنازيرهم أكثر من حياة الرجل . وأفدح خطر أنك تجعل قيمة الأشـياء أثمن من حياة الإنسان ، وهذا هو السبب بعينه فى وجود مستشفيات الأمراض العقلية فى كل مكان فى العالم .. هذا هو حب الذات : أن نطلب ما يجلب لنا الراحة والسعادة حتى لو كان هـذا على حساب تعب الآخرين وألمهم .. لقد علمنا يسوع بالفعل أنه لايوجد فى كل الدنيا ما هوأهم وأعظم من الإنسان ومن النفس البشرية .

٢ — الرجل الذى شفى . أراد أن يسير مع يسوع ، وأما يسوع فأراد منه أن يرجع إلى بيته . فان الـكرازة المسيحية يجب أن تبدأ مع أهل بيتنا

مثلها مثل المحبة المسيحية أيضاً . وربما نجد أنه من الأسهل جداً أن نتكلم الغرباء عن المسيح ، ولكن يجب أن نذهب إلى المكان الذى يأمرنا به فنشهد له وعنه . وربما تكون المسئولية علينا نحن بالذات كمسيحيين بمفردنا فى محالنا ، فى مكاتبنا) ،فى مدارسنا ، فى مصانعنا فى أى دائرة نوجد فيها وعندئذ نسمع صوت يسوع متحدياً لنا قائلا « إذهب وحدث الناس بكم صنعت بك » .

شفاء الطفل الوحيد

وَلَمَّا رَجَعَ يَسُوعُ قَبِلَهُ الْجَمْعُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعُهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ . وإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ يَايِرُسُ قَدْ جَاءَ وَكَانَ رَئِيسَ الْمَجْمَعِ فَوَقَعَ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ . لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ بِنْتٌ وَحِيدَةٌ لَهَا نَحْوُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَتْ فِي حَالِ الْمَوْتِ . فَفِيمَا هُوَ مُنْطَلِقٌ زَحَمَتْهُ الْجُمُوعُ .

وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جَاءَ وَاحِدٌ مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلاً لَهُ قَدْ مَاتَتِ ابْنَتُكَ . لاَ تُتْعِبِ الْمُعَلِّمَ . فَسَمِعَ يَسُوعُ وَأَجَابَهُ قَائِلاً لاَ تَخَفْ . آمِنْ فَقَطْ فَهِيَ تُشْفَى . فَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ لَمْ يَدَعْ أَحَداً يَدْخُلُ إِلاَّ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا وَأَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا . وَكَانَ الْجَمِيعُ يَبْكُونَ عَلَيْهَا وَيَلْطِمُونَ . فَقَالَ

لاَ تَبْكُوا . لَمْ تَمُتْ لٰكِنَّهَا نَائِمَةٌ . فَضَحِكُوا عَلَيْهِ عَارِفِينَ أَنَّهَا مَاتَتْ . فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ خَارِجاً وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا وَنَادَى قَائِلاً يَا صَبِيَّةُ قُومِي . فَرَجَعَتْ رُوحُهَا وَقَامَتْ فِي الْحَالِ . فَأَمَرَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ . فَبُهِتَ وَالِدَاهَا . فَأَوْصَاهُمَا أَنْ لاَ يَقُولاَ لأَحَدٍ عَمَّا كَانَ .

(لوقا ٨ : ٤٠ — ٤٢ ، ٤٩ — ٥٦)

بغتة تحول الحزن الجاثم على الصدور إلى فرح مقيم «ورأى لوقا عن قرب شدة مأساة موت تلك الإبنة ، وأرجع قسوة وطأتها إلى ثلاثة أقسام :

(ا) كانت الوحيدة فى البيت ، ولوقا وحده يخبرنا عن ذلك ، وبموتها انطفأ مصباح نور والديها .

(ب) كان عمرها إثنتى عشرة سنة . فكانت حياتها كوردة جميلة متفتحة وكان الزواج على الأبواب فى هذا السن وقتئذ ، ولذلك انقلب ضوء حياتها الساطع إلى ظلام بهيم .

(جـ) كان يايرس رئيس المجمع المسئول عن تنظيم الخدمة والعبادة الجمهورية فيه . ولقد كان بين صفوة قومه ، وبلغ ذروة الاحترام ووصل إلى المرتبة العليا ونال عطايا الحياة بسخاء وغبطة ، لكنه من الناحية الأخرى فقد أعز ما لديه بموت ابنته فأصبحت حياته مفعمة بالغم ومملوءة بالشجون .

أتت كل النائحات بكثرة إلى بيت يايرس بعضهن من الأقرباء والبعض كأجورات ، لأن قيمة البيت فى فلسطين تظهر من كثرة الباكيات . وتأكدن من موت الفتاة ، وأما يسوع فقال إنها « نائمة » !! وبقوة يسوع أيضاً عادت

إليها الحياة . وعندما نتأمل فيما حدث بعد ذلك نلاحظ لمسة عملية ، إذا أمر يسوع أن تعطى لتأكل ، لأنه كان يهتم بالأم بقدر اهتمامه بالفتاة ، لأن فرح الأم المفاجىء بعد الحزن الشديد ربما يتسبب فى صدمة خطيرة لها ، لذلك فكر فى إتاحة الفرصة لها لعمل يدوى كى تنجو من كل خطر يلم بها . كيف لا وهو الحكيم الذى يعرف كل مايخص الإنسان !

١ — والشخصية الكبرى فى هذه القصة هى شخصية يايرس الذى امتلأ بكبرياء جامحة كرئيس للمجمع ، فقد كانت أبواب المجمع موصدة أمام يسوع لأن الكل وخاصة رئيس الكهنة يعتبر يسوع كاسراً للناموس . لكنه جاء فى هذه الساعة متضعاً طالباً مساعدة يسوع . توجد قصة شهيرة عن رولند البطل الذى كان لشرلمان ، وكان ذلك البطل رئيساً لفرقة من الجيش ، وبغتة هاجمه الأعداء فى رونزفال. واشتد القتال واصتدمت المعركة . وكان رولند يملك بوقا مشهوراً بقوة صوته ، الذى يسمع على بعد ثلاثين ميلا، لدرجة أن العصافير تموت من شدته . لكن رولند لكبريائه لم ينفخ فى البوق طلباً لنجدة . وأخذ رجاله يسقطون فى المعركة واحداً فواحداً حتى بقى وحده وأخيراً نفخ فى البوق عندما اشتد الخناق عليه فجاءه شرلمان على جناح السرعة ولكنه وصل بعد موت رولند لأنه كان متكبراً ولم يطلب النجدة . هكذا يجب أن نعلم أن الطريق الوحيد لنوال نعمة الله هو الاتضاع وإخفاء الكبرياء ، واعترافنا بحاجتنا ليد قوية معنا ، وفى هذا يقول الكتاب « اسألوا تعطوا » فلا يمكن أن نعطى مالم نسأل .

٢ — كان إيمان يايرس عنيد فلم يعبأ بعويل النساء ، بل ذهب مع زوجته لغرفة ابنته النائمة لقد آمن بالرجاء على خلاف الرجاء . ومما لا مندوحة شك فيه أن فى قلبه شعوراً لا يسمع « ترى ماذا يصنع يسوع ؟ » . وكم من أحايين

نتعامى عن ماذا يعمل يسوع ، ولكن فى يوم الظلام القاتم والقتام المظلم يمكننا أن نسترجى النغمة الفنية وقوة الله التى لا تقهر .

غير ضائع وسط الجموع

وَٱمْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَقَدْ أَنْفَقَتْ كُلَّ مَعِيشَتِهَا لِلأَطِبَّاءِ وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ . جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَلَمَسَتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ . فَفِي ٱلْحَالِ وَقَفَ نَزْفُ دَمِهَا . فَقَالَ يَسُوعُ مَنْ ٱلَّذِي لَمَسَنِي . وَإِذْ كَانَ ٱلْجَمِيعُ يُنْكِرُونَ قَالَ بُطْرُسُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ يَا مُعَلِّمُ ٱلْجُمُوعُ يُضَيِّقُونَ عَلَيْكَ وَيَزْحَمُونَكَ وَتَقُولُ مَنِ ٱلَّذِي لَمَسَنِي . فَقَالَ يَسُوعُ قَدْ لَمَسَنِي وَاحِدٌ لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ قُوَّةً قَدْ خَرَجَتْ مِنِّي . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْمَرْأَةُ أَنَّهَا لَمْ تَخْتَفِ جَاءَتْ مُرْتَعِدَةً وَخَرَّتْ لَهُ وَأَخْبَرَتْهُ قُدَّامَ جَمِيعِ ٱلشَّعْبِ لأَيِّ سَبَبٍ لَمَسَتْهُ وَكَيْفَ بَرِئَتْ فِي ٱلْحَالِ . فَقَالَ لَهَا ثِقِي يَا ٱبْنَةُ . إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ . اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ .

(لوقا ٨ : ٤٣ — ٤٨)

لمست هذه القصة قلب الكنيسة الأولى وتفكيرها « وأغلب الظن أن المرأة كانت أممية من قيصرية فيلبس. ويخبرنا يوسيفوس المؤرخ الكبير (٣٠٠م) أن تلك المرأة أقامت تمثالا تذكاراً لشفائها فى بلدتها ، واستمر التمثال فى مكانه إلى زمن يوليان الأمبراطور الرومانى الذى أعاد عبادة الأوثان ، فأباده ووضع مكانه تمثالا لنفسه قد أزالته أيضاً عاصفة هو جاء من عند الله .

امتلأت المرأة بالخجل والحياء لأنها لم تكن طاهرة شرعياً (لا ١٥ : ١٩ — ٣٣) ،وهذا هو سبب عدم مجيئها علناً إلى يسوع بل اختفت وتخفت وسط الجموع . واعتاد كل يهودى مدقق أن يرتدى جلبابا متسعاً (عدد ١٥ : ٣٧ — ٤١ ، تث ٢٢ : ١٢)ينتهى عند الذيل بخيوط بيضاء وزرقاء منسوجة فيه ، مكونة أربع خصل وكان هذا الزى يذكر اليهودى أنه من رجال الله . لذا يصبح لزاماً عليه أن يحفظ الشرائع كاملة . وعندما ظهر خطر كونهم يهوداً خلعوا الخصل، واكتفوا حتى الآن بوشاحات يضعونها على رؤوسهم وأكتافهم وأما فى وقت يسوع فكانت الخصل مازالت موجودة فى الملابس الخارجية والمعبر عنها بهدب الثوب الذى لمسته تلك المرأة .

ويقول مرقس فى وصف حالة هذه السيدة أنها أنفقت كل معيشتها للأطباء وصارت فى حال أردأ (مره : ٢٦) . والشىء المحبوب والعجيب فى القصة هو أن المرأة وقفت أمام يسوع كأنه لا يوجد ثالث لهما . ورغم أن القصة حدثت بجمهور كثير ، لكن يسوع نسى الجموع ، وتكلم مع المرأة كأنها الشخص الوحيد فى العالم . كانت مسكينة بسبب مرضها ، منسية ومحتقرة ومعدمة ومضطربة لكنها قدرت جل تقدير ونالت أعظم إعتبار أمام يسوع. ونحن لا يليق بنا أن نعامل الناس بحسب إهمية الصلة كما عامل يسوع هذه المرأة لأنها تحتاج إلى المساعدة ، ولا يجب أن نحترم الناس لعظمتهم أو لغناهم . أتى وزير يوماً ما ينادى توماس كارليل الكاتب المشهور، لكنه لم يسمع بسبب انشغاله فى كتبه ،فأخذت زوجة كارليل الوزير وأدخلته حيث كارليل المنصب على كتبه التى ذاعت شهرته وقالت : « هذا هو كارليل الذى يتكلم عنه كل الناس ، انه زوجى » وقالت قولتها هذه لا نقداً بل حباً فائقاً . روت سائحة فى جورجيا قبل الحرب الثانية أنها كانت تسير يوماً فرأت امرأة فقيرة تقطن كوخاً حقيراً فسألتها الفقيرة : هل أنت ذاهبة إلى موسكو » فأجابتها بالإيجاب

فسألتها العجوز « أيمكنك أن تأخذى بعض الحلوى المصنوعة هنا لابنى لأنه لا يوجد مثلها فى موسكو ؟ » وكان اسم الابن جوزيف ستالين . ومع أننا نعرف ستالين لكننا لا نعرف نوع الحلوى التى يحبها، أما أمه فكانت تعرف هذا جيداً ، فهى لا تفكر فى شهرة ستالين ، لكنها تفكر وتهتم بما يحبه إبنها .

وربما نظر كل الناس إلى المرأة المريضة بنظرة عابرة غير مهتمة ، لكن يسوع رأى فيها سيدة محتاجة للعون ، فانسحب من بين الناس وقدم لها حاجتها . إن الله ينظر إلى كل واحد منا بنظرة الحب الكامل والعطف المستكمل وكأنه لا يوجد فى العالم سواه . إنه عن كل واحد منا ليس بعيداً .

ألامتحان التاسع

رسل الملك

وَدَعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء أمراض. وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى. وقال لهم لا تحملوا شيئا للطريق لا عصا ولا مزودا ولا خبزا ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان. وأي بيت دخلتموه فهناك أقيموا ومن هناك اخرجوا. وكل من لا يقبلكم فاخرجوا من تلك المدينة وانفضوا الغبار أيضا عن أرجلكم شهادة عليهم. فلما خرجوا كانوا يجتازون في كل قرية يبشرون ويشفون في كل موضع.

فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان منه وارتاب. لأن قوما كانوا يقولون إن يوحنا قد قام من الأموات. وقوما إن إيليا ظهر. وآخرين إن نبيا من القدماء قام. فقال هيرودس يوحنا أنا قطعت رأسه. فمن هو هذا الذي أسمع عنه مثل هذا. وكان يطلب أن يراه.

(لوقا ٩ : ١ — ٩)

كانت الرسائل تنتشر خارج البلاد شفاها إذ لم تكن هناك مطبوعات ، وكانت الكتب تكتب باليد . والكتاب الذى يوازى العهد الجديد حجماً يكلف نحو أربعين جنيهاً حتى يصل إلى أيدى الناس . ولذلك أرسل يسوع رسله لينشروا رسالته : وحيث أن وجوده كان محدوداً بالزمان والمكان ، لذا كانوا هم فمه الذى يذيع رسالته . ولكى يستطيعوا المضى فى سفرهم بسرعة فائقة ليصلوا إلى أماكن متعددة وجب عليهم أن لا يثقلوا أنفسهم بشىء ما . وكلما تثقل الإنسان بالماديات كلما تقيد بالوجود فى مكان واحد . حقاً إن الله يريد خدامه مستقرين لكنه يريدهم أيضاً أن يتركوا الماديات مجاهدين لأجله . وقد أمرهم السيد أن ينفضوا غبار أرجلهم خارج البلد التى لا تقبلهم، كعادة الربيين فى دخولهم فلسطين بعد سفر ما فى أرض الأمم أن ينفضوا الذرة الأخيرة من تراب الوثنيين الذى لصق بأقدامهم . وكما يعامل اليهودى المدقق بلداً وثنياً كذلك يعامل التلاميذ البلاد أو القرى التى لا تقبلهم لأنها رفضت الفرصة المقدمة لها ، وأوقعت نفسها تحت طائلة الدينونة . ويتضح لما حدث مع هيرودس أن خدمة التلاميذ قد نجحت ، فقد ظن أن يسوع هو إيليا الآتى لإعداد الطريق ليسوع ، أو النبى المنتظر (تث ١٨ : ١٥) . ولما كان الضمير بوخزاته المؤلمة يؤرق بال المذنب ، ويعكر صفوه ، لذا كان هيرودس خائفاً من عودة المعمدان الذى قتله ظلماً ، فافتكر أن يسوع هو يوحنا وقد قام من بين الأموات .

والخدمة الواحدة التى طلبها يسوع من تلاميذه هى الكرازة ، الشفاء ، شفاء أجساد الناس ونفوسهم ، فلم تقف عند حد الكلام والتعزية بل إقترنت بالعمل . ولم تقتصر على أخبار الحياة الأخرى بل احتوت الحاضر بما يغير الأحوال على الأرض ، وبذلك برهنت على أن المسيحية دين الحياة الحاضرة والمستقبلة أيضاً .

ولم يصب الكنيسة شىء من الأذى بقدر ما يصيبها من عدم إهتمامها بأمور

جدد تابعيها ففى حوالى عام ١٩٣٠ حدث كساد اقتصادى رهيب ، أوقف الرجال بلا عمل ، وترك النساء يحاولن تدبير أمور البيت بأقل القليل، ولم يفهم الأطفال شيء سوى إحساسهم المؤلم ببطونهم الخاوية الذى زاد قلوب والديهم هماً وغماً . فإن أتيت إلى هؤلاء وأنت تنعم يسراً وابتدأت تكلمهم عن عدم جدوى الماديات فى الحياة وأنها ليست بذات قيمة ، فلا بد أنك تقترف جرماً كبيراً وخطية مميتة . إنتقد الناس الجنرال بوث عندما أطعم الفقراء قائلين : « أعطهم الإنجيل فقط » فأجابهم وقال :

« لا يمكن أن تعزى الناس بمحبة الله بينما تتجمد أقدامهم من البرد » .
فلا نهمل الماديات غير ناسين أن يسوع أرسل رسله ليكرزوا بالملكوت ويشفوا الناس ليخلصوا نفوسهم وأجسادهم أيضاً .

طعام للجائعين

وَلَمَّا رَجَعَ الرُّسُلُ أَخْبَرُوهُ بِجَمِيعِ مَا فَعَلُوا . فَأَخَذَهُمْ وَانْصَرَفَ مُنْفَرِداً إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ لِمَدِينَةٍ تُسَمَّى بَيْتَ صَيْدَا فَالْجُمُوعُ إِذْ عَلِمُوا تَبِعُوه . فَقَبِلَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ . وَالْمُحْتَاجُونَ إِلَى الشِّفَاءِ شَفَاهُمْ فَابْتَدَأَ النَّهَار يَمِيلُ . فَتَقَدَّمَ الاِثْنَا عَشَرَ وَقَالُوا لَهُ اصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى والضِيَاعِ حَوَالَيْنَا فَيَبِيتُوا وَيَجِدُوا طَعَاماً لأَنَّنَا هٰهُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلاَءٍ. فَقَالَ لَهُمْ أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا . فَقَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَيْنِ إِلاَّ أَنْ

نَذْهَبُ وَنَبْتَاعَ طَعَامًا لِهٰذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ. لأَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ أَتْكِئُوهُمْ فِرَقًا خَمْسِينَ خَمْسِينَ. فَفَعَلُوا هٰكَذَا وَأَتْكَأُوا الْجَمِيعَ. فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَهُنَّ ثُمَّ كَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ لِيُقَدِّمُوا لِلْجَمْعِ. فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعًا. ثُمَّ رُفِعَ مَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ قُفَّةً.

(لوقا ٩: ١٠ — ١٧)

هذه هى المعجزة الوحيدة التى سجلت فى الاناجيل الأربعة (مت ١٤: ١٣؛ مر ٦: ٣٠، يو ٦: ١)، وتبدأ بمنظر جميل. فقد رجع التلاميذ من إرسالياتهم ولم يجد المسيح وقتاً ليجتمع بهم، فأخذهم إلى بيت صيدا ليختلى بهم بعض الوقت. وتقع بيت صيدا على جانب الأردن الشمالى على بحر الجليل. لكن الناس عرفوا أين هو، فأتوا إليه أفواجاً أفواجاً فرحب بقدومهم.

وهنا نرى عواطف يسوع، فلم يشمئز من الناس عندما باغتوه فى خلوته، بل سر بهم ورحب بقدومهم ونحن مراراً ما نشعر بالضيق عندما يباغتنا الناس بطلباتهم الملحة فى وقت خلوتنا بأصدقائنا. وأحياناً كثيرة نضطرب من مفاجأة الناس لنا، أما يسوع فقد رأى حاجة الناس قبل كل شىء. وتكاثر عدد الجموع من حوله وأخذ الجوع طريقه إلى أمعائهم، ولم يستطيعوا أن يذهبوا إلى بيوتهم البعيدة تحت وطأة الجوع الشديد وقد أرخى الليل سدوله على الكون.

فأمر يسوع تلاميذه أن يقدموا لهم طعاماً. شعر الجميع بالجوع القاسى، رغم أن

بعضاً منهم كانوا يمتلكون طعاماً ، لكنهم لفرط أنانيتهم أخفوه بدلا من أن يقتسموه مع الآخرين .. وهنا برز الولد الذى قدم ماعنده . وكانت المعجزة هى تحويل محبة الذات والأنانية القاتلة إلى كرم طائل ، وحدثت المعجزة بفضل عواطف يسوع الذى جعل الناس يشاركوا الآخرين مايمتلكون . وقبل أن يوزع الطعام للناس باركه . وكان اليهود يقولون : « من لايشكر بما يتمتع به يكون كمن سرق الله » وقد اعتادوا أن يقولوا فى صلاة الشكر « مبارك أنت يايهوه إلهنا ملك العالم يامن أعطيتنا طعاماً من الأرض » لذلك لم يأكل يسوع بدون تقديم الشكر لله المعطى كل النعم الصالحة . ولنا فى هذه القصة تعاليم كثيرة :

١ — إهتم يسوع بجوع الناس وربما صرف الوقت الطويل فى إشباع الجوع أكثر مما صرف فى الوعظ والتعليم . ولا يزال يسوع يهتم بخدمة الناس ويسهر على راحتهم . والذين يخدمون مثل الأم التى تصرف وقتها فى إعداد طعام أطفالها ، الممرضات، والأطباء والأصدقاء والأقارب والوالدين وكل الجماعة التى ضحت بكل غال وثمين لتخفيف آلام البشر ، والتى تحترق كالشمعة لتضىء للآخرين ، كل هؤلاء يسلكون فى روح المسيح . ويؤدون خدمة أعظم من الخطيب المفوه والواعظ القدير .

٢ — كانت مساعدة يسوع سخية وكريمة ، فقد أوجد الكفاية للجميع وتبقى الكثير ، لأن المحبة لا يمكن أن نقدم مايكفى فقط بل مايزيد أيضاً . ورغم أننا ننزع نباتات كثيرة من الحقل لكن النبات الباقى ينتج محصولا يكفى للجميع ويزيد . ولقد خلق الله العالم حيث نجد الشبع للجميع إن كنا نقاسم الآخرين فى ما لدينا من خير .

٣ — فى يسوع الكفاية الكاملة لكل احتياجات البشر. فيسوع وحده

هو الذى يستطيع أن يشبع كل جوع ، ويسد كل حاجة وعوز وفاقة وحرمان « فيملأ إلهى كل إحتياجكم بحسب غناه فى المسيح يسوع (فى ٤ : ١٩) » .. نعم فيه كل حاجتنا فى الصحراء القـــاحلة الجرداء وفى أرض النعم والسرور والهناء .. فهل نرنم جميعاً بصوت واحد « كل حاجتى إليك .. ربى يسوع »

الإكتشاف العظيم

وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّى عَلَى انْفِرَادٍ كَانَ التَّلاَمِيذُ مَعَهُ . فَسَأَلَهُمْ قَائِلاً مَنْ تَقُولُ الْجُمُوعُ إِنِّى أَنَا . فَأَجَابُوا وَقَالُوا يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ . وَآخَرُونَ إِيلِيَّا . وَآخَرُونَ إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْقُدَمَاءِ قَامَ . فَقَالَ لَهُمْ وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ . إِنِّى أَنَا . فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ مَسِيحُ اللهِ . فَانْتَهَرَهُمْ وَأَوْصَى أَنْ لاَ يَقُولُوا ذٰلِكَ لِأَحَدٍ . قَائِلاً إِنَّهُ يَنْبَغِى أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيراً وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلُ وَفِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ.

(لوقا ٩ : ١٨ — ٢٢)

فى هذه الآيات نلمح اللحظة الفاصلة فى حياة يسوع كلها ، وقد سأل هذا السؤال عندما ثبت وجهه لينطلق إلى اورشليم (لو٩:٥١) وتحقق مما ينتظره هناك، وقد كان الجواب فى غاية الأهمية . تأكد يسوع من إنطلاقه إلى الصليب ليموت ، فأراد أن يتأكد أيضاً من مدى معرفة الناس لشخصيته . وكان من الممكن أن يكون الجواب مخالفاً للحقيقة مناقضا لها ، وبهذا يكون قد ضاع

كل عمل له . أما وقد جاء الجواب الصحيح فقد تأكد بل أيقن أنه أضرم فى قلوب الناس شعلة نور لاتنطفىء . وكم كان فرح يسوع عندما اكتشف بطرس الحق الإلهى فى قوله « أنت مسيح الله » وبذلك عرف يسوع أن تعبه لم يذهب أدراج الرياح .

وبعد أن عرف التلاميذ هذه الحقيقة المجيدة ، عليهم أن يعرفوا مضمونها وما تحتويه ، ليدركوا خطأ فكرة انتظار مملكة يسوع الأرضية التى تسود على العالم كله ، ولذلك أخبرهم يسوع بأن مسيح الله يجب أن يموت على الصليب وقد قلب هذا الكلام أفكارهم عن الله رأساً على عقب لكنه وجد لزاماً عليه أن يغير أفكارهم الأرضية حتى يفهموا فكر الله الروحى . لقد عرفوا من هو يسوع ، لكن لابد أن يعرفوا عمله الذى جاء لأجله .

وفى هذا الفصل المجيد لنا حقيقتان عظيمتان :

١ — لقد سأل يسوع تلاميذه عما يقول الناس عنه ، ثم حول السؤال لهم « من تقولون إنى أنا » . ولا يكفى أن نسمع أفكار الناس وآراء العالم عن يسوع ، بل المهم أن نبدى نحن رأينا فى المسيح ونظهر شهادتنا عنه . وربما يدرس الإنسان كل كتاب يظهر عن يسوع ومع ذلك لايكون مسيحياً ، فالمسيحى الحقيقى هو الذى يكتشف لنفسه من هو يسوع . كما أن مسيحيتنا ليست إرشاداً بشرياً فلم يقل يسوع للانسان « ماذا يقول الناس عنى ؟ » بل سؤاله هو : « ماذا تفتكر أنت عن يسوع ؟ » . وعندما أظهر بولس يقينية إيمانه قال : « لأنى عالم بمن آمنت » ولم يقل « لأنى عالم بمن آمنتم به » (٢ تى ١ : ١٢) . فالمسيحية أولا وأخيراً ليست حفظ قانون الإيمان عن ظهر قلب ، ولكنها معرفة شخص المسيح نفسه معرفة اختبارية ثابتة .

٢ — فى هذا الفصل نجد كلمة « ينبغى » « ينبغى أن أذهب إلى أورشليم

وأموت هناك » ترددت كثيراً فى انجيل لوقا فيقول فى (٢ : ٤٩) « ينبغى أن أكون فيما لأبى » وفى (٢ : ٤٣) « ينبغى أن أبشر المدن الأخرى » وفى (١٣ : ٣٣) « ينبغى أن أسير اليوم وغداً » وفى (٩ : ٢٢ ، ١٧:٢٥ ، ٢٤: ٧) « ينبغى أن ابن الإنسان يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ » . ومما سبق نعلم أن يسوع قد عرف مصيره الذى ينبغى أن يتممه ، وأخضع إرادته لإرادة الآب ، ولم يكن له هدف على الأرض غير ما يريده الله منه . وهكذا يجب أن يكون كل مسيحى لسيده لأنه مرتب تحت سلطان .

شروط الخدمة

وَقَالَ لِلْجَمِيعِ إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَتْبَعْنِي . فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا . وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهٰذَا يُخَلِّصُهَا . لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ ٱلْإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ ٱلْعَالَمَ كُلَّهُ وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا . لِأَنَّ مَنِ ٱسْتَحَى بِي وَبِكَلَامِي فَبِهٰذَا يَسْتَحِي ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِهِ وَمَجْدِ ٱلْآبِ وَٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْقِدِّيسِينَ . حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مِنَ ٱلْقِيَامِ هٰهُنَا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ ٱلْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ ٱللهِ .

(لوقا ٩ : ٢٣—٢٧)

وضع يسوع هنا شروطاً للخدمة لخدامه وتابعيه :

١ — إنكار النفس . وربما يقفز إلى أذهاننا سؤال حتمى ، ما معنى إنكار النفس ؟ .. فلقد أنكر بطرس المسيح بالقول « لا أعرفه » وعليه يكون إنكار نفوسنا فى القول « لا أعرف نفسى » أى يجهل الإنسان وجوده ويعامل الإنسان نفسه كأنه لا شىء . فعندما نريد أن نتبع يسوع ينبغى أن نزيل أثر النفس وننسى وجودها كلية .

٢ — حمل الصليب « ويتكرر نفس السؤال » ما معنى حمل الصليب ؟ لقد عرف يسوع معناه جيداً عندما كان عمره إحدى عشرة سنة . حين قام يهوذا الجليلى بثورة ضد الرومان ، واقتحم مخزن الأسلحة الملوكى فى مدينة سيفوريس sepphoris التى تبعد أربعة أميال عن الناصرة عندئذ ثارت ثائرة الرومان وغلى دم الكبرياء فى عروقهم بحدة جارفة ، فأحرقوا سيفوريس بالنار وباعوا أهلها عبيداً . وصلبوا ألفى ثائراً منهم على صلبان ، فى صفوف طويلة بطول الطريق ليحبطوا ويثبطوا كل ثورة تكمن فى نفس أى إنسان . ومن بين سطور هذه الحادثة نعلم أن حمل الصليب هو أن يعد الإنسان نفسه لكل شىء . ومثل هذا الولاء لله يجعل الإنسان مستعداً لاحتمال أشد الظروف وأرهبها التى يجريها العالم ضدنا لكى يقطع عرى صداقتنا المتينة بالله .

٣ — أن يهلك الإنسان نفسه ولا يحييها « فلا نعول عما نحصل عليه من إمتياز ومجد ، بل نهتم بما نستطيع أن نبذله لأجل يسوع « ولا نسأل عما يمكن أن نفعله فى طمان وأمن ، بل نركز على الواجب الذى ينبغى أن نعمله مهما كانت التضحيات . . ولا نتساءل عن أقل ما يجب أن نؤديه من عمل ، بل نسعى مجاهدين لعمل أقصى ما نستطيع عمله . فينبغى ان يعرف كل مسيحى أن الله أعطاه الحياة لا لأجل ذاته بل لينفقها لأجل المسيح ولأجل الآخرين .

٤ — لا بد لكل مؤمن مخلص من مكافأة ، ولكل مهمل عديم الإخلاص

من قصاص . فإن كنا أمناء معه الآن سيبقى هو أميناً وصادقاً إلى الأبد .. وإن تبعناه فى هذا العالم فإنه يعيننا لحياة أبدية وإن أنكرناه هنا سينكرنا أمام ملائكته فى العالم الآتى .

٥ — فى الآية الأخيرة من هذا الفصل نرى قول يسوع : « حقاً أقول لكم إن من القيام هاهنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله » . ويزعم بعضهم أن قول يسوع هذا معنى أنه كان ينتظر رجوعه فى مجده وأن بعض الأحياء فى ذلك الوقت سيرون رجوعه فى المجد ، لكن يسوع قصد أنه « قبل نهاية هذا الجيل ترون علامات مجىء ملكوت الله » ؛ فقد جاء المسيح إلى العالم ، وبعجيبة دخلت الخميرة التى تخمر العجين كله ليتغير العالم . إذن ينبغى أن نتخلى عن روح التشاؤم ، وننتظر الإشراق الباهر الذى يغلف العالم بغلالة من نور سماوى . ولقد كتب أ . ه كلا وفى نفس المعنى فقال : « لا تقل إن النضال لا يفيد ، وان جروح المجاهدين باطلة ، ولا تقل إن العدو لا يهدأ وأنه يستحيل أن تتغير الأمور : إمتلىء بالرجاء « فإن نقاط الماء القليلة تعنى أن سيول الخير قادمة » وحين تبزغ شقشقة نور الفجر تتأكد أن نور الصباح الكامل سيغمر الكون كله !! » .. هيا ابتهجوا فقد اقترب ملكوت الله ، ونشكر الله على كل بادرة تظهر لنا .

قمة جبل المجد

وَبَعْدَ هٰذَا الْكَلاَمِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلٍ لِيُصَلِّيَ . وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لاَمِعًا .

وَإِذَا رَجلاَنِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ وَهمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا . اَللَّذَانِ ظَهرَا بِمَجْد وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ اَلَّذِى كَانَ عَتِيداً أَنْ يُكَمِّلَهُ فِى أُورُشَلِيمَ . وَأَمَّا بُطرُسُ وَاَللَّذَانِ مَعَهُ فَكَانُوا قَدْ تَثَقَّلُوا بِالنَّوْمِ . فَلَمَّا اُسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ وَالرَّجُلَيْنِ الوَاقِفَيْنِ مَعَهُ . وَفِيمَا هُمَا يُفَارِقَانِهِ قَالَ بُطرُسُ لِيَسُوعَ يَا مُعَلِّمُ جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ ههُنَا . فَلْنَصْنَعْ ثَلاَثَ مَظَال . لَكَ وَاحِدَةً وَلِمُوسَى وَاحِدَةً وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً . وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَقُولُ . وَفِيمَا هُوَ يَقُولُ ذَلِكَ كَانَتْ سَحَابَةٌ فَظَلَّلَتْهُمْ . فَخَافُوا عِنْدَمَا دَخَلُوا فِى السَّحَابَةِ . وَصَارَ صَوْتٌ مِنَ اَلسَّحَابَةِ قَائِلاً هَذَا هُوَ ابْنِى الْحَبِيبُ لَهُ اسْمَعُوا . وَلَمَّا كَانَ الصَّوْتُ وُجِدَ يَسُوعُ وَحْدَهُ . وَأَمَّا هُمْ فَسَكَتُوا وَلَمْ يُخْبِرُوا أَحداً فِى تِلْكَ الأَيَّامِ بِشَىْءٍ مِمَّا أَبصَرُوهُ .

(لوقا ٩ : ٢٨ — ٣٦)

فى هذا الفصل المبارك نجد نقطة تحول عظيمة فى حياة يسوع على الأرض ونتذكر كيف ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم ليصلب . ولقد رأينا من قبل كيف سأل تلاميذه عن إيمانهم به ، ليتحقق علناً أنهم عرفوه معرفة صحيحة ، لكن شيئاً واحداً لم يعمله يسوع لا يوافق إرادة الآب ، وفى هذا المنظر الرائع

والمهيب نرى ما كان يطلبه ومانا له . ونحن لا نعرف بالتفصيل كل ماحدث على جبل التجلي ، لكننا نعرف أن شيئاً هاماً وخطيراً حدث فيه ، لقد أعلن الله موافقته على الخطوة الحاسمة التي كان يسوع مقدماً عليها . . وعلى الجبل ظهر معه موسى المشرع الكبير لشعب الله، وإيليا الذي كان أعظم الأنبياء . وكأنهما يبديان موافقة الناموس والأنبياء على ضرورة الصلب ، وبهذا بدأ يسوع في الذهاب إلى أورشليم . بدأها وهو متأكد أن جماعة قليلة من الناس عرفت شخصيته على حقيقتها ، بدأها وهو عالم أن كل آمال البشر في الخلاص تتوقف على خروجه من أورشليم ، بدأها وهو ممتلىء يقيناً أن الآب في السماء يريد الصليب راض به .

في الجملة القائلة « فلما استيقظوا رأوا مجده » نجد وصفاً لحقيقة هامة عن التلاميذ الثلاثة :

١ — عندما تركد الذاكرة ويصبح العقل خاملا، نفقد الكثير في الحياة.

(ا) فعند التحيز والتحامل تعجز عقولنا عن التفكير، وحتى عندما يطرأ فكر جديد نستقبله كحالمين .

(ب) عندما يرفض البعض الأفكار الجديدة التي تخطر ببالهم يمهدون طريق النوم والكساد إلى عقولهم كقول أفلاطون . « حيـــاة بغير فحص لا تستحق أن نحياها » . وكم من مرات نعمل أموراً كثيرة بدون تفكير وبغير فحص ، كما قيل عن أحدهم إنه سير صحارى عدم الإخلاص مع نفسه ، وأحياناً يكون الفكر خاملا حتى نتقاعس عن إجابة الأسئلة التي تثور في طريقنا ، ولا نحاول طرد الشكوك التي تعترضنا .

(ج) عندما نرغب ما هو هين وسهل ، لابد أن يطرأ علينا شيء يجعلنا نغلق الباب في وجه كل مالا يعجبنا .

٢ — لابد أن نعلم أن الحياة مليئة بالأشياء التى تجعلنا نستيقظ :

(ا) الحزن . . قال أحدهم عن مغنية ناشئة تتقن الغناء دون أن تنفعل معه : « ستكون عظيمة عندما يحدث لها شيء يكسر قلبها » . أجل . . فإن الحزن يوقظ عواطف الإنسان ، ومن خلال الدموع يرى المجد .

(ب) المحبة . . يخبرنا برواننج عن شخصين أحبا بعضهما ، وعندما تقابلت نظرات الواحد مع الآخر بنظرة المحبة الملتهبة « تفتحت أمامهما الحياة » . . كيف لا . . فسواعد المحبة الفتية تفتح أمامنا آفاقاً جديدة لم نكن نحلم بها .

(ج) الشعور بالاحتياج . . قد يعيش الإنسان ردحاً كبيراً من الزمان خاملا عاطلا ، حتى عندما تجابهه مشكلة عقيمة أو سؤالا محيراً أعجز عن إيجاد إجابة له ، نجده يصرخ إلى الله ويتلمس طرق السماء ، وينتبه إلى حالته ويرجع إلى نفسه ، فيستيقظ لله . ألا يليق بنا بعد ذلك أن نضرع إلى الله قائلين : « احفظنى ياإلهى منتبهاً مستيقظاً لك على الدوام .

النزول من على الجبل

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي إِذْ نَزَلُوا مِنَ الْجَبَلِ اسْتَقْبَلَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ . وَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْجَمْعِ صَرَخَ قَائِلاً يَا مُعَلِّمُ أَطْلُبُ إِلَيْكَ . انْظُرْ إِلَى ابْنِي . فَإِنَّهُ وَحِيدٌ لِي . وَهَا رُوحٌ يَأْخُذُهُ فَيَصْرُخُ بَغْتَةً فَيَصْرَعُهُ مُزْبِدًا وَبِالْجَهْدِ يُفَارِقُهُ مُرَضِّضًا إِيَّاهُ . وَطَلَبْتُ مِنْ تَلاَمِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ

وَالْمُلْتَوِى . إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ وَأَحْتَمِلُكُمْ . قَدِّمِ ابْنَكَ إِلَى هُنَا . وَبَيْنَمَا هُوَ آتٍ مَزَّقَهُ الشَّيْطَانُ وَصَرَعَهُ . فَانْتَهَرَ يَسُوعُ الرُّوحَ النَّجِسَ وَشَفَى الصَّبِيَّ وَسَلَّمَهُ إِلَى أَبِيهِ . فَبُهِتَ الْجَمِيعُ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ .

وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَ يَسُوعُ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ . ضَعُوا أَنْتُمْ هٰذَا الْكَلاَمَ فِى آذَانِكُمْ . إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِى النَّاسِ . وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا هٰذَا الْقَوْلَ وَكَانَ مُخْفًى عَنْهُمْ لِكَىْ لاَ يَفْهَمُوهُ وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ هٰذَا الْقَوْلِ .

(لوقا ٩ : ٣٧ — ٤٥)

حالما نزل يسوع من على جبل التجلى ، واجه طلبات وانزعاجات الحياة الملحة . وحدث أن رجلا جاء لتلاميذه يطلب النجدة لإبنه الذى يصرعه الروح النجس . وفى عدد ٤٢ نرى كلمة « الشيطان صرعه » ، والكلمة صرع أو « صرعه » تعنى أن ملاكا لكمه فأسقطه . وقد كانت الصورة محزنة جداً عندما سقط الولد وعجز التلاميذ عن شفائه . . وعندما جاء يسوع غير الحال ورد الولد إلى أبيه سالماً معافاً .

ونرى فى هذا الفصل أمرين :

١ — كان من الضرورى جداً أن يكون يسوع على جبل التجلى ، لكن فرصة وجوده على الجبل لم تطل عن حدها . فإن كان الصعود على الجبل ضرورياً ، إلا أن النزول إلى الوادى للعمل والخدمة ليس أقل ضرورة وإهمية .

وعندما طلب بطرس استمرار المكوث على الجبل لم يعرف ما نطق به، إذ طلب ثلاث مظال ليمكث فى المجد وقد تأتى علينا ظروف رحبة نرغب البقاء فيها بدون تحديد للوقت ، لكن الحقيقة أن بعد فرصة جبل التجلى ينبغى أن ننزل فى معترك الحياة ، فهدف المكوث على الجبل أن نأخذ قوة وننال شحنة روحية هائلة تمكننا من الخدمة فى الوادى .

ولقد هرب إيليا بعد حادثة جبل الكرمل حيث قتل أنبياء البعل، وانطلق إلى البرية ونام تحت الشجرة وأتاه الملاك بالطعام مرتين ، وبعدئذ ورد القول: « فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة » (١مل ١٩ : ١ — ٨) . إذن لا بد أن نصعد إلى قمة الجبل فى حضرة الرب ولكن لا نمكث مكوثاً فى حضرته بل نسير بقوة مقابلتنا لله أياماً كثيرة. قيل عن كابتن سكوت المكتشف العظيم : « كانت حياته مزيجاً من الأحلام والحقيقة ، ولم يكن يقوم باكتشاف عظيم إلا بعد أحلام كثيرة » . ومع أننا لا نستطيع أن نمكث على الجبل دوماً ، إلا أن وجودنا على الجبل لازم جداً.

٢ — عندما نزل المسيح من على الجبل لم تبق فى التلاميذ قوة ، وكان أبو الولد فى حالة من الاضطراب والذعر لا يعبر عنها . لكن حالما جاء يسوع أمسك مقاليد الأمور فى يده ، وسيطر على الموقف بقوته الفائقة وحول الاضطراب إلى هدوء ، والخوف إلى سلام ، والمرض إلى صحة وعافية .هكذا عندما نجد الحياة صعبة ومظلمة ، وليست تحت سيطرتنا ، لنلجأ إلى الله القادر أن يهدى عجيج الأمور المرتبكة والمربكة ، لأن كل شىء تحت أمره .

٣ — إنتهت القصة بإشارة يسوع للصليب للمرة الثانية . وعندئذ ظهر انتصاره !! إنتصر على الشياطين وتعجب الجميع حتى حيوه استحساناً، وأما يسوع فقد أخبرهم أنه ذاهب فى طريقه إلى الموت . لقد آمن يسوع فعلا فى أن العظمة

الحقيقية تكمن فى رفضه الطريق السهل واختياره طريق الصليب ، فاختاره وأقبل عليه طائعاً مرحباً مؤمناً .

العظمة الحقيقيّة

وَدَاخَلَهُمْ فِكْرٌ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ فِيهِمْ . فَعَلِمَ يَسُوعُ فِكْرَ قَلْبِهِمْ وَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ عِنْدَهُ . وَقَالَ لَهُمْ . مَنْ قَبِلَ هٰذَا ٱلْوَلَدَ بِٱسْمِي يَقْبَلُنِي . وَمَنْ قَبِلَنِي يَقْبَلُ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي . لِأَنَّ ٱلْأَصْغَرَ فِيكُمْ جَمِيعًا هُوَ يَكُونُ عَظِيمًا .

(لو ٩ : ٤٦ — ٤٨)

عندما نريد أن نعلل تفكير التلاميذ فى من يكون الأعظم فيهم ، نجد أنهم فكروا أن مملكة يسوع أرضية ولذلك اتجهت أفكارهم فى من يكون له المركز المرموق والنصيب الأكبر فى ملكوته . ولعل اصطحاب المسيح لبطرس ويعقوب ويوحنا ورفقته إياهم إلى جبل التجلى أثار حسد بقية التلاميذ لهم. وأدرك يسوع ما يدور ويثور فى أفكارهم وما يعتمل فى قلوبهم ، فأخذ ولداً صغيراً وأوقفه بجانبه ، وكان هذا امتياز بالنسبة للولد — وقال : « من قبل هذا الولد باسمى يقبلنى ، ومن قبلنى يقبل الذى أرسلنى » .

وقد قصد بهذا القول أن الولد الصغير لا أهمية له ، أمام فوكلاء المسيح المختارون. وكأنى بيسوع يصوب أنظاره إليهم ويقول : «إن كنتم على استعداد بأن تنفقوا وتنفقوا فى خدمة الآخرين ومساعدتهم ، وإن كنتم تحبون الذين

لا مقام لهم ولا مكانة فى هذا العالم ، فإنكم تخدموننى وتخدمون الله ، وإن كنتم على استعداد أيضاً بأن تبذلوا حياتكم فى عمل الأشياء البسيطة ولم تعبأوا بما يحسبه العالم عظيماً ، فإنكم تكونون عظماء حقاً فى نظر الله » . ومن كلمات يسوع المباركة تخرج حقيقة هامة وعظيمة ، إذ أماط اللثام عن البواعث والدوافع التى تدفع الناس للخدمة ، فرأى بواعث خاطئة ودوافع مغلوطة قد تكون سبباً لإقبال الكثيرين على الخدمة .

١ — الرغبة فى الحصول على المقام . . أخبرنا أ . ج . كرونين عن ممرضة عرفها عندما كان يمارس مهنة الطب ، كانت تخدم بمفردها مدة عشرين عاماً فى إقليم يبعد عن سكنها عشرة أميال ، فقال : « تعجبت لصبرها وثباتها وفرحها . فلم تكل يوماً ما من طلب معجل ليلا . مع أن مرتبها لم يكن ذا قيمة . ورأيتها عائدة فى وقت متأخر بعد يوم طويل من التعب المضن والعمل المرهق ، وسألتها لماذا لم تطلب زيادة لمرتبها . . والرب يعلم أنها مستحقة له » فقالت : « إن كل ما يهمنى أن أعمل لله لا للناس » . هكذا عندما نعمل لله ، يتصاغر أى مقام فى عيوننا ، لأننا ندرك أن أحسن عمل نعمله ليس كاملا قدام الله .

٢ — الرغبة فى المكانة . فقد يأخذ إنسان مركزاً أو وظيفة فى الكنيسة ، ولا يحتسب هذا شرفاً بل عبئاً ومسئولية . وكم من كثيرين يعملون فى الكنيسة ويفتكرون فى أنفسهم فقط لا فى الذين يخدمونهم . هنأ الناس رئيس وزارة انجليزية ذات مرة على مركزه الجديد ، فأجاب : « لا أريد أن تزفوا إلى التهانى ، ولكنى أريد أن تصلوا من أجلى » . لذلك عليك أن تعلم أن اختيارك لشغل وظيفة ما معناه ، فرزك للخدمة ، وليس فقط لجعلك محترماً فى أعين الناس .

٣ — الرغبة فى الحصول على الشهرة . . وفعلا نجد كثيرين يخدمون طلباً للإطراء والمديح المسهب من الناس ، وليعرف الناس مقدار خدمتهم ومدى كفاءة كل منهم . أما يسوع فقد علمنا أن ننكر ذواتنا وأن لا نعرف شمالنا ما تعمل يميننا فإن رغبنا فى الشهرة ضاع الأجر الذى يهبه لنا الله على خدمتنا.

درسان في الاحتمال

فَأَجَابَ يُوحَنَّا وَقَالَ يَامُعَلِّمُ رَأَيْنَا وَاحِداً يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِكَ فَمَنَعْنَاهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَتْبَعُ مَعَنَا . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ لَا تَمْنَعُوهُ . لِأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا .

وَحِينَ تَمَّتِ الْأَيَّامُ لِارْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ . وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلاً . فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ . فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لِأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهاً نَحْوَ أُورُشَلِيمَ . فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا قَالَا يَارَبُّ أَتُرِيدُ أَنْ تَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضاً . فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا . لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ بَلْ لِيُخَلِّصَ . فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى .

(لوقا ٩ : ٤٩ — ٥٦)

فى هذا الفصل لنا درسان فى الاحتمال :

إدعى كثيرون فى فلسطين بمقدرتهم على إخراج الشياطين ، لذلك نظر البشير يوحنا إلى الرجل الذى يخرج الشياطين كمنافس يجب ردعه وإسكاته . وقد كانت الطريق بين أورشليم والجليل تمر بالسامرة ، وتجنب معظم اليهود هذا الطريق بسبب العداوة الطويلة المدى القائمة بين اليهود والسامريين من مئات السنين (يو ٤ : ٩) وكثيراً ما اعتقل السامريون اليهود المسافرين ، وأوقعوا الأذى بالقوافل المارة بهم . وبنفس المعاملة قابل السامريون المسيح — ولم يكن هذا بغريب — فتضجر يعقوب ويوحنا وطلبا أن تنزل نار من السماء وتأكل تلك المدينة . لكن يسوع ضاق ذرعاً من عدم صبرهم وتحملهم، وضرب لنا فى هذا الفصل المثل الأعلى فى ضرورة الاحتمال والصبر . إن فضيلة الاحتمال هى الفضيلة المهملة فى العالم ، وإن وجدت عند البعض توجد بأسباب خاطئة وغير سليمة .

ولم يكن فى القادة الدينيين رجل مثل يوحنا وسلى فى احتماله حيث قال : « لاحق لى أن أعارض رجلا يختلف معى فى الرأى ، أو أن أعترض عليه لأنه يلبس شعراً مستعاراً بينما أنا أترك شعرى الطبيعى ينمو . أما إذا خلع شعره المستعار ونفض البودرة فى وجهى ، فمن حقى أن أبتعد عنه بقدر الإمكان» وأردف قائلا : « أما الشىء الوحيد الذى أقاومه بعنف هوضيق الروح والغيرة المرة حين نكون متوجعين فى أحشائنا ، الأمر الذى يظهر أننا لم نأخذ شيئاً من الله » . وعندما اعتنق أخوه المذهب الكاثوليكى كتب إليه قائلا : « لا يهمنى فى أى كنيسة تكون فقد تخلص أو تهلك فى كنيسة ما ، ولكن أخشى أنك لم تولد ثانية » . وفى دعوة الكنيسة الميثودستية لمن يتناولون الأسرار المقدسة يقولون : « كل من يحب الرب يتقدم إلى هنا » .

ولعل الداء العضال والمعول الهدام فى صرح الكنيسة الذى قسمها إلى شيع وأحزاب هو اعتقادنا أن عقيدتنا وحدها هى الصحيحة ، بينما كل عقيدة أخرى باطلة . كتب مرّةً أوليڤر كرومويل Oliver Cromwell للأسكتلنديين المعاندين يقول : « أطلب منكم بأحشاء رحمة المسيح أن تفتكروا أنكم قد تكونون على خطأ » . ولا غرابة فى ذلك ، فحين نقوم بعمل ما ، لابد أن نعلم أنه يوجد شخص آخر يظن أننا على خطأ . كما يجب أن نعلم أن هناك طرقاً مختلفة تؤدى بالناس إلى الله ، وأن للرب طريقاً خاصاً إلى قلب كل إنسان ، فهو يتمم قصده بكيفية أو بأخرى ، وليس لإنسان أو لكنيسة أن تحتكر الطريق إلى الله !! .. على أن احتمالنا للآخرين يجب أن يصدر من واقع محبتنا لهم ، لا لعدم مبالاتنا بهم . فعندما انتقدوا إبراهام لنكولن على حفاوته بأعدائه ، وطلبوا منه أن يهلكهم ، قال قولته المشهورة «أليس إهلاك أعدائى هو جعلهم أصدقائى ؟ !! » . لذلك عندما يكون إنسان ما مخطئاً كل الخطأ ، وجب أن لا ننظر إليه كعدو يجب إهلاكه ، بل كضال ينبغى أن نرده للحق وللنور بالمحبة والوداعة .

أمانة يسوع

وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي ٱلطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ يَاسَيِّدُ أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ ٱلسَّمَاءِ أَوْكَارٌ . وَأَمَّا ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ . وَقَالَ لِآخَرَ ٱتْبَعْنِي . فَقَالَ يَاسَيِّدُ ٱئْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي . فَقَالَ لَهُ

يَسُوعُ دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ ٱللهِ . وَقَالَ آخَرُ أَيْضاً أَتْبَعُكَ يَاسَيِّدُ وَلٰكِنِ ٱئْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ ٱلَّذِينَ فِي بَيْتِي . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى ٱلْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى ٱلْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ ٱللهِ .

(لوقا ٩ : ٥٧ — ٦٢)

نرى هنا كلمات يسوع لثلاثة رجال يمكن أن يتبعوه :

١ — كانت كلمة يسوع للرجل الأول فى ثوب نصيحة ، وكأنى به يقول له « قبل أن تتبعنى ينبغى أن تحسب حساب النفقة أولا » . ولا يجرؤ أحد أن يقول أنه انخدع بمظاهر كاذبة فى اتباع يسوع ، لأن يسوع وضع مبادىء سامية أرفع مما يستطيع إنسان أن يضع مثلها . وفى ضوء كلمات يسوع نشعر بخطئنا الكامل عندما نعلن للناس أن عضويتنا بالكنيسة، لم تنشىء فينا اختلافاً بيناً عن العالم . لكن الأفضل أن يرى الناس فينا أننا لا نشاكل هذا الدهر ، ولا اتفاق بيننا وبينه إلى النهاية . وربما يؤدى هذا إلى قلة عدد أعضاء الكنيسة لكن كل الذين سينضمون سيكونون أمناء فى عهودهم مع المسيح إلى الموت .

٢ — ربما تظهر كلمات يسوع للرجل الثانى قاسية وشديدة ، لكن الواقع غير ذلك ، فمن المحتمل أن أباه لم يمت بعد ، لكنه قصد أن يقول « أتبعك ياسيد بعد موت أبى » . حدثنا موظف فى الشرق عن شاب عربى ممتاز له من الذكاء ما يؤهله للتمتع بمنحة دراسية فى كامبردج أو أكسفورد ، لكنه رفض المنحة الدراسية بقوله . « أقبل المنحة بعد موت أبى » وكان أبوه فى الأربعين

من عمره . ولقد برزت حقيقة هامة من بين كلمات يسوع ، «أنه توجد لحظة حاسمة فى كل شيء ، فإن لم نقتنص الفرصة لن نتمم شيئاً » .. ويبدو أن بطل قصتنا كان مضطرباً ، وفى حاجة ملحة أن يتخلص من الموت الروحى الذى يكتنفه ، وقد سنحت فرصة خلاصه ، فلو لم يقتحم الباب ويقتنص الفرصة لن يجد لنفسه خلاصاً . ونحن كم من مرات نرغب فى عمل شيء ما ، فإذا لم نقم به حالا ماتت الرغبة فينا، فقد نشعر أحياناً بأنه يلزم كتابة خطاب شكر أو تهنئة لشخص عزيز لدينا ، فإن لم نكتب فى الحال وأجلنا الكتابة للغد ، قد لا نكتب هذا الخطاب أبداً .. وهذا هو قصد يسوع أن نعمل فوراً ما يجب عمله عندما تحركنا قلوبنا لعمله .

٣ — تثبت كلمات يسوع للرجل الثالث حقيقة لا تضيجد ولا تنكر ، وهى أنه لا يمكن أن يستقيم الخط للحراث إن نظر إلى الوراء . وكم من أناس يسيرون صوب المستقبل بينما ينظرون إلى الماضى وإلى الأيام الطيبة التى مضت . أخبرنا المبشر العظيم واتكنسون أنه كان يسير على شاطيء البحر مع حفيده الصغير ، فقابل قسيساً متقدماً فى الأيام يشكو مر الشكوى من متاعبه ، خصوصاً وأن ضربة الشمس أصابته فزادت مرارته مراً علقماً . وكان الحفيد الصغير يسمع كلام القسيس دون أن يفهم كل معناه ، وعندما تركاه قال الصغير لجده واتكنسون « أرجو ياجدى أن لا تتألم يوماً من غروب الشمس » . هكذا يجب أن يسير كل مسيحى وهو يتطلع إلى شروق الشمس لا إلى غروبها ، فإن شعار الملكوت « لا إلى الوراء بل إلى الأمام » وكأنى بالمسيح يقول لهذا الرجل الثالث « أنا لا أريد خدمة عرجاء » ، ثم تركه ليختار لنفسه ما يريد .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلْعَاشِرُ

فَعَلَة لأجل الحصاد

وَبَعْدَ ذٰلِكَ عَيَّنَ ٱلرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضاً. وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعاً أَنْ يَأْتِيَ. فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ ٱلْحَصَادَ كَثِيرٌ وَلٰكِنَّ ٱلْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ ٱلْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ. اذْهَبُوا. هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ حُمْلاَنٍ بَيْنَ ذِئَابٍ. لاَ تَحْمِلُوا كِيساً وَلاَ مِزْوَداً وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ تُسَلِّمُوا عَلَى أَحَدٍ فِي ٱلطَّرِيقِ. وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلاً سَلاَمٌ لِهٰذَا ٱلْبَيْتِ. فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ٱبْنُ ٱلسَّلاَمِ يَحِلُّ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ وَإِلاَّ فَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ. وَأَقِيمُوا فِي ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ آكِلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا عِنْدَهُمْ. لِأَنَّ ٱلْفَاعِلَ مُسْتَحِقٌّ أُجْرَتَهُ. لاَ تَنْتَقِلُوا مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ. وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ فَكُلُوا مِمَّا يُقَدَّمُ لَكُمْ. وَٱشْفُوا ٱلْمَرْضَى ٱلَّذِينَ فِيهَا. وَقُولُوا لَهُمْ

قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ . وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ فَاخْرُجُوا إِلَى شَوَارِعِهَا وَقُولُوا . حَتَّى الْغُبَارُ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ لَكُمْ . وَلٰكِنِ اعْلَمُوا هٰذَا أَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ . وَأَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَكُونُ لِسَدُومَ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ .

وَيْلٌ لَكِ يَا كُورَزِينُ . وَيْلٌ لَكِ يَا بَيْتَ صَيْدَا . لأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي صُورَ وَصَيْدَاءَ الْقُوَّاتُ الْمَصْنُوعَةُ فِيكُمَا لَتَابَتَا قَدِيماً جَالِسَتَيْنِ فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ . وَلٰكِنَّ صُورَ وَصَيْدَاءَ يَكُونُ لَهُمَا فِي الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لَكُمَا . وَأَنْتِ يَا كَفْرَنَاحُومُ الْمُرْتَفِعَةَ إِلَى السَّمَاءِ سَتُهْبَطِينَ إِلَى الْهَاوِيَةِ . الَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي . وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي . وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي .

(لوقا ١٠ : ١ — ١٦)

يعنى هذا الفصل إرسالية أوسع من إرسالية الإثنى عشر الأولى ، كان العدد « ٧٠ » عدداً رمزياً عند اليهود :

(ا) إنه عدد السبعين شيخاً المختارين لمساعدة موسى فى قيادة وإرشاد الشعب فى البرية (عدد ١١:١٦، ١٧، ٢٤، ٢٥

(ب) كان عدد رجال السنهدريم المجمع الأكبر لليهود .

(ج) اعتقد اليهود أن عدد شعوب العالم سبعين شعباً ، وقد انتظر لوقا صاحب النظرة المتسعة البعيدة المدى اليوم الذى يعرف فيه كل العالم محبة الله .

نلمح فى كلمات المسيح نظرة مرّة .. فلقد نطق بالويل لكورزين التى صنع فيها الكثير والعديد من معجزاته وقواته ، بالرغم من أنها لم تذكر فى الإنجيل ولم نلمح كلمة أو عملا حدث فيها ، ولم تكن خدمتها ظاهرة فى حياة يسوع ، ويرجع ذلك إلى أن الأناجيل لم تكن كتباً تاريخية هدفها أن تعطى تاريخاً مفصلا ، بل أعطتنا مجمل أعمال يسوع ومثلا منها ، (يو ٢١ : ٢٥) كما أن هذا الفصل يكشف عن أشياء هامة بالنسبة للكارز والسامع معاً :

١ — لم يثقل المبشر أو الكارز بأمور مادية تعيقه فى سفره . وكم من السهل أن يرتبك الإنسان بأمور الحياة وهو فى سيره الحثيث صوب المدينة المقدسة . تطلع دكتور جنسون إلى قلعة عظيمة ذات مرة ، وعرف طريقه استخدامها ، فقال بعبوسة : « حقاً .. إن هذه الأشياء تجعل الموت صعباً » فإن الأرض تحجب عنا رؤية السماء أحياناً ، وهذا ما لا يجب أن يكون .

٢ — يجب أن يكون الكارز مركزاً فى عمله مكباً عليه ، وهذا ما يظهر فى القول أنه لا يسلم على أحد فى الطريق ، الأمر الذى يرجع بنا إلى ما قاله أليشع لجيحزى (٢ مل ٤ : ١٩) وليس هذا العمل منافياً للأخلاق المسيحية الكريمة ، أو مناقضاً لها ، فهو يعنى أن لا يعرج رجل الله هنا وهناك لأجل أشياء تافهة ، بينما يدعوه الله لأمور أعظم .

٣ — يجب أن لا يكون الكارز فى عمل يستطيع أن يتخلص منه ، بل

عليه أن يأكل ما يأتى أمامه ، ولا ينتقل من بيت إلى بيت طلباً للراحة . وقد وجد فى الكنيسة الكثير من الخدام الذين يتطفلوا على الخدمة .. وقد وجد أيضاً كتاب يسمى «تعليم الاثنى عشر رسولا» كتب فى سنة ١٠٠م وهو كتاب يحوى تنظيم الكنيسة الأولى ، إذ وجد أنبياء يطوفون من مدينة إلى مدينة . فإذا مكث النبى عاطلا ثلاثة أيام يعرف أنه كاذب ، وخاصة إذا طلب مالا أو طعاماً . حقاً إن الفاعل مستحق أجرته ، وأما خادم المصلوب فلا يسعى وراء الرفاهية .

٤ — أما بالنسبة للسامعين ، فنرى فى هذا الفصل أن سماع كلمة الله مسئولية عظيمة ، فبقدر معرفة الإنسان بقدر ما يدان على أخطائه ، فقد نغفر للمبتدئين أعمالا لا يمكن أن نسمح بها مطلقاً للمتدينين ، فلكل امتياز مسئولية ، وبقدر الامتيازات تكون المسئوليات .

٥ — إن رفض دعوة الله ، وإغلاق القلب أمام محبته هو أخطر الأمور ضرراً ، فنحن ندان على مقدار سماعنا لصوت الله ولكلمته ، فمن يقبل هذه المواعيد يصبح له أعظم مجد ويرتقى إلى أمجد عظمة ، أما من يسمع ولا يعمل فذلك يكون شاهداً ضد نفسه .

مجد الرجل الحقيقى

فَرَجَعَ ٱلسَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ يَا رَبُّ حَتَّى ٱلشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِٱسْمِكَ . فَقَالَ لَهُمْ رَأَيْتُ ٱلشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ ٱلْبَرْقِ مِنَ ٱلسَّمَاءِ . هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَاناً لِتَدُوسُوا ٱلْحَيَّاتِ وَٱلْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ ٱلْعَدُوِّ وَلَا يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ .

وَلٰكِنْ لَا تَفْرَحُوا بِهٰذَا أَنَّ ٱلْأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ بَلْ
أَفْرَحُوا بِٱلْحَرِىِّ أَنَّ أَسْمَاءَ كُمْ كُتِبَتْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ .

(لوقا ١٠ : ١٧ — ٢٠)

رجع السبعون من جولتهم تبدو سيماء الظفر على محياهم ، ويتلألأ النجاح فى وجوههم بلمعان عجيب مفعماً بزهوة النصر الحلوة بما عملوه باسم المسيح ، عندئذ قال لهم المسيح : « رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء » . وقد تبدو هذه الجملة عسرة الفهم ولذلك نرى فيها معنيين :

١ — يمكن أن تعنى « رأيت اندحار قوات الظلمة وأجناد الشر وهى تجر أذيال الخيبة والعار وقد كان سقوطها عظيما ، وقد اقترب ملكوت الله » . فقد أيقن يسوع تماماً أن الشيطان وقواته مهما طال الزمن سيسقطون ، ومهما عظم عملهم سيفنى ، وقد قال أحد العلماء مؤيداً ذلك المعنى : « انتهى يوم الموت وسيعقبه حالا يوم الانتصار » .

٢ — وقد يكون المعنى التحذير من الكبرياء كقول القدماء أنها تشير إلى التعالى والثورة ضد الله ، فلقد سقط الشيطان من السماء حيث كان رئيساً للملائكة ، وكأنى بيسوع يقول « قد انتصرتم وذقتم حلاوة الظفر ، فاحترسوا من الكبرياء لأنه بسببها سقط رئيس الملائكة من السماء » .

وبالتأكيد أن الصواب جانب الرأى الثانى فلقد كان المسيح يحذر تلاميذه من الاعتداد بالذات والغرور ، حقاً قد أعطاهم كل قوة ، لكنه أظهر لهم أن المجد الأعظم والحقيقى يكمن فى كتابة أسمائهم فى السماء ، وعندئذ تخرج الحقيقة الثابتة أن مجد الإنسان الحقيقى ليس فى ما يعمله هو ، بل فى ما عمله الله لأجله. وربما يكون الكلوروفورم أعظم اكتشاف أنقذ البشرية من آلام مرة

وعديدة ، لكن عندما سئل سير جيمس سمسون الذى اكتشفه عن أى شىء يعتبره الأعظم فى اكتشافاته ؟ وقد كان السـائل يتوقع أن يكون الجواب « الكلوروفورم » وأما هو فأجاب بلغة الثقة المصحوبة بابتسامة النصر التى لا تعرف المغيب « كان اكتشافى الأعظم هو اكتشافى للرب يسوع مخلصى » نعم ... إن أعظم رجل فى العالم يستطيع أن يقول عندما يقف فى حضرة الرب ويرتقى إلى محضر فادى الخطاة « ليس شىء فى يدى أستطيع أن أعمله غير أن أتعلق بالصليب ، وأن آتى عارياً لأجد ما يسترنى .. وبدون حول أو قوة انتظر نعمتك ، وبقذارتى أغتسل فى نبعك الفياض ، فاغسلنى كثيراً يامخلص لئلا أهلك .. وإن اوقفتنى الكبرياء مجرماً خارج السماء .. فإن التواضع والضعة هو الجواز الذى به أدخل إلى حضرتك يا الله .. » .

الإدّعاء الذى لا ادّعاء بعده

وَفِى تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ أَحْمَدُكَ أَيُّهَا ٱلْآبُ رَبُّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هٰذِهِ عَنِ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ نَعَمْ أَيُّهَا ٱلْآبُ لِأَنْ هٰكَذَا صَارَتِ ٱلْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ . وَٱلْتَفَتَ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي . وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ ٱلِابْنُ إِلَّا ٱلْآبُ وَلَا مَنْ هُوَ ٱلْآبُ إِلَّا ٱلِابْنُ وَمَنْ أَرَادَ ٱلِابْنُ انْ يُعْلِنَ لَهُ . وَٱلْتَفَتَ إِلَى تَلَامِيذِهِ عَلَى ٱنْفِرَادٍ وَقَالَ طُوبَى لِلْعُيُونِ ٱلَّتِي

تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ . لِأَنِّى أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ وَمُلُوكاً أَرَادُوا أَنْ يَنْظُرُوا مَا أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَلَمْ يَنْظُرُوا وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا .

(لوقا ١٠ : ٢١ — ٢٤)

فى هذا الفصل لنا ثلاثة أفكار عظيمة :

١ — يخبرنا عدد ٢١ عن حكمة البساطة ، فالعقل البسيط قد يدرك الحقائق التى لا يدركها العقل المثقف، وقد قال ارنولد بنت Arnold Bennet « إن الطريقة الوحيدة لكتابة كتاب عظيم هى أن تكتب بأعين الأطفال الذين يرون الشيء لأول مرة » . فربما يكون الإنسان مجتهداً ومتعلماً ، ولكنه لا يقدر أن يظهر الغرض مما يكتب ، ومرة قال أحدهم : إن أكبر اختبار تختبر به أعظم عالم هو ما يمكن أن ينساه ، ولنذكر أول كل شيء أن المسيحية ليست معرفة كل النظريات اللاهوتية أو كل ما يختص بعلم اللاهوت والديانة المسيحية ، فليست هى المعرفة عن المسيح بل معرفة المسيح ، وليس هذا بحكمة بشرية بل بنعمة سماوية .

٢ — يخبرنا عدد ٢٢ عن الصلة المثلى بين يسوع والله ، وهذا ما يعنيه إنجيل يوحنا بقوله: «والكلمة صار جسداً» (يو ١ : ١٤) ، أو كقول يسوع « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) ، « الذى رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) . وقد كان الله مجهولا بالنسبة لليونانيين ، فقد وجدت هوة عظيمة بين الروح والمادة بين الإنسان والله حتى قالوا : « من الصعب جداً أن تعرف الله ، وإن عرفته فلن تقدر أن تخبر إنساناً ما عما عرفته عنه » . أما يسوع فعندما جاء إلى عالمنا قال : « من عرفنى فقد عرف الآب » ، فهو لم

يتحدث كثيراً عن الله أمام الناس بل أراهم الله ، لأن فيه كان فكر الآب وقلب الآب نحو البشر .

٣ — عدد ٢٣ ، ٢٤ يحدثنا عن يسوع كمال التاريخ وقمته . ولقد قال هو : « أنا الذى تنبأ عنه الأنبياء والذى اشتهى القديسون والملوك ظهوره » . وكتب متى البشير فى إنجيله : « وهذا كله كان لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل .. «من مصر دعوت ابنى» (مت ٢ : ١٥) « صوت سمع فى الرامة » (مت٢:١٧) « لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريًا » (مت ٢ : ٢٣) .

كان يسوع القمة التى يصبو إليها التاريخ ، بل الهدف الذى يسير إليه ، هو الإلهام الذى تأثر به رجال الله . وإذا أردنا أن نصوغ هذا الكلام فى قالب فكرى حديث نقول: « إننا نؤمن بهذا التطور أنه وإن بلغ الإنسان إلى درجة الوحشية ، سيقيمه يسوع إلى أن يرتقى ويتقابل مع الله ، لأنه هو الإنسان الكامل الذى حل فيه كل ملء اللاهوت » .

من هو قريبي

وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلاً يَا مُعَلِّمُ مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلْأَبَدِيَّةَ فَقَالَ لَهُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي ٱلنَّامُوسِ . كَيْفَ تَقْرَأُ . فَأَجَابَ وَقَالَ تُحِبُّ ٱلرَّبَّ إِلٰهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ . فَقَالَ لَهُ بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ . اِفْعَلْ هٰذَا فَتَحْيَا . وَأَمَّا هُوَ

فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ قَالَ لِيَسُوعَ وَمَنْ هُوَ قَرِيبِى فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ . إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَىٍّ وَمَيْتٍ . فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِناً نَزَلَ فِى تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ . وَكَذَلِكَ لَاوِىٌّ أَيْضاً إِذْ صَارَ عِنْدَ ٱلْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ . وَلَكِنَّ سَامِرِيّاً مُسَافِراً جَاءَ إِلَيْهِ وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ . فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتاً وَخَمْراً وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَٱعْتَنَى بِهِ . وَفِي ٱلْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ ٱلْفُنْدُقِ وَقَالَ لَهُ ٱعْتَنِ بِهِ وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِى أُوفِيكَ . فَأَىُّ هَؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيباً لِلَّذِى وَقَعَ بَيْنَ ٱللُّصُوصِ . فَقَالَ ٱلَّذِى صَنَعَ مَعَهُ ٱلرَّحْمَةَ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ ٱذْهَبْ أَنْتَ أَيْضاً وَٱصْنَعْ هَكَذَا .

(لو ١٠ : ٢٥ — ٣٧)

يجدر بنا أن نتطلع أولا إلى المنظر الذى تصوره لنا هذه القصة الدقيقة فى تفاصيلها العميقة للمعنى والممعنة فى العمق . فقد اشتهرت الطريق الممتدة من أورشليم إلى أريحا بالمخاطر المرعبة ، فأورشليم ترتفع عن سطح البحر بمقدار

٢٣٠٠ قدماً ، وأما أريحا فتنخفض بمقدار ١٣٠٠ قدماً عن سطح البحر الميت أى أن الطريق الذى تبلغ فى طولها ٢٠ ميلا تنحدر بنحو ٣٦٠٠ قدماً ، ضيقة جداً ، صخرية التربة ، كثيرة المنحنيات والتعاريج ، مما جعلها مكمناً للصوص وقطاع الطرق حتى دعاها القديس إيرونيموس فى القرن الخامس « الطريق الحمراء أو طريق الدماء » . وكان المسافر يدفع أجرة حراسته للشيوخ المحليين — وذلك حتى القرن التاسع عشر — قبل البدء فى السفر . وكتب ه . ف . مورتون عام ١٩٣٠ أنه حين ذهب لزيارة الأرض المقدسة حذروه من السير فى تلك الطريق . خاصة عندما يسدل الظلام ستاره على الكون ، فقد وجد رجل يسمى « أبو جلده Abu Jildeh » اشتهر بقنص العربات واختطاف ونهب المسافرين والسياح ، ثم يهرب إلى التلال قبلما يأتى رجال الشرطة . هذا هو الطريق الذى تحدث عنه يسوع فى قصتنا هذه .

أما الأمر الثانى الذى يليق بنا أن ننظر إليه فهو أبطال القصة :

(ا) المسافر . . كان مجازفاً متهوراً ، إذ يندر أن نجد إنساناً منفرداً يستخدم هذا الطريق فى سفره من أورشليم إلى أريحا وخاصة إذا كان يحمل من البضائع والمتاع الشيء الثمين . وكل من أراد سفراً آمناً لا بد أن يبحث عن رفقاء له فى سفره ، فكانوا يسافرون قوافل أو جماعات ليجدوا من التئام شملهم قوة وشجاعة إذا أصابهم أذى ، لذلك كان اللوم كله يقع على هذا الرجل لسفره وحيداً فأوقع نفسه بالتالى فى كارثة مؤلمة .

(ب) الكاهن . . وقد تجاوز الجريح مسرعاً متذكراً أن من يمس ميتاً يظل نجساً سبعة أيام (عدد ١٩ : ١١) . وربما تصور أن الرجل مائت ، فخشى من الأخطار التى تلحق به من مس الميت إذ يحرم بدوره من الخدمة فى الهيكل . لقد فضل الكاهن الشريعة عن عمل الإحسان . وكانت طقوس الهيكل فى نظره أهم من إغاثة مجروح متألم ،

(ح) اللاوى . . ويبدو أنه أتى بقرب الجريح قبل أن يجاوزه ، فلقد إعتاد قطاع الطرق أن يخدعوا المسافرين ، بأن يقوم أحدهم بدور الجريح حتى عندما يقف مسافر بجانبه ليمد له يد المعونة ينقض عليه بقية اللصوص فى وحشية كاملة لنهب وسلب أمواله وإيقاع الأذى به . لذا آثر اللاوى أن يجاوز الجريح مفضلا سلامة نفسه على مساعدة الآخرين .

(د) السامرى واليهودى .. الذى يستمع للقصة لأول مرة يخيل إليه أن وصول السامرى إلى هذا المشهد يعنى وصول شرير وغد ،لأن اليهود لا يعاملون السامريين وربما كان السامرى تاجراً اعتاد السفر ودخول الفنادق، وقد سمى اليهود يسوع « سامرياً » (يو ٨ : ٤٨)، وكانت تطلق كلمة سامرى على كل هرطوقى أو كاسر للناموس الطقسى، وربما كان هذا السامرى من الأشخاص الذين احتقرهم المستقيمون والصالحون . . ونلاحظ عنه شيئين :

١ — كان حسابه التجارى سليما ، حتى أن صاحب الخان وثق بكلامه وإن كنا نظن أن عقيدته الدينية خاطئة إلا أنه كان أميناً فى حسابه المالى .

٢ — كان فريداً فى رغبته فى مساعدة الجريح . . فربما نعتبره هرطوقياً، لكن المحبة الإلهية ملأت قلبه حتى ظهرت فى كل حياته . وليس بجديد على العالم أن ترى مستقيما يفضل العقيدة عن مساعدة الآخرين ، خصوصاً وإن كان من تساعده محتقراً . والحقيقة أننا لا ندان بحسب العقيدة بل بمقتضى الحياة التى نحياها .

والأمر الثالث الذى يسترعى انتباهنا هو التعليم الذى نستمده من هذا المثل . كان الكاتب الذى سأل السؤال جاداً فى سؤاله ، وقال له يسوع : « ما هو مكتوب فى الناموس . كيف تقرأ » . ولقد درج اليهودى المدقق أن يضع حول معصمه حجاباً يحوى أقوالا كتابية من خر ٢٣ : ١ — ١٠ ، ١١،

— ١٦)، تث ٦ : ٤— ٩، ١١ : ١٣ — ٢٠) « فاسمع يا اسرائيل واحترز لتعمل لكي يكون لك خير وتكثر جداً كما كلمك الرب إله آبائك (تث ٦ : ٣) » « فإذا سمعتم لوصاياى التى أنا أوصيكم بها اليوم . لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم » (تث ١١ : ١٣) . وهكذا قال يسوع لذلك الكاتب « أنظر إلى الشريعة المربوطة على معصمك تجدالجواب الصحيح » ، وأضاف الكتبة إلى لاويين ١٨ : ١٩ ما يأمر الإنسان بمحبة قريبه كنفسه . وعندما أراد الكاتب أن يعرف من هو قريبه سأل « من هو قريبى ؟ » وقد حدد الكتبة كلمة قريب فى من كان يهودياً فقط ، فحرموا مساعدة الأممية حتى وقت ضيقتها المرة فى الولادة قائلين إنها تنجب للعالم أممياً جديداً !! . . ولهذا سأل الكاتب : من هو قريبى ؟ » وعندئذ أماط المسيح اللثام عن وجه الحقيقة ، فبدت سافرة المحيا ، رافعة الرأس ، مفحمة لليهود جميعاً ، مشتملة عن ثلاثة أشياء :

١ — يجب أن تقدم المساعدة لكل إنسان حتى ولو كان قد جلب على نفسه الأذى كهذا المسافر .

٢ — قريبى هو من كان فى ضيقة ، مهما كان جنسه ، ويجب أن نساعده بكل ما نملك كما أحب الله .

٣ — ينبغى أن تكون المساعدة عملية فلا تقف عند حد المشاعر والأسف فقط . فبدون شك أن الكاهن واللاوى تأسفا على الجريح . ولكنهما لم يتحركا قيد أنملة لمساعدة عملية . فالعاطفة الحقيقية الصادقة يجب أن تدعم بالمساعدة العملية الواضحة . وها نفس الكلمات التى وجهها يسوع للكاتب تدوى فى آذاننا نحن ، مرددة وقائلة « إذهب أنت أيضاً واصنع هكذا » .

وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ دَخَلَ قَرْيَةً فَقَبِلَتْهُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا مَرْثَا فِي بَيْتِهَا . وَكَانَتْ لِهٰذِهِ أُخْتٌ تُدْعَى مَرْيَمَ الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلاَمَهُ . وَأَمَّا مَرْثَا فَكَانَتْ مُرْتَبِكَةً فِي خِدْمَةٍ كَثِيرَةٍ فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ يَا رَبُّ أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدِمُ وَحْدِي . فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا مَرْثَا مَرْثَا أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ . وَلٰكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ . فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا .

(لوقا ١٠ . ٣٨ — ٤٢)

قلما تجد اختصاراً واقتصاداً ظاهراً فى الكلام كما تجده فى هذا الفصل لكنه يحوى زحاماً من المعانى :

١ — نرى خلافاً وتناقضاً فى المزاج . . ونادراً ما نجد شيئاً عن المزاج فى الدين ، فربما نجد فئة متقدة بالنشاط بجانب فئة أخرى تتسم بالهدوء . لذا من الصعب على الشخص المشتعل غـــيرة ونشاطاً أن يفهم ويتقبل الشخص الذى يجلس مفكراً متأملا هادئاً ، وكذلك العكس ، وهذا ليس بغريب قط ، لأن الله لم يخلق الجميع بطبع واحد . فيمكن لواحد أن يصلى ويقول : « ياسيد كل مكان وكل شىء . . إنى لست قديساً أعمل كل عمل صالح أو لاحظ ما تلاحظه

انت . . ولا أعلم بأبواب السماء فى فجر كل يوم . . ولكنى أعمل على كنس الأرض وغسل أطباق الطعام . . وفى ممارسة كل هذا أصلى إليك . . فاجعلنى قديسا حتى حين أتناول طعامى أو أغسل أطباق » . وقد يجلس شخص آخر طاوياً يديه يفكر ويصلى . . والذى يصلى وهو يعمل ، أو يصلى وهو ساكن متأمل ، مقبول لدى الله الذى يحتاج مريم ومرثا أيضاً .

٢ — نرى نوعاً من الشفقة الخاطئة . . تأمل معى إلى أين كان يسوع ذاهباً عند حدوث هذا . .

لقد كان منطلقاً إلى أورشليم ليمـــوت ، وكانت كل مشاعره منصبة ومركزة فى كيفية إخضاع إرادته ، لإرادة الآب . وعندما أتى يسوع إلى ذلك البيت فى بيت عنيا ، كان يوماً عظيما فى نظر أهل البيت جميعاً ، وتاقت مرثا أن تحيي اليوم بأن تزينه بأجمل زينة ممكنة ، فاندفعت وانهمكت فى المائدة والمطبخ وما شاكل ذلك . . وهذا ما لم يرده يسوع قط . . وكل ما أراده هو السكينة والهدوء والراحة . كان يسوع يواجه الصليب ، وكانت كل الدلائل أمامه تشير إلى الموت ، وكل العوامل تتجه به إلى الجلجثة . . لذلك أراد فى وسط تلك الآلام وهذا الشجن أن يعرج إلى بيت عنيا لكى يستريح من جمهرة الجماهير ولو لوقت قليل . وهكذا حاولت مريم أن توفر ليسوع ما أراد بينما أفسدت مرثا الفرصة عن حسن نية ، إذ بالغت فى إكرامه ولكن « الحاجة إلى واحد » أى أن يسوع لا يريد من الطعام الكثير بل البسيط . . وهذا ما فهمته مريم ولم تدركه مرثا . ونحن كثيراً ما نشفق على الناس ولكن بحسب تفكيرنا ، فتأتى طريقة إظهار شفقتنا خاطئة . لكن الشيء الجميل فى الشفقة أن نعرف ما فى قلب من نريد أن نساعده ونفكر فيما يريده ، وننسى تفكيرنا . أحب يسوع مرثا ومرثا أحبته ، وعندما فكرت فى إكرامه فكرت بطريقتها التى لم تناسبه . وقد أحب يسوع مريم ، وأحبته مريم ، ولكن مريم أدركت فكره .

ٱلأَصْحَاحُ ٱلْحَادِي عَشَرَ

عَلِّمْنَا أَن نُصَلِّي

وَإِذ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ لَمَّا فَرَغَ قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضاً تَلاَمِيذَهُ. فَقَالَ لَهُمْ مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا أَبَانَا ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ. لِيَتَقَدَّسِ ٱسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي ٱلسَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى ٱلأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ. وَٱغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لِأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا. وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لٰكِنْ نَجِّنَا مِنَ ٱلشِّرِّيرِ.

(لوقا ١١ : ١ — ٤)

إعتاد المعلم اليهودى أن يعلم تلاميذه صلاة مبسطة يستخدمونها دائماً، وهذا ماعمله يوحنا مع تلاميذه. لذلك أتى تلاميذ يسوع وسألوه أن يعلمهم كيف يصلون. وإن كانت الصلاة الربانية فى لوقا أقصر منها فى متى إلا أنها تعلمنا كل ما نحتاجه فى كيفية الصلاة وما نصلى لأجله.

١ — تبدأ بدعوة الله (أباً) وهذه هى الخاصية المسيحية لمخاطبة الله (غلا

٤ : ٦ ، رو ٨ : ١٥ ، ١بط ١ : ١٧ وهذه الكلمة تكشف عن حقيقة باللغة العظمة ، وهى أننا لا نأتى لشخص يمن علينا بالعطايا بل لأب يسر بأن يمد أولاده بما يحتاجون إليه :

٢ — يحوى هذا الإسم فى العبرية أكثر كثيراً مما يطلق على الإنسان ، إذ يعنى كل خواص الشخص كما هو مبين فى (مز ٩ : ١٠) حيث يقول : « ويتكل عليك العارفون اسمك . لأنك لم تترك طالبيك يارب » . كما يعنى أكثر مما تعنيه كلمة يهوه أى اسم الله ، فهو يعنى الذين عرفوا كل صفات الله وأفكار قلبه فاتكلوا عليه .

٣ — يجب أن نلاحظ الترتيب فى الصلاة الربانية .. فقبلما نسأل ما هو لأنفسنا يجب أن نسأل ما هو لمجد الله وأن نقدم الاحترام اللائق به أولا ، وعندما نعطى الله مكانته ، عندئذ تأتى كل الأشياء فى أماكنها .

٤ — تغمر الصلاة كل ما يحيط بالحياة :

(١) فهى تشمل احتياجاتنا الحاضرة إذ نصلى « خبزنا كفافنا » أى خبز اليوم الذى نصلى فيه. وهذا يذكرنا بقصة المنّ فى البرية(خر ١٦ : ١١ — ٢١) فما يكفى لليوم هو الذى ينبغى أن نجمعه. فلا نهتم بالغد بل « أعطنا اليوم » .

(ب) تشمل الخطايا الماضية .. فعندما نقترب إلى الآب كخطاة ونمكث فى حضرة كلى القداسة لا نصلى إلا صلاة الغفران الشامل التـــــام لآثامنا الماضية .

(حـ) تشمل التجارب القادمة .. ومعنى التجربة فى العهد الجديد هو كل امتحان لأى موقف من حياتنا . إنها أكثر من مجرد غواية الخطية لنا، لكنها تشمل كل تحدى وكل امتحان لرجولة الإنسان واستقامته وإخلاصه .

وفى هذا النوع من المواقف لا يمكن الهروب لذا علينا فقط ان نلتجىء إلى الله . قال أحدهم إن فى الصـــلاة الربانية فائدتين لصلاتنا السرية : فإن استخدمناها فى مطلع صلاتنا فإنها توقظ فينا كل الأشواق المقدسة . . وتقودنا لطريق الصلاة الصادقة.. وإن استخدمناها فى آخر الصلاة وفى ختامها أضحت ملخصاً لـكل ما نصلى به فى حضرة الرب .

إسألوا تعطوا

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مَنْ مِنْـكُمْ يَـكُونُ لَهُ صَدِيقٌ وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ ٱللَّيْلِ وَيَقُولُ لَهُ يَا صَدِيقُ أَقْرِضْنِي ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ . لِأَنَّ صَدِيقاً لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ وَلَيْسَ لِي مَا أُقَدِّمُ لَهُ . فَيُجِيبَ ذٰلِكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولَ لَا تُزْعِجْنِي . ٱلْبَابُ مُغْلَقٌ ٱلْآنَ وَأَوْلَادِي مَعِي فِي ٱلْفِرَاشِ . لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأُعْطِيَكَ. أَقُولُ لَـكُمْ وَإِنْ كَانَ لَا يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِـكَوْنِهِ صَدِيقَهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَجْـــلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ . وأَنَا أَقُولُ لَـكُمْ ٱسْأَلُوا تُعْطَوْا . ٱطْلُبُوا تَجِـدُوا . اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَـكُمْ . لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ . وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ . وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ . فَمَنْ مِنْـكُمْ وَهُوَ أَبٌ يَسْأَلُهُ ٱبْنُهُ خُبْزاً أَفَيُعْطِيهِ حَجَراً .

أَوْ بِسَمَكَةٍ أَفَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ ٱلسَّمَكَةِ . أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً أَفَيُعْطِيهِ عَقْرَبًا . فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارًا تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً فَكَمْ بِالْحَرِيِّ ٱلْآبُ ٱلَّذِي مِنَ ٱلسَّمَاءِ يُعْطِي ٱلرُّوحَ ٱلْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ .

(لوقا ١١ : ٥ — ١٣)

درج المسافرون فى فلسطين أن يسافروا فى الليل أو آخر النهار هروباً من القيظ الشديد والحرارة القاسية التى تشع من شمس النهار . وتحكى لنا قصة يسوع عن مسافر وصل لبيت صديقه فى منتصف الليل . والضيافة فى الشرق واجب مقدس ، كما لابد أن يكون أمام الضيف من الطعام أكثر من احتياجه. ويعد الخبز فى القرى فى المنازل يوماً بيوم منعاً لصلابته وجفافه إذا بقى لليوم التالى حيث لايرغب الإنسان فى أكله . ومجىء الضيف فى الليل يوقف المضيف فى موقف حرج لفراغ خزانة المأكولات ، ولعدم مقدرته على القيام بالواجب المقدس فى الضيافة. وعلى هذا ذهب المضيف ليقترض من جاره وكان باب الجار موصداً ، ولايطرق الشرق باباً مغلقاً إلا لحاجة قصوى وملحة. وأما فى الصباح يفتح الباب ويظل مفتوحاً على مصراعيه طيلة اليوم ، إذ لا يوجد سر يخفى . أما إذا أغلق الباب نهاراً تكون هذه علامة خاصة لمشغولية صاحب البيت .. ولكن المضيف ظل يقرع.. ولا يفوتنا أن نعرف أن البيت الفقير فى فلسطين عبارة عن غرفة واحدة بها نافذة صغيرة،وأرضية البيت طين مخلوط بالقش. وتقسم الغرفة إلى قسمين يفصلهما حاجز منخفض الارتفاع،القسم الأول عبارة عن ثلثى الغرفة وعادة ما يكون بمستوى الأرض ، والثلث الباقى ويكون القسم الثانى مرتفع قليلا

عن مستوى الأرض ، وفيه موقد من الفخار تشتعل فيه النار المزودة بالخشب والفحم طول الليل، وتنام العائلة حول ذلك الموقد على حصر مسطحة . وللدفء ينامون مقتربين لبعضهم ، فإذا تحرك أحدهم يترتب على ذلك إزعاج الباقين.. وزد على ذلك أن الدواجن والحيوانات مثل الدجاج والماعز — إذا وجدت — تكون داخل البيت أيضاً فى الليل . وعلى هذا فليس من الغريب أن صاحب البيت لم يفتح لسائله، ولكن السائل ظل يقرع بلجاجة مقلقة حتى استيقظ صاحب البيت وفتح الباب . والكلمة « لجاجة » فى اليونانية تعنى « الإستمرار الذى لا يخجل » .

قال يسوع هذا عن الصلاة . . وليس معنى اللجاجة فى الصلاة أن نفرض احتياجاتنا على الله، أو نجبره أن يعطينا مالا يريد — لكن اللجاجة تعنى الاستمرار فى الصلاة .. ولا يعنى المثل أن الله مثل صاحب البيت الذى كان يريد أن يرفض الطلب، وهذا يتضح من قول المسيح : « وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج ... فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه » « فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء» . على أن صفة الآب السماوى التى تختلف عن صفة صاحب البيت لا تعفينا من اللجاجة فى الصلاة » وينبغى أن نعرف محبة الآب الذى يعطى بسخاء ولا يعير. وهو يعرف إحتياجنا أكثر مما نعرفه نحن . كما ينبغى أن نعلم أننا إذا كنا لا نجد جواباً لصلواتنا ، فان الرب يحفظ لنا ما هو أفضل ، فهو لا يقصد أبداً أن يمنع الخير عنا . بل يجيبنا بمقتضى حكمته ومحبته .

وَكَانَ يُخرِجُ شَيْطَانًا وَكَانَ ذٰلِكَ أَخْرَسَ . فَلَمَّا أُخرِجَ ٱلشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ ٱلأَخْرَسُ . فَتَعَجَّبَ ٱلْجُمُوعُ . وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَقَالُوا بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ ٱلشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ ٱلشَّيَاطِينَ . وَآخَرُونَ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً مِنَ ٱلسَّمَاء يُجَرِّبُونَهُ . فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرَبُ وَبَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى بَيْتٍ يَسْقُطُ . فَإِنْ كَانَ ٱلشَّيْطَانُ أَيْضًا يَنْقَسِمُ عَلَى ذَاتِهِ فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ . لِأَنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنِّي بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ ٱلشَّيَاطِينَ . فَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ ٱلشَّيَاطِينَ فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ . لِذٰلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ . وَلٰكِنْ إِنْ كُنْتُ بِإِصْبَعِ ٱللهِ أُخْرِجُ ٱلشَّيَاطِينَ فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ ٱللهِ . حِينَمَا يَحْفَظُ ٱلْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحًا تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ . وَلٰكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلَاحَهُ ٱلْكَامِلَ ٱلَّذِي ٱتَّكَلَ عَلَيْهِ وَيُوَزِّعُ

غَنَائِمَهُ . مَنْ لَيْسَ مَعِى فَهُوَ عَلَىَّ . وَمَنْ لا يَجْمَعُ مَعِى فَهُوَ يُفَرِّقُ .

(لوقا ١١ : ١٤ — ٢٣)

بفشل أعداء يسوع فى مقاومته بطرق الحق . . فلجأوا إلى الباطل والعناد. لذلك إدعوا أنه يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين وقالوا : « إن قوته ليست من الله بل من الشيطان » . أما يسوع فأجابهم بجوابين مقنعين ، فقد لطمهم أولا بلكمة فى غاية الذكاء . فلقد كان فى أيام المسيح كثيرون يخرجون الشياطين فى فلسطين، ويعزى يوسيفوس المؤرخ اليهودى هذه القوة إلى سليمان الذى جعلته حكمته يعرف الأعشاب التى بعد أن يتلو عليها التعاويذ تطرد الشياطين بطريقة حازمة إلى غير رجعة لذلك قال لهم يسوع : « فإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون لذلك هم يكونون قضاتكم » ثم أردف قائلا : « إن كنتم تدينونى فأنتم تدينون أنفسكم » .

أجابهم ثانياً ببرهان قاطع : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب » « فان كان الشيطان أيضاً » « ينقسم على ذاته فكيف تثبت مملكته » «حينما يحفظ القوى داره متسلحاً تكون أمواله فى أمان . ولكن متى جاء من هو أقوى منه . فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذى اتكل عليه ويوزع غنائمه » .

ولذلك قال يسوع : « ولكن إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » .

وختاماً لنا حقائق كثيرة فى هذا الفصل :

١ — إن كانت المقاومة الأمينة لا تجدى نفعاً فلا تلجأ إلى اللسان الحاد .

حاول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا السابق أن يصلح من شأن الساقطات في شوارع لندن فاتهمه أعداءه بميله الدنس لهن . لذا لا يوجد أقسى من اللسان الكاذب ، لأن الآذان اعتادت على تصديق الكذب أكثر من الحق . ولا نزعم أبداً أننا خالون من هذه الخطية . فكم من مرات صدقنا الكذب عن الآخرين ، ونسبنا شروراً لمن نبغضهم وآلمنا الآخرين بنميمتنا الشريرة.. لو فكرنا في كل هذا لوجب علينا أن نفحص ذواتنا بأكثر دقة .

٢ — نلاحظ في برهان يسوع بأن ملكوت الله قد أتى ، ومجيئه واضح في شفاء المرضى وزوال المرض وإتيان الصحة . فالمسيح لا يهتم بخلاص النفس الروحي فقط بل بجسد الإنسان وعقله وروحه .

٣ — يختتم لوقا هذا الفصل بالقول : « من ليس معي فهو علي ، ومن لا يجمع معي فهو يفرق » . ومن هذا القول يتضح أنه لا يوجد من يقف على الحياد في المسيحية . فمن لا يقف بجانب الحق فقد صار مساعداً للشر .

خراب النفس الفارغة

مَتَى خَرَجَ ٱلرُّوحُ ٱلنَّجِسُ مِنَ ٱلإِنْسَانِ يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ يَطْلُبُ رَاحَةً . وَإِذْ لاَ يَجِدُ يَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي ٱلَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ . فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ مَكْنُوساً مُزَيَّناً . ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ مِنه فَتَدْخُلُ وَتَسْكُنُ هُنَاكَ . فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذٰلِكَ ٱلإِنْسَانِ أَشَرَّ مِنْ أَوَائِلِهِ .

وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهٰذَا رَفَعَتِ ٱمْرَأَةٌ صَوْتَهَا مِنَ ٱلْجَمْعِ وَقَالَتْ لَهُ طُوبَى لِلْبَطْنِ ٱلَّذِي حَمَلَكَ وَٱلثَّدْيَيْنِ ٱللَّذَيْنِ رَضِعْتَهُمَا. أَمَّا هُوَ فَقَالَ بَلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللهِ وَيَحْفَظُونَهُ.

(لو ١١ : ٢٤ — ٢٨)

نجد فى هذا الفصل قصة مخيفة مزعجة . . قصة الرجل الذى طرد منه الروح النجس ، لكن الروح النجس عزم على الرجوع إليه مرة أخرى لأنه وجد نفس الرجل مكنوسة مزينة ولكنها فارغة . ولم يأت بمفرده بل أحضر معه سبعة أرواح أشر منه وسكنوا فى الرجل الذى صارت آخرته أشر من أولاه .

١ — والحقيقة الأساسية أنه لاتوجد نفس فارغة ، ليس كافياً أن تطرد الأفكار الشريرة والعادات الباطلة والطرق القديمة ، لأن هذا يتركها شاغرة خاوية، والمعروف أن النفس الفارغة تهلك. أراد آدمت. ولش أن يعظ عن الآية القائلة « ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح» (أ ف ٥ : ١٨)، فاستهل عظته بالقول : « يجب أن تملأ الإنسان بشىء » . . لذا ليس كافياً أن تطرد الشيطان بل ينبغى أن تمتلىء بالصلاح .

٢ — لا يمكن أن تؤسس ديناً حقيقيا على حقائق سلبية ، ولا نستطيع أن نبنى عقيدة على سلسلة من النفى وعلى قائمة بالمحرمات.. وإليك مثلا معاصراً واضحاً عما يحدث حالياً فى مراقبة مدرسة الأحد حيث يكون الطعن ضد الأمور التى يعملها الناس فى يوم الأحد ، فيضعون برنامجاً بالممنوعات والمحرمات. وربما

يسألنا من نتكلم ضده : « حسناً . . وماذا أفعل ؟ » ، فإن لم نخبره عما يفعل فستسوء حالته الأخيرة وتصبح أشر من الأولى ، لأننا أوقعنا عليه اللوم لسكوته ! ! وما أكثر ذكاء الشيطان في وجود الإساءات في الأيادى الساكنة . . هكذا نرى أن الخسارة العظمى التي تسببها بعض المواعظ أنها تهتم بل تركز على الناحية السلبية فقط ، لأننا لابد أن نجرى تطهيراً في القلب ، وبعد قلع بذور الشر ينبغي أن نزرع الخير .

٣ — إن الطريقة المثلى للبعد والإقلاع عن الشر هو فعل الخير ، وأحب ما رأيت حديقة غاصة بالورود حيث لا يوجد مكان للشوك والحسك . وما أصدق هذا القول على عالم الفكر. فعندما يعكّر صفو حياتنا الأفكار الشريرة ينبغى أن نقول لأنفسنا إن الدواء الشافي والعلاج الناجح هو أن نفكر في أشياء صالحة .

في الآيتين ٢٧ ، ٢٨ تتسم لهجة يسوع بالشدة ولكنه قول الحق . فلقد تأثرت المرأة بكلامه حتى اشتطت مع العواطف وجنحت مع الخيال ، فجذبها يسوع مرة أخرى إلى الواقع والحق . إن لحظة التأثير جميلة ولكن الأجمل والأعظم هو حياة الطاعة اليومية الكاملة . لذا يجب ان لا تحتل لحظة التأثير الجميلة مكان الأمانة في العمل والتفاني فيه .

مسئولية الامتياز

وَفِيمَا كَانَ ٱلْجُمُوعُ مُزْدَحِمِينَ ٱبْتَدَأَ يَقُولُ هٰذَا ٱلْجِيلُ شِرِّيرٌ . يَطْلُبُ آيَةً وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ ٱلنَّبِيِّ . لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لِأَهْلِ نِينَوَى

كَذٰلِكَ يَكُونُ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ أَيْضاً لِهٰذَا ٱلْجِيلِ . مَلِكَةُ ٱلتَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ رِجَالِ هٰذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُمْ لِأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هٰهُنَا . رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هٰذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ . لِأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ . وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هٰهُنَا .

(لوقا ١١ : ٢٩ — ٣٢)

أراد اليهود أن يعمل يسوع معجزة منظورة ليثبت أنه مسيح الله . وقد ظهر فى سنة ٤٥ م أن رجلا إسمه ثيوداس «Theudos» إدعى انه مسيا ، وأغرى الناس باتباعه إلى الأردن ووعدهم أن يشق النهر إلى قسمين ، ويجعل لهم طريقاً يعبرون به إلى الشاطىء الثانى ، ولكنه فشل وعاقبه الرومان على كذبه . لذلك رغب اليهود أن يفعل لهم يسوع معجزة مثل التى حاول ثيودس عملها لكى يصدقوه . . . ولم يدرك اليهود أن أعظم برهان على صحة إرسالية المسيح هو المسيح نفسه . وكما كان يونان آية لأهل نينوى ، هكذا كان المسيح آية لهم ولكنهم فشلوا فى معرفته . عندما سمعت ملكة سبأ بحكمة سليمان جاءت لتستفيد بحكمته . . وعندما بشر يونان أهل نينوى أدركوا أن هذا صوت الله القدير لهم .

لذلك سيقوم هؤلاء أجمعين فى الدين ويدينوا الأجيال التى عاصرت يسوع لأنهم شاهدوا وامتلكوا إمتيازات تفوق كل امتيازات الآخرين ولكنهم رفضوها ، لذلك ستكون دينونتهم عادلة بقدر امتيازاتهم العديدة . لذا يجب أن نعلم دائماً أن المسئوليات على قدر الامتيازات ، وبقدر ما نأخذ يجب أن

نعطى، وبقدر مانعلم ونعرف يجب أن نخبر ونعمل. ولنا أن نعرف هنا امتيازين عظيمين وكيف نستخدمهما :

١ — لكل شخص إمكانية إقتناء كتاب الله الذى يحوى الكلمة الحية بدون أن يتكلف الكثير. ولقد جاء وقت كان يتحتم فيه الموت على من يعطى الكتاب للشعب.

وحدث فى سنة ١٣٥٠ م أرسل يوحنا وكلف لأحد العلماء طالباً منه أن يعلم عامة الشعب قصص الكتاب المقدس بلغتهم، فأجابه العالم بقوله : « إننى أعلم أن شريعة المسيح تلزمنى أن أفعل ما طلبته منى، ولكننا ابتعدنا عن شريعة المسيح ؛ فإن أجبت طلبك وقعت تحت طائلة الموت، وعلى أن أحافظ على حياتى بقدر الإمكان » . وبعد ذلك أخبرنا فوكس أنه فى تلك الأيام كان يجلس الناس طيلة الليل لقراءة وسماع كلمة الله بلغتهم المفهومة حتى أن بعضهم دفع أربعين جنيهاً ثمناً لنسخة من الكتاب، كما دفع بعضهم جلا من الدريس ثمناً لأصحاحات قليلة من رسالة يعقوب أو من إحدى رسائل بولس فى الإنجليزية وقدم تندل Tyndale أول كتاب مقدس مطبوع لانجلترا قائلا : « لقد تحملت فى عملى هذا الفقر، والنفى، والبعد المرير عن الأصدقاء، والجوع، والعطش، والبرد، والمخاطر المفجعة، والمقاومات العديدة، والصعوبات الشاقة الشديدة فى القتال» ثم استشهد فى سنة ١٥٣٦ وأحرقوا الكتاب قبل استشهاده ببضع سنين وعندئذ قال : « لم يعملوا بخلاف ما كنت أنتظر، ولن يعملوا أكثر من حرق جسدى أيضاً » . ولا يوجد كتاب كلف الكثير مثل الكتاب المقدس ولكنه الآن بيننا بأسعار فى متناول يد الجميع، فإن كان لنا هذا الامتياز وجب علينا أن نحمل مسئوليته .

٢ — لنا الحرية فى العبادة والفكر السليم .. وهذا امتياز بالغ فى العظمة

كلف الكثيرين حياتهم بجملتها فى الماضى ، ولكن الخطر الداهم أن كثيرين استخدموا الحرية أسوأ استخدام حتى لايعبدوا الله كلية . وهـــذا الامتياز أيضاً له مسئوليته الكبرى . فبعد أن نتمتع بالمسيح وبكتابه وبكنيسته ، وبعد أن نرث كل الامتيازات الإلهية ، ثم نعود و نعمل أعمال رديئة كهذه ، فنحن بذلك نشبه اليهود الذين كانوا فى وقت المسيح ، ويضعوا نفوسهم تحت نير الدينونة وطائلة العقاب .

القلب المظلم

لَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجًا وَيَضَعُهُ فِي خُفْيَةٍ وَلاَ تَحْتَ ٱلْمِكْيَالِ بَلْ عَلَى ٱلْمَنَارَةِ لِكَيْ يَنْظُرَ ٱلدَّاخِلُونَ ٱلنُّورَ سِرَاجُ ٱلْجَسَدِ هُوَ ٱلْعَيْنُ . فَمَتَى كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً . وَمَتَى كَانَتْ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ يَكُونُ مُظْلِماً أُنْظُرْ إِذًا لِئَلاَّ يَكُونَ ٱلنُّورُ ٱلَّذِي فِيكَ ظُلْمَةً . فَإِنْ كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّراً لَيْسَ فِيهِ جُزْءٌ مُظْلِمٌ يَكُونُ نَيِّراً كُلُّهُ كَمَا حِينَمَا يُضِيءُ لَكَ ٱلسِّرَاجُ بِلَمَعَانِهِ .

(لوقا ١١ : ٣٣ — ٣٦)

ليس من السهل أن ندرك معنى هذا الفصل ، فربما كان معناه « أن نور الجسد يتوقف على العين » ، فإن كانت العين سليمة صحيحة ينال الجسد كل النور الذى يحتاجه ، وإن كانت العين مريضة يتحول النور إلى ظلام . كذلك

يتوقف نور الحياة على القلب ، الذى إذا كان مستقيما غمر الضياء الحياة بجملتها أما إذا أحاد عن الحق ساد الحياة ظلاما مدلهما ويلزمنا يسوع : « أن يكون المصباح الداخل منيراً » . . ترى ما الذى يجعل النور الداخلى يظلم ؟ وماهو الخطأ الذى يعترى قلوبنا ؟ .

١ — قساوة قلوبنا . . عندما نقوم بعمل أى شىء بأيدينا لم نتعود على عمله يلتهب الجلد ويتجعد، ونشعر بالألم يسرى فى أيدينا. ولكن عندما نتدرب على هذا العمل اليدوى ، يأخذ الجلد لياقته وينال قوة إحتمال ، فيزول الألم الذى شعرنا به أولا . وهكذا الحال فى قلوبنا ، فعندما نفعل الخطأ لأول مرة نعمله برعب وفزع وقلب متألم وضمير صارخ ، ولكن كلما كررنا هذا العمل كلما قل الرعب والألم تدريجياً حتى يتلاشى توبيخ الضمير وتأنيبه . . أجل إن فى الخطية قساوة مرعبة . . فلا يوجد إنسان يرتكب الخطأ لأول مرة إلا ويسمع وخزات الضمير المفزعة وتأوهات القلب الأليمة . . ولكن من يتمادى فى إرتكاب الخطيئة يأتى الوقت الذى فيه يشرب الإثم كالماء غير مكترث بلوم اللائمين وصياح المنذرين . فما كان يرتعد ويرتعب من عمله أصبح عادة طبيعية فيه. والحق يقال إن اللوم لا يقع إلا على نفوسنا التى سمحت لنا أن نصل إلى هذا الحال .

٢ — بلادة قلوبنا . . ومن المفجع جداً أن يصير إختبارنا اليومى هو قبول الأشياء بيسر وسلاسة . فربما يفزع القلب ألماً عندما يرى آلام العالم ومنغصاته لأول مرة ، ولكن غالبية النـــاس يتعودون على آلام الآخرين وبالتدريج يقبلونها كأنها شيء طبيعى . فمثلا ربما يتألم الشاب كثيراً وهو يرى كوارث المجتمع وويلاته وعلله ، أما الشيخ المحنك مع الأيام لا يتأثر كل هذا التأثير . روت فلورنس باركلى عن أول مرة ذهبت فيها إلى الكنيسة عندما كانت بنتاً صغيرة، وكان يوم الجمعة العظيمة ، حيث قرئت قصة الصلب

باستفاضة وبإسهاب كامل ، وبقراءة جيدة . وسمعت فى القصة عن إنكار بطرس وخيانة يهوذا وشدة بيلاطس فى أمر الصلب ، ورأت تاج الشوك وصفعات الجنود ، وسمعت عن تسليم يسوع ليصلب وخاصة الكلمة القاسية « وصلبوه هناك » . سمعت ورأت كل هذا فارتعشت أوصالها بحدة وبرعب ، واصطكت أسنانها ، فأخفت وجهها فى معطف أمها وهى تشيح بيدها معبرة عن بشاعة كل ما عمل بيسوع وما كان منها إلا أنها أجهشت بالبكاء وهى تقول : « لماذا عملوا كل هذا بيسوع ؟ » بينما كان كل الناس فى الكنيسة يسمعون مثلها دون أن يتأثروا كتأثيرها .

هذا ما ينبغى أن نفعله مع صلب يسوع أن نحس كإحساس فلورنس وأن نشعر بشعورها ، لكننا كثيراً ما نسمع قصة يسوع بدون تأثير يذكر . ليحفظنا الله من القلب المتبلد الذى لا يتأثر بصليب يسوع وآلامه التى احتملها لأجلنا .

٣ — ثورة قلوبنا . . فنى الإمكان أن يعرف إنسان كل الحق لكنه فعلا وعملا يرتكب كل الخطأ . وربما يشعر الإنسان بيد الله تربت على كتفه لكنه يبتعد بعيداً عن يد الله . وكم من أحايين كثيرة تذهب الإنسان إلى كورة بعيدة مثل الإبن الضال بينما يناديه الآب للرجوع إليه وإلى بيته — ليخلصنا الرب من القلب المظلم المعتم .

العبادة المطوّلة وإهمال الأشياء الهامة

وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِّيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ . فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ . وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ الْغَدَاءِ . فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ أَنْتُمُ

اَلآنَ أَيُّهَا الفَرِّيسِيونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافاً وَخُبْثاً . يَاأَغْبِيَاءُ أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخِلَ أَيْضاً : بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُم . وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُم أَيُّهَا الفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللّٰهِ . كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هٰذِا وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ . وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ . وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لاَ يَعْلَمُونَ .

(لوقا ١١ : ٣٧— ٤٤)

تعجب الفريسى لأن يسوع لم يغسل يديه قبل تناول الأكل ، وليس هذا النقد بسبب حرصه على النظافة ، بل لأن الفريسيين اعتادوا ذلك لوجود شريعة توجب أن يغسل الإنسان يديه بطريقة خاصة قبل الأكل ومن حين لآخر أيضاً . وقد وضعت لهم تفصيلات دقيقة فى هذا الموضوع ، كما كانت لهم أوانى حجرية موضوعة لهذا الغرض لحفظ المياه نقية ، لأنه ربما تكون المياه العادية ملوثة . وقد اهتم الفريسيون بكل دقائق وتفاصيل الإغتسال ، فمثلا لا يجب أن تقل كمية المياه التى يغتسل بها الشخص فى المرة الواحدة من الكمية التى

تسعها قشرة بيضة ونصف !! . وقصب المياه أولا على الأصابع حتى تصل إلى المعصم ، ثم تمسح كفة اليد الواحدة فى الأخرى ، ثم تصب المياه ثانية على اليد مبتدئة من المعصم إلى أن تأتى إلى الأصابع . وكل من يتهاون فى صغيرة منه فقد ارتكب خطأ شنيعاً !!! . أما يسوع فقد عقب على هذا جميعه بقوله : « لو نظفوا قلوبهم كما ينظفون أيديهم لصاروا أحسن مما هم عليه » .

ولكل يهودى مدقق مستقيم واجبات لا تبرح من أمام عينيه :

(ا) أول باكورات الأرض .. وأثمار الأرض هى سبعة أنواع : قمح . شعير . عنب . تين . زيتون . رمان . شهد عسل. وينبغى أن تقدم الباكورات للهيكل .

(ب) تعطى الباكورات للرب ، ولكن توجد باكورة تحفظ للكاهن ويطلق عليها إسم « التيرومة » « T·rumah » ، وهى أول مايظهر من كل ما ينمو ، وهى جزء من خمسين من كل الكمية .

(ج) تدفع العشر للاويين كما يدفع اللاويون عشر مايحصلون عليه للكهنة (من كل شىء ينمو على الأرض يصلح للطعام ويزرع وينمو فى الأرض) . وكان قانون الفريسيين المدققين فى العشور « تعشير كل شىء حتى الأشياء التى لم يحددها الناموس » . ومع أنهم أهملوا الحق وتعاموا عن المحبة إلا أنهم لم يهملوا العشور أو ينسوها .

أما المقاعد الأولى فى الجامع فهى تلك التى تواجه الجمهور، واعتبرت المقاعد الأولى مهمة ، أما التى فى المؤخرة فتتناقص قيمتها كلما إقتربت إلى المؤخرة . وفائدة المقاعد الأولى تكمن فى رؤية الناس للجالسين عليها. وكلما كثر الترحيب بالكهنة فى الشارع كثر سرورهم وإنتفاخهم .

أما الفكرة التى فى عدد ٤٤ فهى تشير إلى ماورد فى سفر العدد(١٦:١٩) « وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف ، أو ميتاً ، أو عظام إنسان، أو قبراً . . ، يكون نجساً سبعة أيام » . كما أن النجس يجب أن يبتعد عن كل شئون العبادة . ومن يمس قبراً ويجهل أنه قبر لايعافى ولكنه يحسب نجساً ، وقد قال يسوع إن الفريسيين يشبهون هذه القبور التى تسبب الضرر لكل من يمسها . أما إذا كان الناس يجهلون هذا الأمر ، فعدم معرفتهم لا يعفيهم من الضرر . لذلك أوقع يسوع الدين على الفريسيين فى أمرين :

١ — وضعوا جل إهتمامهم على الظاهر . . وقالوا إن من يقوم بالظاهر فقد تمم كل شىء ، أما قلوبهم فكانت مظلمة كجهنم فابتعدوا عن الحق والمحبة. لكنهم اعتقدوا أنهم أبرار فى عينى الله طالما دققوا فى تلك الأمور السطحية والخارجية . أما المسيحى فلا يمكن أن يكون مسيحياً حقيقياً بتدقيقه فى حضور الكنيسة ، وتمعنه فى معرفة الكتاب المقدس ، وسخائه فى عطاياه لله ، وفى نفس الوقت يترك الكبرياء تترعرع فى داخله ، ولم يعامل الآخرين بالمحبة فى عيشته اليومية ، ولم يكن عادلا مع من هم أقل شأناً منه ، وليس أميناً لعمله. فليس المسيحى الحقيقى من يدقق فى مظاهر الدين ، وينسى الحق ويترك المحبة .

٢ — دققوا فى شرح التوافه وابتعدوا عن كل محبة وشفقة وعدل وكرم. إهتموا بغسل الأيدى وتقديم العشور بالتمام ، وتركوا المحبة القلبية الصادقة . مرة أتى عامل فى معمل ورق إلى قسيس ، وأخذ يقص عليه قصة أرقت باله وأزعجته ، ذلك لأنه أخذ قطعة ورق وخيط دباره ، واعتبر هذا العمل خطية مميتة وداهية منكرة ولم يكف عن الكلام عنها. وأخيراً إلتفت إليه القسيس وقال : « كف ياسيدى عن هذا الأمر فإن العالم الذى نحيا فيه غارق فى الخطية والحزن » . وكم من مرات تدقق محاكم الكنيسة فى أمور تافهة ، وتجاهد لأجلها ، وتنسى الحقائق العظيمة السامية فى الحياة المسيحية .

خطايا أهل الشرع

فَأَجابَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلنَّامُوسِيِّينَ وَقَالَ لَهُ يَا مُعَلِّمُ حِينَ تَقُولُ هٰذَا تَشْتِمُنَا نَحْنُ أَيْضاً. فَقَالَ وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ لِأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ ٱلنَّاسَ أَحْمَالاً عَسِرَةَ ٱلْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لَا تَمَسُّونَ ٱلأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ. وَيْلٌ لَكُمْ لِأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ ٱلأَنْبِيَاءِ وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ. إِذاً تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ. لِأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ. لِذٰلِكَ أَيْضاً قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ. لِكَيْ يُطْلَبَ مِنْ هٰذَا الْجِيلِ دَمُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ الْمُهْرَقُ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي أُهْلِكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْ هٰذَا الْجِيلِ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ لِأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ.

وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهَذَا ابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ يَحْنَقُونَ جِدًّا وَيُصَادِرُونَهُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ . وَهُمْ يُرَاقِبُونَهُ طَالِبِينَ أَنْ يَصْطَادُوا شَيْئًا مِنْ فَمِهِ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ .

(لوقا ١١ : ٤٥ — ٥٤)

فى هذا الفصل نجد ثلاثة اتهامات ضد الكتبة :

١ — تخصصوا فى الشريعة . فوضعوا على الناس آلاف الأحمال من الشرائع الطقسية ، أماهم فلم يقوموا بها ، لأنهم تخصصوا فى المراوغة أيضاً . وعلى سبيل المثال ، أجازوا السفر يوم السبت كيلو متراً واحداً بعيداً عن سكن الإنسان ، وذلك بربط حبل فى آخر الشارع الذى يسكن فيه المسافر ، ثم يحسبون مسيرة الكيلو متر بعد ذلك !! . ولكى يراوغوا من هذا القانون قالوا إنه إن ترك الإنسان طعاماً مساء الجمعة فى مكان ما، اعتبروا ذلك المكان سكناً للانسان ويمكنه أن يسير كيلو متراً بعد ذلك !! .

ومن الأعمال المحرمة فى يوم السبت ربط عقدة خيط إن كان يربطها البحار أو الجمال ، أما المرأة فيجوز لها أن تربط العقدة فى منطقتها يوم السبت. ولما كان ربط العقدة فى إناء لانتشال الماء محرماً على الجميع . كانت المرأة تنتشل الماء من البئر بربط الإناء فى منطقتها ، وقد أجازت شريعة الكتبة جلب الماء بهذه الطريقة . كما كانت الشريعة تحرم حمل الأحمال يوم السبت ، لكن الكتبة عملوا تفسيراً وتفنيداً لهذا الأمر فقالوا : « يصير مذنباً من حمل شيئاً فى يده اليمنى أو فى يده اليسرى ، أو تحت إبطه ، أو على كتفه، ولكن

لا يصير مذنباً من حمل شيئاً على ظهر يده أو بقدمه أو بفمه أو بكوعه أو بأذنه أو بشعره أو بكيس نقوده مقلوباً ، أو بين كيس النقود والقميص، أو فى ثنايا ثيابه ، أو فى الحذاء أو الصندل ... لأنه لايحملها كالمعتاد».ولايمكن أن يتبادر الى ذهن أى إنسان أن الله وضع مثل هذه القوانين ، أما الكتبة فهم الذين عقدوا الأمور وأسهبوا فى تفصيل الشرائع والقوانين، معتقدين أن كل من يحيا بموجبها يحيا الحياة الأبدية . . وعلى هذا أوقع يسوع اللوم على الكتبة الذين بدورهم إعتبروه خارجاً عن الدين !!

٢ — كان موقف الكتبة مناقضاً لتعليم الأنبياء وخاصة الأحياء منهم ، لذلك ثاروا ضدهم بعنف وحاولوا قتلهم وإيقاع الأذى بهم .. ولهذا نرى إشعياء يقول« رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسى » ثم يأتى ميخا صحاً ومنذراً فيقول : قد أخبرك أيها الانسان ما هو صالح وماذا يطلب منك الرب، إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك » .. هذه كانت رسالة الأنبياء الذين ناصبوهم العداء وتألبوا عليهم لمخالفتهم لتعاليمهم .. وقد اتبع السيد المسيح خطة الأنبياء وسار فى نفس الطريق حتى النهاية .. أما قصة قتل زكريا فنجدها فى (٢ أخبار ٢٤ : ٢٠ ، ٢١) .

٣ — أبعدوا الناس عن الكتب المقدسة .. فلم يستطع الرجل العادى أن يفهم تفاسيرهم الخرافية . كيف لا وقد حولوا الكتاب بأيديهم إلى ألغاز ، ورفضوا بذكائهم الأعمى أن يروا معانى الشريعة البسيطة السهلة. لذلك امتنع الناس وقتئذ عن فهم الكتب المقدسة ، وأصبحت قراءة الشريعة وتفسيرها وقفاً عليهم ، وسراً غامضاً لعامة الشعب . لقد طلبوا من الناس طلبات لم يقتنعوا بها ، ووضعوا لهم قوانين لم ينفذوها .. أجل ، كم من أناس إلى اليوم يتدينون

ديانة حرفية قاتلة ، وجعلوا كلمة الله صعبة مفزعة بتحويلها إلى فلسفات عديدة ، ومناورات العلم الباطلة ، حتى أن العقل العادى الذى يرغب فى البحث ويريد التعمق يتحير ويرتبك فى بحار الآراء المتعددة ، وأمواج الفلسفات المتلاطمة والمتناقضات فلايدرك بماذا يؤمن . ولا يعى لمن يصغى ، فيقف حائراً متسائلا: أين السبيل ؟ !! .

ٱلامتحان الثاني عشر

مُعتقَد الشجاعة والحق

وَفي أثناء ذٰلكَ إذ اجتمع ربوات الشعب حتى كان بعضهم يدوس بعضاً ابتدأ يقول لتلاميذه أولاً تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء . فليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يعرف . لذلك كل ما قلتموه في الظلمة يسمع في النور وما كلمتم به الأذن في المخادع ينادى به على السطوح . ولكن أقول لكم يا أحبائي لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر . بل أريكم ممن تخافون . خافوا من الذي بعد ما يقتل له سلطان أن يلقي في جهنم . نعم أقول لكم من هذا خافوا . أليست خمسة عصافير تباع بفلسين . وواحد منها ليس منسياً أمام الله . بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة . فلا تخافوا . أنتم أفضل

مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ . وَأَقُولُ لَكُمْ كُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِي قُدَّامَ النَّاسِ يَعْتَرِفُ بِهِ ابْنُ الإِنْسَانِ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ . وَمَنْ أَنْكَرَنِي قُدَّامَ النَّاسِ يُنْكَرُ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ . وَكُلُّ مَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ . وَأَمَّا مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلاَ يُغْفَرُ لَهُ . وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْتَجُّونَ أَوْ بِمَا تَقُولُونَ . لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوهُ .

(لوقا ١٢ : ١ — ١٢)

عند قراءة هذا الفصل المبارك يحضرنا تعريف اليهود المعهود للوعظ وهو تقديم عقد من الجواهر للمستمعين . لذا لنا فى هذا الفصل جواهر ثمينة ودرر نادرة :

١ — تخبرنا هذه الأعداد عن الخطية المنهى عنها ، وهى الرياء . وكلمة مرائى تعنى « الشخص الذى يجاوب » والرياء هو « الإجابة » . ثم استعملت الكلمة للحوار المكون من سؤال وجواب فى الروايات والتمثيليات، ومن هنا جاء الرياء بمعنى التمثيل ، أى انتحال المتكلم صفة شخص آخر . لذا فالرياء هو التمثيل كما أن أساسه هو عدم الإخلاص . وقد يريد الله خاطئاً بليداً أميناً أكثر مما يريد من يتقمص شخصية مؤمن أو صالح آخر .

٢ — تظهر من كلمات هذا الفصل حقيقة الموقف السليم من الحياة ، وهو

موقف الشجاعة وعدم الخوف . ولعدم الخوف سببان :

(ا) إن قوة الإنسان ـ مهما بلغت محدودة ، فربما يستطيع قتل إنسان آخر ، لكنه لايقدر أن يقتل نفسه وروحه. نشرت مجلة صورة هزلية أثناء حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ أظهرت إمبراطور ألمانيا يقول لألبرت ملك البلجيك : «أنت الآن فقدت كل شيء » فأجابه ألبرت: « ولكنني لم أفقد نفسي »!! لكن قوة الله قادرة على محق الجسد وسحق النفس أيضاً . وعلى هذا ينبغي أن نخاف الله أكثر من الناس . وقد قيل عن جون نوكس بعد موته وهم ينزلونه إلى القبر « هنا ينام رجل بلغ من خوفه لله حداً جعله لا يخشى بأس إنسان » .

(ب) إن عناية الله هي العناية العظمى . فلا يفقد إنسان في يد الرب القدير والآب المعتني ، وهذا مصداق لقول متى : « أليس عصفوران يباعان بفلس، وواحد منها لايسقط على الأرض بدون أبيكم » (مت ١٠ : ٢٩) ، ويقول لوقا : « أليست خمسة عصافير تباع بفلسين » فإن دفعت فلسين فلا تأخذ أربعة عصافير بل خمسة أي يضاف عصفور على الأربعة كأنه بدون ثمن ، ولكنه ليس منسياً عند الله ، وحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة . حتى أن عدد شعر الرجل الأشقر بلغ ١٤٥٫٠٠٠ شعرة ، منها ١٢٫٠٠٠ شعرة سوداء ، ٩٠٫٠٠٠ حمراء . ولقد أثارت عناية الله المذهلة عجب اليهود فانبهروا أمام عظمتها لدرجة أنهم قالوا : « يوجد ملاك الحراسة كل ورقة خضراء في النبات » . إذن . . ليذهب الخوف إلى غير رجعة وليقل كل واحد « الله يعتني بي » .

٣ — يحدثنا هذا الفصل عن الخطية التي لاتغفر وهي التجديف على الروح القدس . وقد سجل متى ومرقس أن يسوع ذكر هذه الخطية مباشرة بعد أن نسب إليه الكتبة والفريسيون تهمة شفاء الناس بقوة رئيس الشياطين ، وليس

بقوة الله (مت ١٢: ٣١ و ٣٢ ، مر٣:٢٨ و ٢٩) . ويقول كهنا نراهم يعتبرون عمل نعمة الله وقوته عملا شيطانياً . ولكى نستوعب هذا الموضوع بأكثر فهم وجب علينا أن نفهم مايعتقده اليهود عن الروح القدس، لكى نصل إلى ماأدركوه عندما حدثهم المسيح عن التجديف على الروح القدس .. ويفهم اليهودى شيئين عن عمل الروح ، الأول أن الله قد أخبر الناس بحقه الصريح بواسطة الروح القدس ، والثانى أن هذا الروح يساعد الناس على إدراك هذا الحق الإلهى . لكننا نعلم إن لم يستعمل الإنسان أية موهبة يمتلكها فلا شك فى أنه سيفقدها تدريجياً ، فإن لم تعمل اليد كعضو فى جسدنا ، فلا بد أنها ستضمر وتذبل ، أخبرنا داروين أنه أحب فى صغره الموسيقى وقرض الشعر، لكنه عندما تخصص فى علم الأحياء هجر الموسيقى والشعر، وعندما تقدم فى الأيام فقد المقدرة على قرض الشعر كما اعتبر الموسيقى ضجة . لكنه قال أخيراً « علىّ إن طال الأمد وامتد الأجل فسأقرأ الشعر وسأصغى إلى الموسيقى حتى لا أفقد ملكة التمتع أيضاً ». هكذا نحن .. فبتركنا دراسة كلمة الله ، لا بد أننا سنفقد ملكة معرفة الله أيضاً ، ومن ثم تتعامى عيوننا عن الله لدرجة أننا لانعرفه حين نراه، وعندئذ. تنقلب الأوضاع فيصير الشر خيراً ويصبح الخير شراً بالنسبة لنا. وهذا ماحدث بالفعل مع الكتبة والفريسيين ، وذلك لأنهم أغمضوا عيونهم وصموا آذانهم عن الله ، وعند مجيئه إليهم قالوا عنه إنه شيطان . وهذه هى الخطية التى لاتغفر ولن تغتفر لأن التوبة تتعذر فى مثل هذه الأحوال. فإن لم يعترف الإنسان بخطئه ويتوق إلى الصلاح بقلبه لا يمكن أن يقدم على التوبة. والإنسان الذى يرفض الله ويرتكب الخطأ باستمرار يتسبب فى ضرر نفسه بجموحه وعناده المستمر . ومن المؤلم أنه فى معظم الأحوال لا يشعر مثل هذا الشخص أنه ارتكب الخطية التى لاتغفر ، لأنه مات عن الله وفقد الحس والشعور بخطيته .

٤ — أما الجوهرة النادرة التى يعطيها لنا هذا الفصل هى مكافأة الإخلاص.

وهي ليست مكافأة مادية بل هي تلك التي يعطيها لنا يسوع في السماء عندما يقول لكل واحد منا : « نعماً .. حسناً فعلت .. أنت لي » .

٥ — يحدثنا هذا الفصل في ختام حديثه معنا عن مساعدة الروح القدس. في إنجيل يوحنا نجد أن اللقب المفضل للروح القدس هو Paracletos «باراكليتوس» المعزي . وكلمة « معزي » تعني شاهداً أو محامياً يدافع عنا ، لذا حق لنا أن لانخاف في الاضطرابات أو الملمات الصعبة والعصيبة ، لأن الروح القدس يساعدنا ويشد أزرنا ويأخذ بيدنا .

مركزُ الماديّات في الحياة

وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ يَا مُعَلِّمُ قُلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ . فَقَالَ لَهُ يَا إِنْسَانُ مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِياً أَوْ مُقَسِّماً . وَقَالَ لَهُمُ انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ . فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ . وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً قَائِلاً . إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ . فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً مَاذَا أَعْمَلُ لأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي . وَقَالَ أَعْمَلُ هٰذَا . أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَّتِي وَخَيْرَاتِي . وَأَقُولُ لِنَفْسِي يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ . اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي

وَأَفْرَحِي . فَقَالَ لَهُ ٱللهُ يَا غَبِيُّ هٰـذِهِ ٱللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ . فَهٰذِهِ ٱلَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ . هٰكَذَا ٱلَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا لِلّٰهِ .

وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ . مِنْ أَجْلِ هٰذَا أَقُولُ لَكُمْ لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَلَا لِلْجَسَدِ بِمَا تَلْبَسُونَ ٱلْحَيٰوةُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ ٱللِّبَاسِ . تَأَمَّلُوا ٱلْغِرْبَانَ . أَنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَيْسَ لَهَا مَخْدَعٌ وَلَا مَخْزَنٌ وَٱللهُ يُقِيتُهَا . كَمْ أَنْتُمْ بِٱلْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنَ ٱلطُّيُورِ . وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا ٱهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً . فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ وَلَا عَلَى ٱلْأَصْغَرِ فَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِٱلْبَوَاقِي . تَأَمَّلُوا ٱلزَّنَابِقَ كَيْفَ تَنْمُوا . لَا تَتْعَبُ وَلَا تَغْزِلُ . وَلٰكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلَا سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا . فَإِنْ كَانَ ٱلْعُشْبُ ٱلَّذِي يُوجَدُ ٱلْيَوْمَ فِي ٱلْحَقْلِ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي ٱلتَّنُّورِ يُلْبِسُهُ ٱللهُ هٰكَذَا فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي ٱلْإِيمَانِ . فَلَا تَطْلُبُوا أَنْتُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَلَا تَقْلَقُوا . فَإِنَّ هٰـذِهِ

كُلُّهَا تَطْلُبُهَا أُمَمُ الْعَالَمِ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَبُوكُمْ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هٰذِهِ . بَلِ اطْلُبُوا مَلَكُوتَ اللهِ وَهٰذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ .

لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ لِأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ . بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً . اِعْمَلُوا لَكُمْ أَكْيَاساً لاَ تَفْنَى وَكَنْزاً لاَ يَنْفَدُ فِي السَّمٰوَاتِ حَيْثُ لاَ يَقْرَبُ سَارِقٌ وَلاَ يُبْلِي سُوسٌ . لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضاً .

(لوقا ١٢ : ١٣ — ٣٤)

إعتاد الناس فى فلسطين أن يأتوا بمشاكلهم لمعلمى اليهود ليجدوا حلا لها ومخرجاً منها . وأما يسوع نجده على النقيض من هذا ، فقد رفض بتاتاً أن يتداخل فى مشاكل مالية كهذه . ورأى يسوع من هذا السؤال فرصة ليحذر تلاميذه من الأمور المادية . ووجه حديثه للأغنياء الذين يعيشون فى بزخ وترف، كما تحدث للفقراء المعدمين الذين قضوا حياتهم فى شظف من العيش منذ نعومة أظفارهم .

١ — تكلم يسوع للأغنياء بمثل الغنى الغبى .. ونرى فى كلام الغنى أمرين :

(١) لم ير شيئاً غير نفسه وهذا واضح من قوله : « أنا . نفسى . مخازنى .

أموالى » .. سئل طالب صغير فى مدرسته عن القول : « لى .. وملكى » فأجاب : « هى الضمائر المعتدية » . وكذلك الغنى الغبى ، فقد كان تفكيره فى نفسه تعدياً على حقوق الغير . كما قيل عن سيدة كان كل همها فى التفكير عن نفسها : « إنها تعيش فى عالم صغير محدود بحدود أرضية هى الشرق والغرب . والشمال والجنوب وكل إهتمامها منحصر فى شخصها » . وتلك قولة قيلت عن رجل ذاتى كهذا : « توجد أنانية عظمى فى عالمه » .. هكذا لم يفكر هذا الغنى الذى فاضت خيراته عن حاجياته واتخمت مخازنه أن يوزع منها شيئاً على أعمال خيرية أو ما شا كل ذلك ، بل كان موقفه ضد المسيحية ومناقضاً لتعاليمها ومبادئها السامية . فعوضاً عن أن ينكر نفسه جعل كل شىء لذاته ، وعوضاً عن أن يجد لذته فى العطاء وجد لذته فى الحفظ والادخار لنفسه .

كان مبدأ يوحنا وسلى : « أن يقتصد كل ما يمكن أن يقتصده ، ويعطى كل ما يمكن أن يعطيه وعندما كان فى اكسفورد كان دخله السنوى ٣٠ جنيهاً وعندئذ أنفق على معيشته ٢٨ جنيهاً ووزع جنيهين وعندما زاد دخله تدريجياً من ٦٠ جنيهاً إلى ٩٠ جنيهاً ثم إلى ١٢٠ جنيهاً استمر ينفق ٢٨ جنيهاً أيضاً ووزع الباقى فى العطاء . وحدث مرة أن كاتب الحسابات طلب منه زيادة لأجل أدوات منزلية ، فأجابه : «عندى ملعقتان فضيتان للشاى فى لندن وملعقتان فى برستول وهذا كل ما يلزم أن يكون عندى فى الوقت الحاضر ، ولا أريد أن أشترى أكثر طالما يوجد حولى من هو بحاجة إلى الخبز اليومى » :

كما يوجد مثل رومانى يقول : « المال كماء البحر المالح كلما شرب الانسان إزداد رغبة فيه عطشاً إليه » . وكلما كان موقف الإنسان كذلك الغنى الغبى كلما كان أشد رغبة وأكثر ميلا لازدياد المال ، وهذا ليس من شيمة المسيحى المدقق .

(ب) لم ير شيئاً غير هذا العالم .. فلقد شخص بل حدق بكلتا عينيه فى مباهج هذه الحياة الدنيا فاستولت على كل مشاعره وأسلم هو بدوره كل

القياد لها .. هناك قصة عن محاورة نشبت بين شاب طموح ورجل مسن خبر الحياة واختبرها ، قال الشاب « أتقن تجارتي » وأجاب الرجل « وماذا بعدها » فقال الشاب « فأكون مستقبلي » فأجاب المسن : « وماذا بعد ذلك؟ » فقال الشاب : « أتقدم في أيامي وأعيش على ما اقتصدته » . وأردف المختبر قائلا : « وماوراء ذلك ؟ » قال الشاب : « سأموت » . وعندئذ تنهد الشيخ وقال : « وماذا بعد الموت ؟ » . وهنا أطرق الشاب برأسه مفكراً وارتعدوارتعش وازداد تجهماً .

٢ — وتحدث يسوع أيضاً إلى الفقراء والمعدمين .. وركز حديثه في التفكير الشاق والقلق المضنى والاهتمام والارتباك الزائد لأمور هذه الحياة .. ولا يريد المسيح منا أن نعيش مهمومين في غم دائم وكرب وألم ، تعلو سحنتنا سماء التعاسة ودلائل الأسى والضنى . ولكن واجبنا هو أن لانألو جهداً في إتمام أعمالنا على أتم وجه ونترك الباقي للرب .. وذكر المسيح زنابق تلال فلسطين ، التي تزهر بعد أمطار الصيف على سفوح الجبال ، وتظهر يوماً واحداً ثم تزبل وتموت . لذلك نرى أهل فلسطين يستخدمون هذه الأعشاب الجافة للوقود لكثرتها من ناحية ولندرة وجود الخشب من ناحية أخرى. وهنا نطق يسوع « فإن كان العشب الذي يوجد اليوم في الحقل ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا ، فكم بالحرى يلبسكم أنتم ياقليلي الإيمان؟ ثم أضاف يسوع: بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم ». وهنا يتضح أن ملكوت الله على الأرض تتم فيها إرادة الله كما في السماء . لذلك كأني بيسوع يقول : « إخضعوا لإرادة الله واطمئنوا .. يوجد كثيرون يحبون الجمع والتكويم وهي ليست دائمة ، إعملوا لا للطعام البائد بل للباقي للحياة الأبدية .. إعملوا للأشياء التي تدخل معكم إلى السماء » .

وقد كان الثراء فى فلسطين يظهر فى ارتداء الثياب الفاخرة الثمينة ، وكان العث سرعان مايجد طريقه إليها فيتركها بالية لا تصلح لشيء . وعلى النقيض من ذلك إن ارتدى الانسان ثياب الطهارة وحلل النقاء التى لايمكن أن تبلى وتفسد. فمن يطلب الذخائر السماوية يكون قلبه فى السماء ومن يرتكن ويرتكز على خزائن أرضية يتعلق قلبه بالأرضيات ، لكنه سرعان مايتركها فى يوم ينطبق فيه المثل الأسبانى القائل « لن تجد فى الكفن جيوب » .

إسهروا

لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً . وَأَنْتُمْ مِثْلُ أُنَاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتَى يَرْجِعُ مِنَ الْعُرْسِ حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ لِلْوَقْتِ . طُوبَى لأُولٰئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ . اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَتَمَنْطَقُ وَيُتْكِئُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ وَيَخْدِمُهُمْ . وَإِنْ أَتَى فِى الْهَزِيعِ الثَّانِى أَوْ أَتَى فِى الْهَزِيعِ الثَّالِثِ وَوَجَدَهُمْ هٰكَذَا فَطُوبَى لأُولٰئِكَ الْعَبِيدِ . وَإِنَّمَا اعْلَمُوا هٰذَا أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِى أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِى السَّارِقُ لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ . فَكُونُوا أَنْتُمْ إِذًا مُسْتَعِدِّينَ لأَنَّهُ فِى سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِى ابْنُ الإِنْسَانِ .

فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ يَا رَبُّ أَلَنَا تَقُولُ هٰذَا الْمَثَلَ أَمْ لِلْجَمِيعِ أَيْضاً . فَقَالَ الرَّبُّ فَمَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الْعُلُوفَةَ فِي حِينِهَا . طُوبَى لِذٰلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هٰكَذَا . بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ . وَلٰكِنْ إِنْ قَالَ ذٰلِكَ الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ . فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ الْغِلْمَانَ وَالْجَوَارِيَ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَسْكَرُ . يَأْتِي سَيِّدُ ذٰلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا فَيَقْطَعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ . وَأَمَّا ذٰلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْلَمُ إِرَادَةَ سَيِّدِهِ وَلاَ يَسْتَعِدُّ وَلاَ يَفْعَلُ بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ فَيُضْرَبُ كَثِيراً . وَلٰكِنَّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ وَيَفْعَلُ مَا يَسْتَحِقُّ ضَرَبَاتٍ يُضْرَبُ قَلِيلاً . فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيراً يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ .

(لوقا ١٢ : ٣٥ — ٤٨)

يوجد معنيان لهذا الفصل . بالمعنى الأضيق ، يشير أولا إلى مجيء المسيح الثاني ، ويشير ثانياً إلى الوقت الذي فيه تملأ وتغمر دعوة الله حياة الانسان .

وبالمعنى الأوسع نطاقاً نجده يشير إلى استعدادنا لملاقاة الله. أما جل المدح بل كله فهو للعبد المستعد دائماً لمقابلة الرب. ونلاحظ أن الثياب المتسعة الفضفاضة تقف حائلا دون الحركة والعمل، لذا عند استعداد إنسان ما للعمل عليه أن يحزم ملابسه حول وسطه لكى يكون حراً فى الحركة عند العمل. كذلك كان المصباح فتيلا من القطن مغموساً فى إناء به زيت يملأ كلما فرغ، ثم يقص الفتيل وإلا ينطفىء نور المصباح، ولا يعلم إنسان متى يكون المنتهى .. وعند استدعاء الله لنا لملاقاته نرى ما هى الحالة التى نريد أن يرانا الله عليها :

١ — نريد أن يرانا الله وقد أكملنا أعمالنا .. كم من كثيرين قضوا نحبهم وقضوا على آخرتهم بالبوار لأن أعمالا كثيرة لم تستكمل وأشياء شتى لم تعمل، وأموراً متعددة لم تقصد عملها بالمرة. إن عظماء الرجال يحبون دائماً إتمام أعمالهم على أكمل وجه .. وقد كتب حكيم فكرة رائعة فقال : « أخاف أن أتوقف عن العمل قبل أن يلتقط قلمى أفكار عقلى » وكتب روبرت لويس ستيفنسن يقول : تقرع طبول الصباح آذانى المشتاقة فلا أنس ندى الصبح حتى أدركه قبل أن يجف، ولا أتوقف قليلا عما أعمله فلا تضطرب آذانى من قرع جرس العمل لئلا تغيب الشمس قبل إكمال عملى، وقد توج يسوع العمل وكلل هذه الفكرة بقوله : « العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته » (يو١٧ : ٤) «أجل » يجب أن يجاهد الإنسان فى إتمام عمله قبل حلول ظلام الليل.

٢ — نريد أن يرانا الله ونحن فى سلام مع من نعيش معهم .. ولا يوجد انزعاج للنفس قدر انزعاج من يترك هذا العـــالم وهو فى مرارة مع النـاس « لا تغرب الشمس على غيظكم » (أف ٤ : ٢٦) .. ربما يكون هذا غروب شمس الحياة.

٣ — نريد أن يرانا الله ونحن فى سلام معه .. ويكون كل الفرق يكمن إما فى وجودنا بين يدى الله أو بين أيد غريبة.

أما فى القسم الثانى من هذا الفصل فنرى تصوير المسيح الذى صوره لنا عن الوكيل الأمين والوكيل غير الحكيم . وكان للوكيل فى الشرق قوة غير محدودة، وسلطاناً على كل العبيد مع كونه عبداً .. وكلما عمل فى بيت سيده بأكثر أمانة كلما كان أعظم سلطاناً وقوة .. أما الوكيل الجاهل فقد عمل أمرين :

١ — قال : « أعمل ما أحب طالما سيدى غائب » ، ونسى كلية مجىء يوم الحساب . . وتناسى إن عاجلا أم آجلا سيأتى اليوم ويباغته وهو فى غير انتظار ولا استعداد . درجت عادة تقسيم الحياة إلى قسمين: قسم فيه نعرف الله ونؤمن بوجوده، وقسم لا نفتكر فيه بالمرة فى الله بل أكثر من ذلك نضع فاصلا بين ما يخص الله وما يخصنا .. أما فى المسيحية فلا يبتعد الله عنا لحظة أو طرفة عين بل نعمل ونعيش دائماً مع الرب وللرب .

٢ — قال : « عندى وقت أرتب فيه أعمالى قبل مجىء سيدى » ، ولا يوجد شىء قاتل ومميت قدر من يقول أو من يزعم أنه يملك متسعاً من الوقت. وقال السيد بنفسه : « ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى مادام نهار ... يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل » (يو ٩:٤) . إعتاد أحد عظماء رجال الأعمال البريطانيين بعد أن تقدم فى الأيام أن يرفض المواعيد التى يطلبونه فيها لوقت طويل، وكلما طلب منه مثل هذا الطلب كان جوابه : « لا أريد إلا العمل الذى أنجزه بسرعة لأنى عاجز عن معرفة المستقبل » . حقاً .. طوبى للانسان الذى يجيئه الغد وقد تمم وأكمل كل أعمال اليوم .. ومن يعرف أكثر يدان أكثر . . وكل من فشل بعد أن كانت لديه فرصة العمل الناجح يلام أكثر.

مجيء السيف

جِئْتُ لِأُلقِيَ نَاراً عَلَى ٱلْأَرْضِ . فَمَاذَا أُرِيدُ لَوْ ٱضطَرَمَتْ وَلِي صِبْغَةٌ أَصطَبِغُهَا وَكَيْفَ أَنحَصِرُ حَتَّى تُكمَلَ . أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لِأُعطِيَ سَلاَماً عَلَى ٱلْأَرْضِ . كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ . بَلِ ٱنقِسَاماً لِأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ ٱلْآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ ثَلٰثَةٌ عَلَى ٱثْنَيْنِ وَٱثْنَانِ عَلَى ثَلٰثَةٍ . يَنْقَسِمُ ٱلْأَبُ عَلَى ٱلِابْنِ وَٱلِابْنُ عَلَى ٱلْأَبِ . وَٱلْأُمُّ عَلَى ٱلْبِنْتِ وَٱلْبِنْتُ عَلَى ٱلْأُمِّ . وَٱلْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا وَٱلْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا .

(لوقا ١٢ : ٤٩ — ٥٣)

إعتبر اليهود المسيح أنه المسيا المنتظر ، مسيح الله الوحيد ، والملك المنتصر ، كما اعتبروا عصره أنه العصر الذهبي .. لذلك وقعت الكلمات التي تفوه بها المسيح في هذا الفصل وقــع الصاعقة ، وهزتهم هزة شديدة أودت بكيانهم الفكري .

١ — إعتبر اليهود كلمة « نار » إشارة إلى الدينونة ، واعتبر يسوع مجيء ملكوته أنه وقت الدينونة ، كما زعم اليهود أن الله سيدين الأمم بطريقة تختلف عن طريقته معهم ، وكفى أن يكون الإنسان يهودياً حتى لا يقع تحت طائلة الدينونة .. ومهما أردنا أن نبتعد بأفكارنا عن الدينونة وأن نغض الطرف عنها ، إلا أنها ثابتة وأكيدة ..

٢ — الترجمة السبعينية لعدد (٥٠) هى : « لى معمودية أعمد بها » والفعل اليونانى عمد معناه غمس أو أغرق (مبنى للمجهول)، وتستعمل الكلمة مجازياً كتعبير عن السفينة الغائصة فى قاع اليم ووسط عجيج الأمواج. ويمكن استخدامها لرجل غاص وهو يشرب ويتعثر فى شربه حتى مات . كما تستخدم لطالب علم إنهالت عليه أسئلة الممتحن حتى أغرقته .. كما تطلق كلمة « غاص » على اختبار عنيف كقول القائل : « كل تياراتك ولججك طمت على» ، وهذا هو المعنى الذى يستخدمه يسوع هنا حسب قوله : « لى صبغة أصطبغ بها » وقد كثرت بلايا الحياة وانتصر على جميعها .. وعندما نطق بهذا التعبير كانت صورة الصليب موضوع تأمله ونصب عينيه ومستحوذة على كل مشاعره . لذا ما أبعد فكره عن الفكر اليهودى عن الملك الإلهى .. وهو لم يأت بجيوش تسيل عارم منساقة ، أو مزينة بأعلام مرفرفة خفاقة ، لكنه أتى ليعطى نفسه فدية عن كثيرين .. وما أجمل وأبرع وأروع الصورة التى رسمها شاعر غربى للمسيح حين قال : « أتى فارس من بيت لحم ، وكانت ثروته الدموع والحزن» احتضن الحملان الصغيرة .. وغردت أمامه العصافير مشقشقة. كان قصره صليب الخشب الذى عليه علق .. وكان إكليله من الشوك الذى به توج .. ووصلت قمته إلى السماء . » .

٣ — فى مجيئه تمزق وانقسام ، وهكذا تم .. ولهذا السبب بعينه أبغض الرومان المسيحية لزعمهم أنها علة التمزق ومبعث الانقسام بين العائلات .. فكل من يحب أهله أكثر لا يستطيع أن يحب المسيح .. وأعظم إخلاص وولاء هو الذى لربنا يسوع .. وكل خسارة فى العالم نفاية بجانب معرفة يسوع المسيح ربنا .

ثُمَّ قَالَ أَيْضاً لِلْجُمُوعِ . إِذَا رَأَيْتُمُ السَّحَابَ تَطْلُعُ مِنَ الْمَغَارِبِ فَلِلْوَقْتِ تَقُولُونَ إِنَّهُ يَأْتِي مَطَرٌ . فَيَكُونُ هٰكَذَا . وَإِذَا رَأَيْتُمْ رِيحَ الْجَنُوبِ تَهُبُّ تَقُولُونَ إِنَّهُ سَيَكُونُ حَرٌّ . فَيَكُونُ . يَا مُرَاؤُونَ تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَمَّا هٰذَا الزَّمَانُ فَكَيْفَ لاَ تُمَيِّزُونَهُ . وَلِمَاذَا لاَ تَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ مِنْ قِبَلِ نُفُوسِكُمْ . حِينَمَا تَذْهَبُ مَعَ خَصْمِكَ إِلَى الْحَاكِمِ ابْذُلِ الْجَهْدَ وَأَنْتَ فِي الطَّرِيقِ لِتَتَخَلَّصَ مِنْهُ . لِئَلاَّ يَجُرَّكَ إِلَى الْقَاضِي وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الْحَاكِمِ فَيُلْقِيَكَ الْحَاكِمُ فِي السِّجْنِ . أَقُولُ لَكَ لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأَخِيرَ .

(لوقا ١٢ : ٥٤ ـ ٥٩)

تبحرّ يهود فلسطين كثيراً فى معرفة الأرصاد الجوية واتجاهات الرياح . فعندما تتجمع السحب فى الغرب على البحر الأبيض المتوسط تكون علامة على سقوط المطر .. وكلما هبت ريح الجنوب من الصحراء الشرقية أيقنوا أن العاصفة قادمة . لكنهم بالرغم من علمهم هذا جهلوا الأوقات التى قصدها الله، ولو فهموها لعرفوا أن مجيء ملكوت الله على الأبواب . ولقد استخدم

يسوع مثالا واضحاً فقال . « حينما تذهب مع خصمك إلى الحاكم ، أبذل الجهد وأنت فى الطريق لتتخلص منه ، لئلا يجرك إلى القاضى ويسلمك القاضى إلى الحاكم ، فيلقيك الحاكم فى السجن أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير »

والمتهم هنا الذى يجره خصمه إلى القاضى لا بد أن تكون تهمته شنيعة . وكل إنسان متهم فى حضرة الله ، وجب أن يتصالح مع خالقه قبل فوات الأوان والمسيح هنا يريدنا أن ننتهز الفرصة قبل فواتها . وقد قال حكيم : «مركبات الزمن مسرعة بأجنحتها إلينا » . وهناك أشياء لا يستطيع الإنسان أن يتخلص منها ، كما أن ليس من السهل أن تؤخر مصالحتنا مع الله .

ونقرأ فى الآية الأخيرة . « دفع الفلس الأخير » . وقد تحدث يسوع من قبل عن المال .. نفهم التعبير وجب أن نلقى بعض الضوء على العملة اليهودية . أولها وأصغرها الفلس الذى دفعته الأرملة (مر ١٢ : ٤٢) وقيمته ١/٣٦ من البنس أى ما يساوى ٣٦ من المليم المصرى.

وهناك عملة أخرى تساوى ضعف العملة السابقة ومترجمة فى العربية « فلس » أيضاً فى (مت ٥ : ٢٦) . وهناك عملة ثالثة تساوى مليمين ونصف وورد ذكرها فى (مت ١٠ : ٢٩ ، لو ١٢ : ٦) وتترجم أيضاً « فلس » فى الترجمة العربية . وهناك الدينار وهو أجرة العامل فى اليوم ويساوى أربعة قروش مصرية (مت ٢٠ : ٢) وهو الدينار الذى دفعه السامرى الصالح لصاحب الفندق (لو ١٠ : ٣٥) . وهناك الدرهم وقيمته أربعة قروش مصرية ونصف (لو ١٥ : ٨) وهو الذى فتشت عنه المرأة . ثم هناك نصف الشاقل وكان ضريبة الهيكل ، وبثلاثين من هذه العملات سلم يهوذا المسيح . والفضة تساوى ١٢ قرشاً مصرياً تقريبا فيكون أن يهوذا باع سيده ب ٣٦٠ قرشاً . وهناك الأستار

الذى وجد فى فم السمكة وهو يساوى ٢٤ قرشاً (مت ١٧ : ٢٧) وهناك المنا وجمعه « الأمناء » ويساوى أربعة جنيهات استرلينى (حوالى خمسة جنيهات مصرية) (لو ١٩ : ١١ — ٢٧) . وأخيراً هناك الوزنة وهى وزنة فضية تساوى ٢٤٠ جنيهاً استرلينى أى حوالى (٣٠٠ جنيه مصرى) ومذكورة فى (مت ١٨ : ٢٤) وفى مثل الوزنة (مت ٢٥ : ١٤ — ٣٠) .

الأَصْحَاحُ ٱلثَّالِثُ عَشَرَ

الخطيّة والألم

وَكَانَ حَاضِرًا فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ أَتَظُنُّونَ أَنَّ هٰؤُلاَءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لِأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هٰذَا . كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ . بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذٰلِكَ تَهْلِكُونَ . أَوْ أُولٰئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ أَتَظُنُّونَ أَنَّ هٰؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ . كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ . بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذٰلِكَ تَهْلِكُونَ .

(لوقا ١٣ : ١ — ٥)

فى هذا الجزء إشارة إلى حادثتين غامضتين ، الأولى حادثة الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم ، وقد كان للجليليين دور فعال فى المشاغبات وخاصة السياسية منها. ولقد تذرع بيلاطس بالصبر وطول الأناة كثيراً إزاء هذه المشاكل ، إلى أن أتى يوماً من إضطراب شائك — وقد ضاق ذرعاً بكل هذه

الأمور — إذ قد قرر أن أورشليم فى حاجة ماسة إلى مياه نقية جديدة صافية وإلى مشروعات إنشائية بنائية ضخمة ، لذا أراد البدء فى هذه المشروعات على أن يتم تمويلها من أموال الهيكل . وإن كان هذا هدفاً مشكوراً وهمة مبررة، إلا أن إنفاق مال الهيكل كان كارثة دهماء على نفوس اليهود مما جعلهم يتألبون فى هجوم منظم ضد الحاكم الرومانى . وعندئذ أمر بيلاطس جنوده أن يتخفوا وسط اليهود بملابس يهودية فوق الملابس الحربية ، على أن يمسكوا الهراوات عوضاً عن السيوف فينقضوا على اليهود ليبيدوهم عندما تحين ساعة الصفر التى يشير إليها بيلاطس . وقد نفذ الجنود الرومانيون الخطة بكل دقة وتمادوا أكثر فقتلوا الجليليين . ويقال إن هذه الحادثة كانت سبباً فى الخصام والعداوة التى كانت بين هيرودس وبيلاطس ، والتى زالت عندما أرسل بيلاطس يسوع إلى هيرودس المحاكمة (لو ٢٣ : ٦ — ١٢) .

وأما حادثة الثمانية عشر الذين وقع عليهم البرج فى سلوام فهى أكثر غموضاً . وأكثر الظن أنهم قاموا ببناء برج لحفظ المياه وتخزينها زمن الأمطار لاستعمالها وقت الجفاف . ولم يظهروا الحقيقة لبيلاطس بل خدعوه وأخذوا أموالا طائلة أكثر من حقهم ، وكان ما ربحوه هو من حق الله فوقع البرج عليهم لأنهم أرادوا أن يعملوا هذا العمل .

كما أن فى هذا الفصل أفكاراً كثيرة غير تلك التاريخية التى تكلمنا عنها آنفاً . قال أليفاز لأيوب : « أذكر من هلك وهو برىء وأين أبيد المستقيمون » (أيوب ٤ : ٧) ، ولقد عرف أيوب أن هذا التعليم مؤلم وقاس، كما أن يسوع أنكره ولم يرض به . ونعلم جيداً أيضاً أن القديسين هم أكثر الناس ألماً . لكن قول يسوع يفيد بهلاك غير التائبين والخطاة كما هو واضح من نبوته بخراب أورشليم الذى حدث فى سنة ٧٠ م (لو ١٩ : ٢١ — ٢٤).

لقد تأكد يسوع أنه إذا استمر اليهـــود فى مكايدهم وثوراتهم ومطامعهم السياسية سيجروا على أنفسهم الخراب والدمار ، كما أيقن أن أمة الرومان ستفنى . . وهذا ما حدث . وقد علم أيضاً أن اليهود بطلبهم لأنفسهم مملكة أرضية ورفضهم ملكوت الله سيطلبون القضاء التام لأمتهم .

ويمكن القول إن آلام الشخص لا تتوقف على خطاياه الشخصية أو على صلاحه الشخصى ، كما أن آلام الأمة تتوقف على حيدانها عن الله .. أجل .. فعار الشعوب الخطية .. غير أننا نواجه أمراً عجيباً ، فالفرد ليس معزولا عن الجماعة، وقد يقف شخص ما معارضاً لأخطاء أمته ويهيب فيهم إصلاح أخطائهم والرجوع عن خطاياهم ، وليس من مجيب . وعندما يحل القضاء يحل على الأمة كلها بما فيهم هذا الفرد . ومن هذا نرى أن آلام بعض الأفراد لا تكون نتيجة لخطاياهم !! حقاً . . كم من الصعب أن تنسب الآلام البشرية للخطايا البشرية ، لكن الصواب بجانبنا عندما نقول « إن الأمة التى تثور على الله وتتعداه تسير فى طريق الهلاك والدمار » .

إنجيل الفرصة الأخرى وتهديد الفرصة الماضية

وَقَالَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ . كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ . فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَراً وَلَمْ يَجِدْ . فَقَالَ لِلْكَرَّامِ هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَراً فِي هٰذِهِ ٱلتِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ . اِقْطَعْهَا . لِمَاذَا تُبَطِّلُ ٱلأَرْضَ أَيْضاً . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ يَاسَيِّدُ ٱتْرُكْهَا هٰذِهِ ٱلسَّنَةَ أَيْضاً حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً .

فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَراً وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا .

(لوقا ١٣ : ٦ — ١٠)

هنا مثل يبدأ بأنوار النعمة المجيدة لكنه ينتهي في نفس الوقت بالتحذيرات الشديدة ..

١ — يوضح لنا مثل شجرة التين الأمتياز الخاص . فلقد كان مألوفاً ومعتاداً في فلسطين أن ترى منظر شجرة التين إلى جانب الحسك وشجر التفاح والكروم ، إذ أن هذه الأشجار تنمو حيثما وجدت . أما شجرة التين فكانت لها فرص كثيرة سانحة للنمو لكنها لم تسايرها ، وكم من مرات ذكر يسوع الناس وبكل الطرق المباشرة بأنهم سيدانون بمقتضى الفرص التي منحت لهم . قال مرة أحد الحكماء عن جيلنا هذا : « إننا نملك كل قوة إلهية لكننا نستخدمها بلا مبالاة وبكل تهاون كصبية ليسوا في مستوى المسئولية ». أجل .. لقد تمتع جيلنا بامتيازات عديدة مباركة ، وبالرغم من كل هذا نجده يتخطى كل الأجيال في البعد عن الله والحيدان عنه .

٢ — يخبرنا المثل بوضوح بأن عدم المنفعة ينتج الندامة . فكل وسائل التقدم في هذا العالم وأساليب المدنية المتعددة تأتي بنتائج سارة ، وهذه النتائج بدورها تسير من حسن إلى أحسن ، وفي طريق سيرها تعمل على فناء الأشياء غير النافعة واندثار الأمور التي لا تفيد وهنا يبرز في بؤرة تفكيرنا سؤال هام نريد أن نجد له جواباً وحلا « لأي هدف وغاية وفائدة وجــــدت في هذا العالم ؟ » .

٣ — إن الشيء الذي يأخذ ولا يعطي لا يعيش . فلقد أخذت شجرة التين من الأرض قوة وحياة ولكنها لم تعط شيئاً البتة « وهذه هي خطيتها »..

وعلى هذا يوجد نوعان من الناس : الأول هم الذين يأخذون أكثر مما يعطون والثانى هم الذين يأخذون أقل مما يعطون .. إننا مدينون للحياة بالحياة نفسها ، فقد أخذناها على حساب حياة شخص آخر .. ولقد ورثنا المدنية المسيحية والحرية التى لم نخلقها بأيدينا . . ولقد تمتعنا وامتلكنا أشياء حسنة ورائعة ويجب أن نتركها على حال أفضل مما وجدناها كقول ابراهام لنكولن: « الآن وهذا أنا مستعد أن أموت . . فقد اقتلعت . . وزرعت ورداً يانعاً وهذا ما أريد أن يقوله الآخرون عنى » . عندما كان أحد الطلبة يلاحظ البكتريا تحت المجهر ، رأى جيلا يموت وجيلا يحيا ، رأى الضعيف يندثر والقوى ينمو ويزدهر . . عندئذ رفع عقيرته بانفعال حاد ينم عن تصميم وعزم جاء قائلا : « بعد أن رأيت كل هذا ، لا أريد أن أكون حلقة ضعيفة فى سلسلة الحياة .. لقد أخذت الكثير ويجب أن أعطى الحياة أكثر » .

٤ — يحدثنا هذا الفصل عن إنجيل الفرصة الثانية . . فعادة ما تستغرق شجرة التين ثلاث سنين لتصل إلى حد البلوغ ، ومن غير المنتظر أن تعطى ثمراً فى تلك المدة ، لكن هذه الشجرة أخذت فرصة ثانية .. وهذه عادة يسوع المعهودة فيه ، فهو يطيل أناة لطفه وإمهاله ويهب فرصة بعد أخرى . وهذا ما شهد عنه بطرس ومرقس وبولس مراراً وتكراراً فى كتاباتهم .. إن عادة الله أنه يشفق على من يسقط .. ويقيمه من سقطته .

٥ — أما الدرس الأخير الذى نتعلمه والذى يجب أن يكون واضحاً أمامنا، أنه توجد فرصة نهائية .. فإن رفضنا فرصة بعد الأخرى ، وناداانا الله مرة ومرتين ونحن لا نجيب ، يجب أن نيقن أنه سيأتى اليوم الذى فيه يطرحنا الله خارجاً ، بل نحن الذين نقضى على أنفسنا بذلك . . ليحفظنا الله من هذا الأمر .

وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي أَحَدِ ٱلْمَجَامِعِ فِي ٱلسَّبْتِ . وَإِذَا ٱمْرَأَةٌ كَانَ بِهَا رُوحُ ضَعْفٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَتْ مُنْحَنِيَةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ ٱلْبَتَّةَ . فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا يَا ٱمْرَأَةُ إِنَّكِ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكِ . وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ فَفِي ٱلْحَالِ ٱسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ ٱللهَ . فَأَجَابَ رَئِيسُ ٱلْمَجْمَعِ وَهُوَ مُغْتَاظٌ لِأَنَّ يَسُوعَ أَبْرَأَ فِي ٱلسَّبْتِ وَقَالَ لِلْجَمْعِ هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ يَنْبَغِي فِيهَا ٱلْعَمَلُ فَفِي هٰذِهِ ٱئْتُوا وَٱسْتَشْفُوا وَلَيْسَ فِي يَوْمِ ٱلسَّبْتِ . فَأَجَابَهُ ٱلرَّبُّ وَقَالَ يَا مُرَائِي أَلَا يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ ٱلْمِذْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ وَهٰذِهِ وَهِيَ ٱبْنَةُ إِبْرٰهِيمَ قَدْ رَبَطَهَا ٱلشَّيْطَانُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هٰذَا ٱلرِّبَاطِ فِي يَوْمِ ٱلسَّبْتِ . وَإِذْ قَالَ هٰذَا أُخْجِلَ جَمِيعُ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُعَانِدُونَهُ وَفَرِحَ كُلُّ ٱلْجَمْعِ

بِجَمِيعِ الأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ الْكَائِنَةِ مِنْهُ .

(لوقا ١٣ : ١٠ — ١٧)

هذه هى المرة الأخيرة التى فيها نسمع أن يسوع كان فى مجمع ، ومن ذلك الوقت كان الرؤساء يراقبونه منتظرين ما يجدونه ليشتكوا به عليه . وفى هذه المرة عندما كان فى المجمع شفى يسوع المرأة التى كانت فى مرضها مدة ثمانى عشرة سنة منحنية ولم تقدر أن تنتصب . وقد علق على ذلك رئيس المجمع الذى لم تكن له الشجاعة الكافية لمواجهة يسوع مباشرة فوجه كلامه للجمع . وحسب تعليمهم كانت عملية الشفاء عملا . وبهذا يكون يسوع قد كسر وصية السبت لكنه أجاب خصومه من شريعتهم فقال لهم إن علماء اليهود ينبذون القساوة فصرحوا للانسان أن يحــل حماره من على المذود ويذهب به ويسقيه فى يوم السبت « يامرائى ، ألا يحل كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به ويسقيه ؟ وهذه هى ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشر سنة ، أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت » .

١ — كان رئيس المجمع والذين على شاكلته يهتمون بالنظام أكثر من محبة الآخرين ، وكان حفظهم للشريعة الجامدة أهم من حياة تلك المرأة المنحنية . والمسألة الهامة اليوم فى المدينة هى علاقة الفرد بالنظام . وفى الحرب تختفى قيمة الفرد إلا فى انتمائه إلى هذه الدولة أو تلك ، والرجال الذين من طبقة خاصة يتكتلون معاً لا كأفراد بل كذوى خبرة حربية . وبعبارة أخرى يصير الأفراد مجرد أرقام فى قائمة أعداد الجيش . وقد انتقد مرة هـ . ج . ويلز الإقتصادية الشهيرة باتريس وب بقوله : « بأنها ترى الرجال يسيرون كمجرد عينات » . أما المسيحية فهى تضع الفرد أولا قبل أى نظام ، وتعطيه حقه بل تقف حامية له مدافعة عنه . ولا يمكن لجماعة أو حكومة أن تعيش أو توجد إذ إعتمد على

النظام فقط دون القيمة الفردية ، كما أن فى ضياع القوانين السياسية والأنظمة الاقتصادية ضياع لكل شىء . وإن كانت الكنيسة تتبع قوانين جامدة ولوائح جافة باردة، فلسوف تنتزع منها الحياة تدريجياً . وكم من كثيرين فى الكنائس لا نستطيع أن نسميهم مسيحيين ، ذلك لأنهم يهتمون بحكومة الكنيسة وسياستها والإداريات فيها أكثر من اهتمامهم بعبادة الله وخدمة الناس . بل كم من مشاكل متعددة تقوم فى كنائسنا اليوم بسبب التمسك بالصوريات والشرعيات والأوامر والنواهى التى لا حياة فيها ولا روح .. حقاً .. فحيثما يسود القانون الجامد الجارف الجاف على الحق ضاعت المحبة بين الناس .

٢ — فى كل أعمال المسيح ، نرى إرادة الله واضحة ظاهرة بأن لا يتألم الإنسان دقيقة واحدة أكثر مما يحتمل . ولقد صرحت الشريعة اليهودية بإجازة المساعدة لأى إنسان فى السبت طالما تعرضت حياته لخطر، ولو أخر السيد شفاء منحنية الظهر للغد ما وقع تحت لائمة الانتقاد وطائلة اللوم . وأما يسوع فقد حتم بأنه ينبغى حل المرأة من رباطها اليوم قبل الغد .. وهكذا يجب أن يسود نظام الرحمة وتثبت الشفقة والمحبة .. وهناك مثل لاتينى يقول : «إن من يعطى صاحبه حاجته بسرعة فكأنه أعطاه أضعاف ما قدم له لذا لا تؤخر عمل المساعدة وصنع الرحمة للغد إن كنت تقدر على عمله اليوم .

ملكوت المسيح

فَقَالَ مَاذَا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ اللهِ وَبِمَاذَا أُشَبِّهُهُ . يُشْبِهُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَأَلْقَاهَا فِي بُسْتَانِهِ فَنَمَتْ وَصَارَتْ شَجَرَةً كَبِيرَةً وَتَآوَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ فِي أَغْصَانِهَا .

(لوقا ١٣ : ١٨ و ١٩).

إستخدم يسوع هذا المثل مواراً ولأغراض مختلفة . . وفى الشرق نرى أن حبة الخردل لا تزرع فى الحدائق بل فى الحقول ، ثم تبدأ فى نمو مطرد إلى أن تصير شجرة كبيرة يبلغ ارتفاعها إلى مترين أو ما يزيد ، فلقد أخبرنا أحد السياح أنه مر بشجرة خردل تبلغ من الارتفاع أربعـــة أمتار ، إذ يستطيع راكب جواد أن يمر تحتها بحرية كاملة . وفى العادة نرى كثيراً من العصافير حول هذه الأشجار متخذة منها أفضل أوكار ، متفيأة بظلها ، متمتعة باخضرارها الدائم ، إذ تحب العصافير الحبوب السوداء مثل حبوب الخردل . ويقدم لنا البشير متى نفس هذا المثل (مت ١٣ : ٣١ و ٣٢) ولـكنه يضع التنبير على فـكرة مختلفة فيقول : « قدم لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملـكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله وهى أصغر جميع البذور ولـكن متى نمت فهى أكبر البقول وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها » ومن هـــذا نرى أن متى ينبر على صغر الحبة بينما لا يتعرض لوقا لهذه الفـكرة . فلقد قصد متى أن الحبة الصغيرة جداً نمت وصارت شجرة عظيمة ، أى أن الأمور العظيمة تبدأ من حيث البدايات الصغيرة ، وهكذا يصير ملـكوت الله . ويذكر لوقا أن العصافير وجدت لها مسكنا فى أغصان الشجرة .. ونرى فى الشرق أيضاً أن الشجرة الـكبيرة ، هى رمز الإمبراطورية العظمى ، وتشير العصافير إلى الأمم التى تأتى محتمية فيها منضوية تحت لوائها ، ومنطوية بين صفوفها (حزقيال ٣١: ٦ ، ١٧ :٢٣) وكما رأينا أكثر من مرة أن لوقا يفـكر تفـكيراً مسكونياً ، ويحلم بأن العالم كله للرب ولمسيحه ، وهكذا يشير بأن ملـكوت الله ينمو ويصبح امبراطورية متسعة تحوى كل الأجناس والأمم ، وينطوى بين صفوفها الجميع ، وفيما يقدمه لنا لوقا نجد تعاليم كثيرة ووفيرة منها :

١ — يوجد مكان فى إمبراطورية الملكوت لكل المعتقدات على اتساع أنواعها ، فلا يستطيع إنسان ما أو كنيسة معينة تحتكر كل الحق . وإن افتكرنا فى أنفسنا أننا أصحاب الحق دون سوانا ، لأزعجنا نفوسنا وملأنا قلوبنا بالمرارة والحقد والنزاع . . فطالما كانت المعتقدات مؤسسة على المسيح فهى فى حق الله .

٢ — يوجد مكان فى إمبراطورية الملكوت لكل الاختبارات على اتساع أنواعها . ونحن نجاب على أنفسنا الضرر والأذى إن كنا نحد الإختبار المسيحى ، وإن حتمنا أن كل الناس يجب أن يأتوا إلى المسيح بطريقة واحدة وبنفس الصورة . فقد يستطيع انسان أن يتـــلو كيف نال اختبار الولادة الجديدة ، ويذكر الوقت الذى سلم فيه حياته للمسيح باليوم والساعة والدقيقة، بينما رجل آخر فتح قلبه لله بطريقة سهلة سلسة طبيعية دون أن يدرى لذلك ساعة محددة ، مثلما تتفتح وريقات الزهرة اليانعة لأنوار الشمس الرائعة فهذان الاختباران من الله ، وكل من الرجلين ملك لله .

٣ — يوجد مكان فى إمبراطورية الملكوت لكل طرق العبادة على اتساع أنواعها . فهناك رجل يقترب إلى الله بحسب طقوسه الدينية المحكمة وترتيباته الفاخرة ، وآخر يقترب إلى الله بطريقة بسيطة ، ولا تقدر أن تحكم هذا صواب أو خطأ . ولكننا نرى مجد الكنيسة التى تضم بين جنباتها كل نوع يطلب القرب إلى الله ، وتجمع بين جناحيها كل إنسان يتوق إلى الله ويحبه . كل يسير بمقتضى الطريقة التى توصله إلى باب السماء . لذا لا يجب أن يظن أحد أن طريقته فى العبادة سليمة دون سواها ويبدأ فى انتقاد من يختلفون معه ولوم من لا ينضمون إليه . .

٤ — يوجد مكان فى ملكوت الله لكل أنواع الناس ومختلف طبقاتهم

على السواء. لقد امتلأت الدنيا من الفواصل والفوارق، أما فى ملكوت الله فلا يوجد غنى وفقير، كبير وصغير، عظيم وحقير، مجهول وشهير، إذ يجب وينبغى أن تختفى كل الاختلافات فى كنيسة المسيح.

٥ — يوجد مكان فى إمبراطورية الملكوت لكل الأمم. ففى العالم الآن فوارق كبيرة فى اللون، فأحد مشاهير لاعبى كرة القدم الذى تتهافت الجماهير للحصول على توقيعه، لم يستطع النزول فى أحد فنادق لندن لأنه زنجى، وقد أخبرتنا كاتبة من أمريكا أنها تناولت غذاءها مع المغنى العظيم والممثل البارع paul Rabesom وزوجته وثارت ضجة عارمة لذلك، وعندما سافرت إلى شيكاغو لتمكث مع أصدقائها بعض الوقت، روت كيف صاحبت هذا الممثل القدير. ولكن أصدقاءها قابلوا كلامها بفتور جامد وصد مريع، وحين سألت عن السبب كان الجواب: « إنه من الماهرين فى العالم ولا مراء فى ذلك ولا مناص منه .. ولكنه زنجى ». ولقد أعطانا سفر الرؤيا حدود المدينة المقدسة (رؤ ٢١ : ١٦) فإذا هى مربعة، كل من جوانبها ١٢٫٠٠٠ قصبة أى ١٫٥٠٠ ميلا فتكون المساحة التى تحدها هذه الجوانب ٢٫٢٥٠٫٠٠٠ ميلا مربعاً وهكذا يوجد مكان فى مدينة الله لكل العالم وأكثر.

خميرة الملكوت

وَقَالَ أَيْضاً بِمَاذَا أُشَبِّهُ مَلَكُوتَ ٱللهِ. يُشْبِهُ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ.

(لوقا ١٣ : ٢٠ و ٢١)

أخذ يسوع هذا المثل مما رآه فى بيته، إذ كان الخبز يعمل فى المنازل،

والخميرة قطعة عجين مختمرة تؤخذ من العجينة الماضية . وتظل مخمرة . وتشير الخميرة عند اليهود إلى قوة التأثير وغالباً مايكون هذا التأثيرهو التأثير الردىء إذ عرف اليهود التخمير بالعفونة اشارة إلى الفساد . ولا بد أن يسوع رأى أمه مريم تأخذ الخميرة وتضعها فى العجين ، وتابع فعلها فى العجين كله فقال : «هذه هى الطريقة التى بها تكون مملكتى» . ولهذا المثل تفسيران ، الأول تبرز منه الأفكار الآتية :

١ — يبدأ ملكوت الله صغيراً. لكن الخميرة الصغيرة تخمر العجين كله . ونحن نعرف جيداً كيف يكون شخص ما سبباً فى حلول الخير أو إيجاد السلام فى رأى بلاط أو لجنة أو مجلس. ويبدأ ملكوت الله بأشخاص مكرسين لله سلموا حياتهم بجملتها وبكليتها للفادى . وقد يكون أحدنا هو ذلك المسيحى المعترف بالمسيح فى مكان عمله وهنا تبدأ عملية التخمير .

٢ — إن عمل الملكوت خفى غير منظور . فلا نستطيع أن نرى الخميرة وهى تتفاعل ، ولكنها كل الوقت تعمل عملها . وملكوت الله اليوم يعمل عمله فى المجتمع، كما عمل فى القرون الخوالى . وكل من يطالع التاريخ يلحظ جيداً التغيير الهائل الأمثل الذى أجراه ملكوت الله فى العالم. فمثلا كتب الفيلسوف سينيكا الذى إعتبره الرومان أعظم الفلاسفة يقول : « نحن نشنق كلباً مسعوراً ، ونذبح ثوراً هائجاً ، ونغمد السكين فى الماشية المريضة لئلا تعدى القطيع ، وهكذا يجب أن نقتل الأطفال المولودين ضعفاء أو مشوهين بإغراقهم » .. وكان هذا العمل عملا عادياً فى سنة ٦٠ م ، لكنه تلاشى واندثر اليوم ، أليس هذا من تأثير ملكوت الله فى عالمنا هذا ؟ !!! .

٣ — يعمل ملكوت الله من الداخل . فالخميرة لا تعمل عملها وهى خارج العجين بل لا بد أن تعمل من الداخل . وكذلك لا يمكن أن نغير الرجال إلا

من الداخل ، فالبيوت النظيفة وأحوال المعيشة المتيسرة لن تصلح إلا المظاهر الخارجية ، والمسيحية تغير الرجال والنساء لا الأشـــياء ، والناس المتجددون يغيرون العالم معهم ، ولهذا نجد الـكنيسة المعهد الأول في العالم لأنها المعمل الذى ينشىء رجالا .

٤ — تأتى قوة الملـكوت من الخارج أيضاً . فليس للعجين قوة ليغير نفسه، وكذلك نحن لا يمكن أن نغير أنفسنا لأننا حاولنا ذلك وباءت كل محاولاتنا بالفشل . فنحن بحاجة إلى قوة من الخارج، قوة رب الحياة الذى يتحين الفرص ليهبنا سر الحياة المنتصرة .

أما التفسير الثانى فهو يؤكد لجميعنا أن عمل الخميرة ظاهر، إذ يحول العجين من كتلة جامدة إلى كتلة هشة مليئة بالمسام ... ومثل الخميرة يشير إلى الاثارة والتحريك الذين تسببها المسيحية ، وقد قيل عن المسيحيين فى تسالونيكى « الذين فتنوا المسكونة حضروا إلى ههنا أيضاً »(أع ١٧ :٦). أجل إن الدين ليس طلاء خارجياً ، أو زخرفاً مائعاً ، أو منوماً للناس ليتقبلوا الشر بصمت وخنوع ، ولـكنه مثير يجعلهم يجاهدون ضد الشر وقوات الظلمة . والمسيحية الحقيقية هى الثائرة ضد العالم لأنها تخلق ثورة فى حياة الأفراد والجماعات على السواء. قال أونامونو المتصوف الأسبانى الشهير Unamuno « ليت الله يأخذ منـكم السلام ويعطيكم المجد » . وملـكوت الله هو الخميرة التى تملأ حياة الانسان سلاماً يفوق كل عقل ويغمر كل القلب بقوة هائلة ، فلا يسكت حتى يمحو الشر من الأرض بالتغيير وبثورة قوة الله .

خطر الطرد خارجاً

وَاجْتَازَ فِي مُدُنٍ وَقُرًى يُعَلِّمُ وَيُسَافِرُ نَحْوَ

أورُشَلِيمَ . فَقَالَ وَاحِدٌ لَهُ يَا سَيِّدُ أَقَلِيلٌ هُمُ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ . فَقَالَ لَهُمْ . اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ . فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَطْلُبُونَ أَن يَدْخُلُوا وَلاَ يَقْدِرُونَ . مِنْ بَعْدِ مَا يَكُونُ رَبُّ الْبَيْتِ قَدْ قَامَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَابْتَدَأْتُمْ تَقِفُونَ خَارِجاً وَتَقْرَعُونَ الْبَابَ قَائِلِينَ يَارَبُّ يَارَبُّ افْتَحْ لَنَا يُجِيبُ وَيَقُولُ لَكُمْ لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ . حِينَئِذٍ تَبْتَدِئُونَ تَقُولُونَ أَكَلْنَا قُدامَكَ وَشَرِبْنَا وَعَلَّمْتَ فِي شَوارِعِنَا . فَيَقُولُ أَقُولُ لَكُمُ لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ . تَبَاعَدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الظُّلْمْ . هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ مَتَى رَأَيْتُمْ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ فِي مَلَكُوتِ اللّٰهِ وَأَنْتُمْ مَطْرُوحُونَ خَارِجاً . وَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَمِنَ الْمَغَارِبِ وَمِنَ الشِّمَالِ وَالْجَنُوبِ وَيَتَّكِئُونَ فِي مَلَكُوتِ اللّٰهِ . وَهُوذَا آخِرُونَ يَكُونُونَ أَوَّلِينَ وَأَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ .

(لوقا ١٣ : ٢٢ — ٣٠)

عندما سأل السائل هذا السؤال كان لا بد أنه يدعى أن ملكوت الله لليهود فقط ، أما الأمم فيطردون خارجاً . وقد جاء جواب المسيح كهزة عنيفة:

١ — أوضح يسوع أن دخول الملكوت ليس شيئاً أوتوماتيكيا ، لكنه نتيجة جهاد عنيف وصراع جاد ، وقال يسوع : « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » والكلمة اجتهدوا تحمل معنى الجهاد الأليم المضنى .. ونحن بلا شك .. معرضون لتجربة التكاسل ، فإننا حين ندخل فى عضوية الكنيسة ربما نظن أن جهادنا قد كمل وأن نضالنا قد اكتمل ، ونركن إلى الراحة . ولكن الحياة المسيحية لا نهاية فيها ، بل هى تقدم دائم ودائب إلى الأمام ، ومن لا يتقدم إلى الأمام لابد أنه يسير إلى الوراء . والطريق المسيحى يشبه من يتسلق جبلا ليصل إلى قمته ، ولكنه هيهات أن يصل إلى القمة فى هذه الحياة . وقد قيل عن بطلين ماتا فى تسلق جبل إيفرست وفى آخر مرة رأينا هما فيها كانا يصعدان لأعلى باجتهاد » وقيل أيضاً عن مرشد لتسلق جبال الألب: إنه «مات وهو يتسلق » . هكذا الحياة المسيحية إنها حياة الصعود إلى العلاء باستمرار .

٢ — دافع الناس عن انفسهم بقولهم « أكلنا قدامك وشربنا وعلمت فى شوارعنا » هؤلاء — كما يظن — هم الذين إتكلوا على أنهم أعضاء فى المدينة المسيحية ، وظنوا أن هذا كل ما يلزمهم ، مع أنهم لا يختلفون عن الوثنيين البائسين الجهال العميان !! . فمن له المدينة المسيحية قد لا يكون مسـيحياً حقيقياً . نعم ربما يكون متمتعاً بمزايا مسيحية ، وعائشاً فى القلعة المسيحية التى بناها قبله الآخرون ولكن هذا ليس سبباً للقناعة والاكتفاء . إذ يواجهنا دائماً السؤال المقحم المفحم : « ماذا عملت لتحافظ على تراثك الروحى ؟ وماذا عملت لتزيد وتنمو ؟ إنك لا يمكن أن تعيش بصلاح مستعار ، بل يجب أن نجاهد ليكون لنا الصلاح الخاص المختار .

٣ — توجد مفاجآت فى ملكوت الله . فالذين كانوا فى الأوائل فى هذا العالم قد ينحدرون إلى المؤخرة فى العالم الآتى . قيل عن امرأة أنها كانت تعيش فى بحبوحة العيش ، فى إسراف وترف وكرامة وسلامة فى هذا العالم ، وعندما فارقت الحياة ووصلت الى السماء ، أتى ملاك ليريها مكانها فى السماء . مر بها على قصور شاهقة منيفة ، ومنازل رائعة منيعة ، وكانت تفكر أن مسكنها سيكون فى واحد مما رأته . لكن الملاك عبر بها مشارف السماء وتجاوز قصورها ، وأتى بها الى الضياع والقرى ذات المساكن الصغيرة التى هى أصغر وأقذر من الأكواخ الحقيرة . وأشار الملاك على واحد منها قائلا لها : « هذا مسكنك » فأجابت المرأة وهى فى تجهم وأسى : « ماذا ؟ .. هل هذا مسكنى .. سوف لا أستطيع السكن فى هذا المكان .. » .. وعندئذ نظر إليها الملاك وقال : « آسف .. هذا هو المسكن الذى استطعنا أن نعده لك بما أرسلت من مال ومواد وأنت على الأرض » !! . نعم .. إن مقاييس السماء تختلف عن معايير الأرض .. ومن كان الأول على الأرض قد يكون الأخير فى السماء ، والآخرون قد يكونون الأوائل .

الشجاعة واللطف

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ لَهُ اخْرُجْ وَاذْهَبْ مِنْ هٰهُنَا لِأَنَّ هِيرُودُسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ . فَقَالَ لَهُمْ امْضُوا وَقُولُوا لِهٰذَا الثَّعْلَبِ هَا أَنَا أُخْرِجُ شَيَاطِينَ وَأَشْفِى الْيَوْمَ وَغَداً وَفِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ أُكَمَّلُ . بَلْ يَنْبَغِي أَنْ أَسِيرَ الْيَوْمَ وَغَداً وَمَا يَلِيهِ

لِأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجاً عَنْ أُورُشَلِيمْ . يَا أُورُشَلِيمْ يَا أُورُشَلِيمْ يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاء وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا . هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً . وَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتٌ تَقُولُونَ فِيهِ مُبَارَكٌ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ .

(لوقا ١٣ : ٣١ — ٣٥)

يعتبر هذا الفصل من أجمل وأروع ما كتب عن المسيح له المجد ، وذلك لأنه يرينا مشهداً من أبدع وأوضح المشاهد التى تظهر شخصيته الحقيقية .

(١) نرى فى هذا الفصل أن بعض الفريسيين — وربما يدعونا ذلك إلى العجب والدهشة — كانوا أصدقاء ليسوع ، وأغرب من ذلك أن بعضهم أتى محذراً إياه من خطر أمامه وعليه أن يفتش لنفسه عن مخرج ونجاة . إن الأناجيل بلا شك — تظهر لنا وجهة نظر واحدة لجماعة الفريسيين لكننا بشيء من التدقيق والإمعان نجد أن منهم من هو صالح ومن هو طالح . وقد قسم اليهود الفريسيين إلى سبعة أنواع :

١ — فريسيو الكتف The shoulder pharises وهم الذين يرتدون علامة أعمالهم الصالحة على أكتافهم لكى يراها كل الناس .

٢ — الفريسيون المنتظرون .. وهم الذين يجدون عذراً مقبولا لخلع الأعمال الحسنة إلى الغد .

٣ — الفريسيون المرضوضون (الذين سال دمهم) وهم الذين يرفضون الـكلام مع أى أمرأة فى الشارع ولو كانت زوجة أو أماً أو أختاً . وأكثرهم من زاد على هذا ، فإذا لمح أمرأة فى الشارع أسـدل جفنيه بسرعة فائقة حتى لا يراها ، ويظل مغمضاً عينيه حتى يصطدم بالحائط فيسيل منه الدم ثم يظهر هذه الجروح بعد ذلك علامة أكيدة على التقوى المتزايدة .

٤ — الفريسيون المدققون .. وهم المسنمون أى الذين يسيرون فى انحناء متكلف وفى تواضع وإذلال ممجوج ، حتى تنحنى ظهورهم وتصير مثل سنمة الجمـل .

٥ — الفريسيون الحسابون أو التجاريون أى الذين يعددون حسناتهم فى ورقة ميزانية كمن يربح أو يخسر مع الله .

٦ — الفريسيون الجبناء .. وهم الذين يخافون من غضب الله وزجره حتى تصير ديانتهم لهم رعباً لا عزاء .

٧ — الفريسيون الذين يحبون الله .. وهم يمثلون إبراهيم إذ أنهم عاشوا بالإيمان والإحسان .. وقد نجد فى كل سبعة من الفريسيين واحداً من هذا النوع .. وعلى كل فإننا نرى فى هذا الفصل بعض الفريسيين الذين كانوا يعجبون بيسوع ويحترمونه .

(ب) يرينا هذا الفصل أيضاً كلام يسوع مع ملك ، فقد أراد هيرودس أنتيباس ملك الجليل أن يوقف عمل يسوع لذلك شبهه يسوع بالثعلب . وكان الثعلب يمثل الفـكر اليهودى فى ثـلاثة أوجه ، فهو أولا أمكر الحيوانات ، وثانياً أكثرها تخريباً وثالثاً يمثل الرجل عديم القيمة .. أجل .. إن من يقول على الملك إنه ثعلب يـكون أشجع الرجال بحق . قيل عن لا يتمر Latimer إنه كان يعظ ذات مرة فى دير وستمنستر بينما كان الملك هنرى بين السامعين ، فناجى

لا يثمر نفسه بالقول« لا يثمر .. لايثمر.. لايثمر.. إنتبه لما تقول فإن ملك إنجلتراهنا»!!. وهكذا تكررت مناجاته لنفسه فأردف قائلا « يالايتمر .. يالايتمر .. انتبه لما تقول فإن ملك الملوك هنا » !! أما يسوع فتمم خدمته فى أمانة كاملة وصراحة مستكملة وشجاعة مطلقة غير مكترث بإرضاء الملك أو غضبه منه .

(ج) نرى أيضاً فى هذا الجزء حزن يسوع العميق على أورشليم .. نعم .. لقد تمكن حب المدينة من قلبه من خلال زياراته المتكررة لها . . ولو أن الأناجيل الثلاثة لم تظهر شيئاً يذكر أو أية إشارة لهذه الزيارات ، وذلك لأنها تقدم لنا بعض المشاهد أو اللقطات من حياة يسوع ولا تروى كل شيء . لكن أشد وأصعب الأمور إيلاما للنفس أن تحب شخصا يرفض محبتك، وأن تهب قلبك لإنسان لا يعرف قيمة هذا القلب فيكسره . وهذاماحدث ليسوع فى أورشليم ، وهو مايحدث ليسوع كل يوم بالنسبة للذين يرفضونه .. إن من يرفض محبته لله يخسر أعظم خسارة ويتركز عليه غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم .

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ عَشَرَ

أمام الأعداء

وَإِذْ جَاءَ إِلَى بَيْتِ أَحَدِ رُؤَسَاء الْفَرِّيسِيِّينَ فِي السَّبْتِ لِيَأْكُلَ خُبْزاً كَانُوا يُرَاقِبُونَهُ . وَإِذَا إِنْسَانٌ مُسْتَسْقٍ كَانَ قُدَّامَهُ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَكَلَّمَ النَّامُوسِيِّينَ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلاً هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السَّبْتِ . فَسَكَتُوا فَأَمْسَكَهُ وَأَبْرَأَهُ وَأَطْلَقَهُ . ثُمَّ أَجَابَهُمْ وَقَالَ مَنْ مِنْكُمْ يَسْقُطُ حِمَارُهُ أَوْ ثَوْرُهُ فِي بِئْرٍ وَلاَ يَنْشِلُهُ حَالاً فِي يَوْمِ السَّبْتِ . فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُجِيبُوهُ عَنْ ذٰلِكَ .

(لوقا ١٤: ١ — ٦)

توجد فى الأناجيل سبع حوادث شفى فيها يسوع مرضاه. فى السبت . وفى إنجيل لوقا رأينا يسوع يشفى حماة بطرس فى يوم السبت (لو ٤ :٣٨) والرجل صاحب اليد اليابسة (لو٦:٦) والمرأة المنحنية لمدة ثمانى عشرة سنة (لو١٣:١٤). وأضاف يوحنا إلى هذه شفاء المفلوج عند بركة بيت حسدا (يو٥:٩) والرجل المولود أعمى (يو٩:١٤). ثم أضاف مرقص إلى كل هذه شفاء الرجل الذى كان به روح نجس فى كفر ناحوم (مر١:٢١) .

وكنا نظن أن شخصا يصنع كل هذه العجائب العجاب والمعجزات الخوارق لا بد أنه يسبي أفئدة الجميع ويتربع ملكا على قلوب الكل . ولكن الحقيقة المرة أن كل حادثة من هذه لم تنل من الكتبة والفريسيين إلا عداءاً أكثر ليسوع ، واقتناعا أعمق بأنه يشكل خطراً جارفا ويجب أن يوقف عند حده . وذلك لأنهم — بمقتضى تقاليدهم — حسبوا يسوع كاسراً للشريعة التي توصي بعدم العمل يوم السبت إذ اعتبروا أن شفاء المرضى في السبت عمل قانوني .

وبهذه المناسبة استدعاه فريسي ليأكل طعاما في يوم السبت . وكان للشريعة اليهودية أنظمة مطولة عن تناول الطعام في السبت ، فمثلا ، لا يعد الطعام في السبت لأنهم يعتبرون الإعداد عملا ، بل يفضلون الإعداد يوم الجمعة . واذا لزم الأمر أن يحفظ الطعام ساخنا عليهم أن يحفظوه بطريقة ما حتى لا يعد ثانية . كما كانت لهم وجهات نظر وآراء متعددة حول عملية حفظ الطعام ، فمثلا : « لا يحفظونه في أواني الزيت ، أو في السباخ ، او الملح ، أو الجير ، أو الرمل إن كان لينا أو جافا ، أو القش ، أو قشر العنب ، أو الخضروات إن كانت رطبة أو جافة . بل يضعونه ملفوفا في ثياب ، أو وسط مجموعة من الفاكهة ، أو ريش حمام ، أو ملفوفا في حبال من كتان » . واعتبر الكتبة والفريسيون هذه التعليمات لازمة وضرورية لحفظ الشريعة.. لذلك لا غرابة في عدم فهمهم لأفكار يسوع !! .

وقد جعل الفريسيون المستسقي في بيت صاحب الوليمة حتى يروا ماذا يعمل معه يسوع . وكلمة « يراقبونه » هنا تعني « مرورهم بمناظر سيئة » وبنفس المعنى كان يسوع تحت مراقبتهم . أما يسوع فبكل جرأة كاملة وبدون أدنى تردد شفى الرجل ، إذ أنه أدرك ما كانوا يفكرون فيه ، وأنظمة شرائعهم ، وطرق ممارستها . وكانت الآبار المكشوفة تنتشر في كل ربوع فلسطين وقتئذ ، ولهذا

كانت المواشى وغيرها تسقط فى تلك الآبار (خر٢١ : ٣٣) وفى الحال يخرجون الحيوان الذى سقط لئلا يهلك . لذلك سألهم يسوع : كيف تبيحون لأنفسكم إنقاذ حيوان فى السبت ولا تستحلون إنقاذ رجل مريض فى اليوم نفسه ؟

وبين ثنايا هذا الفصل نرى أموراً كثيرة عن يسوع وعن أعدائه .

١ — نرى صفاء حياة يسوع ، اذ لا يوجد شىء أصعب فى الحياة على الإنسان من أن يكون تحت مراقبة وانتقادات دائمة ، اذ يفقد الإنسان أعصابه ويرتبك بل يرتكب أخطاء عديدة لأنه فى حالة ليست طبيعية . أما يسوع فقد تمتع بصفاء هادىء وهدوء صاف وسط هذه جميعها وها هو يدعونا لنكون مثله .

٢ — لم يرفض يسوع يوماً دعوة ضيافة ما ، ولم يقطع الرجاء من أحد ، فقد كان يرغب بغيرة واجتهاد فى تجديدهم حتى لا ينقطع رجاؤهم . لذلك لم يدع فرصة إلا واقتنصها ولم يترك باباً إلا وطرقه ، فلقد دعى الجميع حتى الأعداء . إذ لا يمكن أن نجعل من أعدائنا أصدقاء لنا إن كنا نحجم عنهم ونرفض مقابلتهم والتحدث معهم .

٣ — إن أغرب ما نراه فى الفريسيين هو تعقيدهم الأمور للناس ، ويذهبون إلى أبعد حد وإلى أنأى أمد من أجل تنفيذ شرائعهم الدينية وأنظمتهم المختلفة . لدرجة أن تخفيف متاعب شخص فى يوم السبت ، خطية عظمى فى أعينهم ، بينما إن كان للإنسان صــلاة واحدة يرفع من أجلها أكف الضراعة إلى الله هى صلاته : « يارب أعطنى روح مشاركة الآخرين » .

كما أن أعظم شىء ينغص على المجتمع حياته ويكدر صفوه ويهدد أمنه وسلامه هو الأشياء التافهة التى لا تعتبر فمعظم النار من مستصغر الشرر . ولا عجب فالتوافه تفرق بين الإنسان وأخيه ، وتخلق من الحبة قبة ومن اللاشىء

كل شيء ، بيد أننا لو وضعنا الأمور المهمة أولا لأخذت كل الأشياء أماكنها الطبيعية .. ولتكن المحبة أولا .

ضرورة التواضع

وَقَالَ لِلْمَدْعُوِّينَ مَثَلاً وَهُوَ يُلاَحِظُ كَيْفَ اخْتَارُوا الْمُتَّكَآتِ الأُولَى قَائِلًا لَهُمْ . مَتَى دُعِيتَ مِنْ أَحَدٍ إِلَى عُرْسٍ فَلاَ تَتَّكِئْ فِي الْمُتَّكَإِ الأَوَّلِ لَعَلَّ أَكْرَمَ مِنْكَ يَكُونُ قَدْ دُعِيَ مِنْهُ . فَيَأْتِيَ الَّذِي دَعَاكَ وَإِيَّاهُ يَقُولَ لَكَ أَعْطِ مَكَانًا لِهذَا . فَحِينَئِذٍ تَبْتَدِئُ بِخَجَلٍ تَأْخُذُ الْمَوْضِعَ الأَخِيرَ . بَلْ مَتَى دُعِيتَ فَاذْهَبْ وَاتَّكِئْ فِي الْمَوْضِعِ الأَخِيرِ . حَتَّى إِذَا جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ يَقُولُ لَكَ يَاصَدِيقُ ارْتَفِعْ إِلَى فَوْقٍ . حِينَئِذٍ يَكُونُ لَكَ مَجْدٌ أَمَامَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَكَ . لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ .

(لو ١٤ : ٧ — ١١)

إختار السيد المسيح هنا مثلا من الحياة اليومية ليرسم بذلك حقيقة « أبدية » رائعة ، فقال : « إن أتى رجل فى وليمة مامبكراً واحتكر مكان الصدارة فى مقعده ، وأتى بعده من هو أفضل منه ، يأتى صاحب الوليمة ويقول للأول أعط مكاناً لهذا ، فيبتدىء بخجل يأخذ الموضع الأخير وإن اتخذ إنسان الموضع الذى

لا يليق بكرامته لا بد أن صاحب المكان سيدعوه إلى مكان أعظم فيكون له كل الاكرام . أجل . . إن التواضع هو الذى يخلق عظماء الرجال . . فلقد اشتهر توماس هاردى Thomas Herdy وذاع صيته حتى كانت الجرائد تتمنى أن تنشر أشعاره مقابل أن تدفع له مبالغ طائلة ، لكنه تعود عندما يرسل أشعاره أن يكتب فى مذكرة معه « الرجا رد هذا ثانية إن كان لا يحوز القبول » فقد كان متواضعا بحق فى عظمته ! . وهناك قصص كثيرة عن تواضع الرئيس كيرنس Cairns الذى اعتاد أن لا يصعد على منصة أولا أو يدخل مكانا فى المقدمة ، بل كان يقول لمن معه دائما « أنت أولا وأنا بعدك . ومرة صعد منصة واستقبلوه بالتصفيق ، فتوقف فجأة واستدعى من كان معه ليصعد أولا وصفق حوله ، فلقد أراد أن يكون الترحيب والهتاف للرجل الآخر .

وعلينا أن نحتفظ بالطريقتين التاليتين :

١ — بأن ندرك الحقائق كما هى ونراها واضحة جلية.. فمهما عرفنا ، فلن نصل إلى مكان المعرفة وكلما اغترفنا من مناهل العلم وجلسنا عند أقدام المعرفة ، كلما أيقنا أن ما أخذناه قطرة من محيط ومهما تأملنا فى عظمة نفوسنا فعندما تقعدنا الأيام أو يدركنا المنون تسير كل الأمور كما هى وكأننا لم نكن بموجودين .

٢ — بالمقارنة بالكمال .. فإذا لمسنا الخبرة التى حزناها ينبغى أن نعرف أننا فقراء جداً فى خبرتنا . وقد قرر الكثيرون حرق نواديهم بعد يوم كان حافلا ببطولاتهم كما أصر رجال كثيرون على عدم ظهورهم ثانية بين الجمهور بعد سماعهم موسيقيا كبيراً ، وكم تواضع مبشرون عندما سمعوا أحد القديسين يتكلم . وإن كنا نقارن حياتنا الباطلة بحياة يسوع رب الحياة الصالحة ، وإن قارنا أنفسنا بلمعان قداسته ونقاء طهارته وضياء محبته التى لا لوم فيها ولا مراء ، تموت فينا كبرياؤنا وتضعف ثقتنا بأنفسنا .

وَقَالَ أَيْضاً لِلَّذِي دَعَاهُ إِذَا صَنَعْتَ غَدَاءً أَوْ عَشَاءً فَلاَ تَدْعُ أَصْدِقَاءَكَ وَلاَ إِخْوَتَكَ وَلاَ أَقْرِبَاءَكَ وَلاَ الْجِيرَانَ الأَغْنِيَاءَ لِئَلاَّ يَدْعُوكَ هُمْ أَيْضاً فَتَكُونَ لَكَ مُكَافَاةٌ . بَلْ إِذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ الْمَسَاكِينَ الْجُدْعَ الْعُرْجَ الْعُمْيَ فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ لأَنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ .

(لوقا ١٤ : ١٢ — ١٤)

تعلو هذا الفصل سيماء الفحص والبحث لأن فيه ما يتطلب معرفة الدوافع وإدراك الحوافز التى تدفعنا إلى الكرم والسخاء والإحسان والعطاء .

١ — قد يكون الدافع للعطاء إحساسنا بالواجب مجبرين ، كمن يضع درهما أسبوعياً فى صندوق العطاء لأجل بناء بيت فى السماء . وعندئذ يكون عطاءنا لله وللانسان بطريقة هى أقرب إلى دفع الضرائب منها إلى أى شىء آخر . إذ ندفع مجبرين لأننا لا نقدر أن نمتنع عن الدفع .

٢ — ربما يكون الدافع للعطاء رغبة فى المنفعة ، إذ يعتبر الإنسان عطاءه تشغيلا لماله على نسق ونظام البنوك ليحصل على فوائد أعظم وأقيم . وهــذا العطاء ما هو إلا عنوانا وبرهانا على محبة النفس والأنانية .

٣ — قد يكون الدافع للعطاء الرغبة فى الإحساس بالعظمة والتعالى . وهذا أمر الأمور وأقساها على نفس من أعطيناه ، والأفضل بكثير فى حالة كهذه

أن لا نعطى مطلقا . إذ أن العطاء هنا يدل على أن المعطى حسب نفسه فى مركز أعلى وأعطى لمن هو أدنى وأقل، بل أكثر من ذلك ربما يعطى مع عطائه كلمة ازدراء وتأفف. لذلك خير للمعطى أن لا يتقدم بالعطاء لأن رغبته فى القوة والعظمة ستكون هى الدافع وهى الهدف أيضا . وقال الربيون فى هذا الصدد إن أحسن أنواع العطاء لمن لا تعرف ، وحيث لا يعرف هو من الذى أعطى .

٤ — الإنسان أن يعطى ولا ينتظر شيئاً. إن الطريقة المثلى للعطاء ترتكز وتتركز فى قانون الملكوت وهو « إن من يعطى لينال مكافأة سوف لا يأخذ شيئا ، أما من يعطى وهو لا ينتظر شيئا ستكون مكافأته أكيدة ومؤكدة » . إن العطاء الحقيقى والأمثل هو الذى انصب على المحبة بدون حساب ، المحبة التى لا تنتظر الجزاء ولا ترجوه ، كما أعطى الله لأنه أحب العالم . لذلك ينبغى أن نعطى بهذا الروح .

وليمة الملك وضيوفه

فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْمُتَّكِئِينَ قالَ لَهُ طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزاً فِي مَلَكُوتِ اللهِ . فَقَالَ لَهُ . إِنْسَانٌ صَنَعَ عِشَاءً عَظِيماً وَدَعَا كَثِيرِينَ . وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوِّينَ تَعَالَوْا لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ . فَابْتَدَأَ ٱلْجَمِيعُ بِرَأْيٍ وَاحِدٍ يَسْتَعْفُونَ . قَالَ لَهُ ٱلأَوَّلُ إِنِّي ٱشْتَرَيْتُ حَقْلاً وَأَنَا مُضْطَرٌّ أَنْ أَخْرُجَ وَأَنْظُرَهُ . أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي . وَقَالَ آخَرُ إِنِّي ٱشْتَرَيْتُ

خَمْسَةَ أَزْوَاجِ بَقَرٍ وَأَنَا مَاضٍ لِأَمْتَحِنَهَا . أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي . وَقَالَ آخَرُ إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ فَلِذَلِكَ لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ . فَأَتَى ذَلِكَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِذَلِكَ . حِينَئِذٍ غَضِبَ رَبُّ الْبَيْتِ وَقَالَ لِعَبْدِهِ اخْرُجْ عَاجِلاً إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقَّتِهَا وَأَدْخِلْ إِلَى هُنَا الْمَسَاكِينَ وَالْجُدْعَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ . فَقَالَ الْعَبْدُ يَا سَيِّدُ قَدْ صَارَ كَمَا أَمَرْتَ وَيُوجَدُ أَيْضاً مَكَانٌ . فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ وَالسِّيَاجَاتِ وَأَلْزِمْهُمْ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي . لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أُولَئِكَ الرِّجَالِ الْمَدْعُوِّينَ يَذُوقُ عَشَائِي .

(لو ١٤ : ١٥ — ٢٤)

تصور اليهود فى مخيلاتهم وفى أذهانهم صوراً لطيفة لما يحدث عندما يتداخل الله فى التاريخ ، وعندما تأتى الأيام الذهبية . ومن بين تلك الصور بل وأروعها صورة وليمة المسيا . فى ذلك اليوم يصنع الله وليمة عظيمة لشعبه ، كما أن لوياثان وحش البحر سيكون جزءاً من الطعام . وقد قصد الرجل الذى تكلم مع السيد المسيح هذه الصورة بعينها ، وعندما تكلم عن المدعوين فى تلك الوليمة السعيدة قصد بذلك اليهود فقط . إذ أن اليهودى الحقيقى المدقق لا يحلم أبداً ولا يتخيل قط أن أممياً خاطئاً يكون ضيفاً فى تلك الوليمة المباركة . وعندئذ أدرك يسوع وعرف ما يجول بخاطره من أفكار ومعتقدات فضرب

له هذا المثل ليوقفه على الحقيقة والحق الكامل . وفى فلسطين كانوا يعلنون مقدماً عن الولائم ويوم إقامتها ، ثم يرسلون الدعاوى وينتظرون الإجابة عليها ، ولكنهم لا يحددون ساعة معينة لإقامة الوليمة . وعند حـــلول اليوم المتفق عليه ، وبعد أن يصير الإستعداد تاماً وكاملاً فى كل شىء ، يرسلون العبيد ليدعوا المدعوين وكان الرفض فى يوم الوليمة إهانة كبرى فى حق المضيف وفى هذا المثل نجد أن « السيد » هو الرب الإله « واليهود » هم المدعوون . وكانوا كل أيامهم ينتظرون يوم وليمة الرب . ولكن عندما جاء اليوم رفضوا الدعوة « والفقراء » هم الذين مثلوا العشارين والخطاة الذين رحبوا بيسوع بينما نبذه ورفضه اليهود . تجمع العشارون والخطاة من الأزقة ، كما تجمع مثلهم الأمم للوليمة السماوية حيث وجدوا مكاناً فى ملكوت الله . قال Bengel المفسر المشهور « الطبيعة والنعمة تكرهان الفراغ » فقد أتت الدعوة للأمم عندما رفضها اليهود وتركوا مائدة فارغة . وتوجد جملة فى هذا المثل أساءوا تفسيرها ، وهى قول السيد « أخرج عاجلا وألزمهم بالدخول » ، وقد استعمل أغسطينوس هذه الآية مبرراً للاضطهاد الدينى ، إذ استخدمها كأمر ملزم لا مناص منه ولا شبهة فيه بلزم الناس بالدخول إلى الإيمان المسيحى . كما أن هذا التعبير أيضاً استخدم فى الدفاع عن محاكم التفتيش التى قتلت وشردت واضطهدت من وصفوهم بالإلحاد والهرطقة . وهنا نضع آية أخرى بجانب هذه وهى « لأن محبة المسيح تحصرنا » (٢ كو ٥ : ١٤) إذ لا يوجد فى ملكوت الله إلزام غير إلزام المحبة .

كما أن المسيح تكلم بهذا المثل ضد مقاومة اليهود وتهديدهم ، فقد رفضوا دعوة الله كما كشف السيد له المجد عن المجد الذى يلحق بالخطاة والأمم الذين تخيلهم اليهود أنهم أبعد ما يكون عنه .. أجل .. إن فى هذا المثل حقاً دائماً وجديداً

إلى يومنا هذا فى كل شىء ، حتى فى الاعتذارات الواهية التى قدمها الضيوف:

١ — قال الأول : « إنى اشتريت حقلا وأنا مضطر أن أخرج وأنظره أسألك أن تعفينى لقد انتحل الادعاء بالمشغولية لسلب مطاليب الله ولرفض دعوته . ويمكن للإنسان أن ينشغل بالعالم ويتفاعل معه حتى لا يكون له وقت للعبادة أو الشركة المقدسة .

٢ — وقال الثانى « إنى اشتريت خمسة أزواج بقروأنا ماض لأمتحنها ، أسألك أن تعفينى »، لقد ادعى بوجود شىء جديدلرفض صوت المسيح له ، وهذا يحدث غالباً عندما يجد الناس مركزاً جديداً يؤخذون به ويندمجون فيه. فيرفضون العبادة من حياتهم . فعندما يمتلك إنسان سيارة « مثلا » ، يذهب ليقضى العطلة الأسبوعية فى الريف رغم تعوده أن يذهب إلى الكنيسة فى هذا اليوم . وهذه خسارة كبرى بل وأى خسارة !! .

٣ — قال الثالث « إنى تزوجت بامرأة ، فلذلك لا أقدر أن أجيء » . حقاً إن المتزوج حديثاً لم يكن يخرج للحرب ، حسب القول : « إذا اتخذ رجل امرأة جديدة فلا يخرج فى الجند ولايحمل عليه أمر ما ، حراً يكون فى بيته سنة واحدة ويسر امرأته التى أخذها » (تث ٢٤ : ٥) ومما لا شك فيه أن هذه الكلمات كانت تدور فى ذهنه . وهذه مأساة جارفة فى الحياة أن ما يسر به الإنسان يغنيه عن مطاليب الله . ولا يوجد لنا أحب من البيت ، ولكن لا يجوز استخدام البيت لمحبة الذات ، لأن أفضل معيشة هى المعيشة مع الله ، وأفضل ما فى المعيشة هى خدمة الآخرين ، وبقدر ما يذكر عن أهل البيت أنهم من أسرة الرب ومن أهل بيت الله ، بقدر ما يفوح جو البيت بعطر ذكى وبشذى سماوى خالص وبعبير قدسى ملائكى .

وليمة الملكوت

وقبل آن نترك هذا الجزء المبارك نلاحظ أن كل الفصل من عدد١ — ٢٥ عن الموائد والولائم والأعياد ، وقد اعتاد يسوع أن يشير إلى ملكوته وخدمته على أنها ولائم مباركة وأفراح وأعياد دائمة . فالملكوت السماوى ملكوت سعيد ، والدينونة الكبرى على المسيحى هى الخوف من التمتع بالوليمة . إذ يوجد تفكير فى المسيحية يريد أن ينزع ويغتصب منها لون السرور والحبور ، وقد تكلم « يوليان » ذات مرة عن الوجوه الشاحبة والصدور العريضة عند بعض المسيحيين حيث لا يرون ضياء الشمس المشرقة عليهم . كما أن ناقداً ساخراً اسمه « سوتبرن » انتقد يسوع فقال : « لقد غلبت أيها الجليلى الضعيف وأظلمت الدنيا بأنفاسك » . وقال « رسكن » الذى تربى فى مسكن ضيق حقير إن عمته حين رأته يلعب بلعبة جميلة ، أشاحت بيدها وقالت له إن هذه الألعاب ليست لطفل مسيحى. وقال العالم العظيم « ا. ب. بروث A. B. Bruce » لا أدرك أن يسوع لعب لعبته عندما كان صبياً أو ضحك عندما كان رجلا » . وقد تكلم الخطيب المشهور بسخريته وهو « وام مكريجور » «W. M. Macgregor» عن يوحنا وسلى وغلطاته لأنه أسس مدرسة فى كنجس وود بقرب برستول ورفض أن تكون بها ألعاب « لأن من يلعب وهو صغير يلعب وهو رجل». ولم تكن فيها أجازات مطلقاً ، أما ميعاد استيقاظ الأولاد فهو الرابعة صباحاً وعليهم أن يصرفوا الساعة الأولى فى الصلاة والتأملات ، وأن يصوموا يوم الجمعة إلى الساعة الثالثة بعد الظهر، وتكلم مكريجور عن هذا العمل قائلا : « إن الطبيعة تزدرى بهذه الجهالة » . لذا .. ينبغى أن نتذكر أن السيد المسيح تكلم عن مملكته كوليمة فرح دائم وسرور مقيم وأن المسيحى العابس يقاوم المسيح ومبادىء ملكوته . عرّف « لوك » الفيلسوف العظيم الضحك بأنه « مجد مفاجىء » ولا يوجد سرور محرم على المسيحى ، لأنه فى وليمة دائمة .

وَ كَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً. وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً. وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجاً لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ. لِئَلاَّ يَضَعَ الأَسَاسَ وَلاَ يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ. فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ. قَائِلِينَ هٰذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ. وَأَيُّ مَلِكٍ إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفاً. وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذٰلِكَ بَعِيداً يُرْسِلُ سَفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ. فَكَذٰلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً.

(لوقا ١٤ : ٢٥ — ٣٣)

نطق يسوع بهذه الكلمات وهو فى طريقه إلى أورشليم ، وهو عالم أنه فى

طريقه إلى الصليب، بينما افتكر الذين معه أنه فى طريقه ليملك!! ولهذا تكلم معهم بهذه الصورة بغاية الوضوح وقال: إن من يتبعه لا يسير إلى قوة عالمية ومجد، بل يجب أن يكون مستعداً للتضحية بالنفس والنفيس فى الحياة وأن يحتمل الآلام ولو آلام الصليب وينبغى أن لا نأخذ كلمات المسيح بحرفيتها، إذ أن اللغة الشرقية التى استخدمها السيد غنية بالمعانى، فعندما يخبرنا يسوع بأن نكره الأعزاء لدينا فلا يقصد الكلام بحرفيته، بل يقصد أنه لا توجد محبة فى العالم وفى الحياة تفوق محبة المسيح. ولنا حقيقتان فى هذا الفصل:

١ — قد تتبع المسيح وأنت لست تلميذاً. أى تتبع معسكر يسوع وأنت جندياً فى مملكته، وقد تكون خادماً فى خدمة مهمة وبدون أن تحمل مسئوليتها تكلم أحدهم عن شاب فقال للأستاذ: « أخبرنى فلان أنه طالب عندك أيها العالم العظيم » فأجاب الأستاذ: « ربما كان يحضر فى محاضراتى، لكنه ليس من تلاميذى ». ويوجد فرق بيّن بين من يحضر المحاضرات والتلميذ المنتظم، كالفرق بين من يحضرون الكنيسة ويترددون عليها وبين من يتبعون يسوع ويعملون مشيئته.

٢ — إن الواجب الأول للمسيحى هو أن يحسب النفقة فى إتباع يسوع؛ وربما كان البرج الذى أراد أن يبنيه ذلك الإنسان برجاً للكروم، وكان الكرم عادة يزود ببرج لمراقبة اللصوص الذين يريدون سرقة المحصول. والحقيقة أن البناء الناقص يخجل. فى أول عهد الزواج يقول الراعى: « لايدخل إلى عهد الزواج الاستخفاف، بل يكون رائده هو التفكير الناضج والاحترام المتبادل ومخافة الله »، إذ على الإثنين أن يحسبا حساب النفقـــة. كذلك المسيحى يجب أن يعلم تكاليف المسيحية إذ أنها غالية الثمن. أما من خاف من مطاليب المسيحية الغالية فينبغى أن يذكر أن لا يتممها بمفرده لأن الذى

دعاه فى هذا الطريق يسير معه خطوة بخطوة ويكون معه فى آخر الطريق ويستقبله هناك فى مجد أبدى .

الملح الفاسد

الْمِلْحُ جَيِّدٌ . وَلَكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُصْلَحُ . لاَ يَصْلُحُ لِأَرْضٍ وَلاَ لِمَزْبَلَةٍ فَيَطْرَحُونَهُ خَارِجاً . مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ

(لوقا ١٤ : ٣٤ و ٣٥)

تختلط همسات صوت يسوع الدافئة بالمحبة والمفعمة بالحنان بين الحين والحين بنبرات الوعيد والتهديد ، فعندما يكون إنسان دائم الغضب والانتقاد والشكوى لا يكون غضبه ذا معنى ، أما من كانت نبرات صوته نبرات محبة لطيفة حانية ، ونسمعه يتوعد ، فيجب أن نصغى إليه . وما يريد أن يقوله يسوع هنا : «متى فقد الشيء قيمته ، ولم يقم بالواجب الذى وجد لأجله يكون بلا منفعة فيداس بالأقدام » ويستعمل يسوع الملح هنا رمزاً للحياة المسيحية . وما هى خواص الملح المطلوبة ؟ له ثلاث خواص (فى فلسطين) .

١ — يستعمل الملح لحفظ الأشياء ، ويقول اليونان : « يضع الملح نفساً جديدة فى ما هو مائت » ويتلف الشيء بدون الملح ، ويحفظ الأشياء طازجة ، وهذا معناه أن المسيحية الحقيقية تحفظ العالم من الفساد ، والفرد المسيحى ينبغى أن يكون ضمير تابعيه ، كما تكون الكنيسة ضمير الأمة . فلا تستخدم لغة الشك فى حضرة المسيحى ولا تحكى حكايات مريبة أمامه أو يقترح اقتراحاً نابياً ، بل يكون هو الرائحة العبقة للوسط الذى يعيش فيه كما ينبغى أن تتكلم

الكنيسة ضد الفساد وأن تؤيد الحق وأن تحفظ مركزها كقاعدة للحق بدون خوف أو تردد أو ملل .

٢ — يستخدم الملح للمذاق المقبول ، والطعام بدون ملح لا يطاق . . وهكذا المسيحى يعطى مذاقاً حسناً للعالم ، بل يجب أن يكون مسروراً شجاعاً صاحب رجاء وله فرح وشفقة يعطى معنى وطعماً جديداً للحياة فى مظهرها ومخبرها .

٣ — يستخدم الملح لتسميد الأرض ، إذ أنه يجعلها أرضاً سهلة وتربة جيدة للصالح من النباتات . هكذا يجب أن يكون المسيحى ليجعل الحياة هينة لينة ليحيا حياة صالحة مباركة مبتعداً عن الشر . كلنا نعرف أناساً لا يمكن أن نفعل أشياء معينة فى حضرتهم ، كما نعرف أناساً آخرين نعمل فى محضرهم أموراً لا نجرؤ على فعلها بأنفسنا منفردين . كم من أناس نستمد من معاشرتهم الإقدام والبهجة والصلاح .. أجل إن على المسيحى أن يحمل معه فى كل مكان أنساماً عليلة نقية سماوية فيها تزدهر الأشياء الجميلة ، وتندثر الأفعال الشريرة العالمية .

هذا هو عمل المسيحى ووظيفته بل شغله الشاغل فى الحياة ، ولو فشل فى عمله هذا لما وجدت أسباب مطلقاً لوجوده وعيشه . وفى التدبير الإلهى نرى أن ما لا لزوم له يجلب الخراب .. من له أذنان للسمع فليسمع .

الأَصْحَاحُ الخَامِسُ عَشَرَ

فرح الراعى

وَكَانَ جَمِيعُ العَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ. فَتَذَمَّرَ الفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ هٰذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ. فَكَلَّمَهُمْ بِهٰذَا الْمَثَلِ قَائِلاً. أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ وَأَضَاعَ وَاحِداً مِنْهَا أَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَذْهَبَ لأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ. وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحاً. وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلاً لَهُمْ افْرَحُوا مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالَّ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هٰكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارّاً لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ.

(لوقا ١٥ : ١ — ٧)

لا يوجد أصحاح فى العهد الجديد معروف للكل ومحبوب من الجميع مثل لوقا ص ١٥ ، فقد قيل عنه « إنه إنجيل بداخل إنجيل » ، ولا عجب من ذلك

فقد احتوى على الحقيقة الكاملة والنقية من بين الأخبار السارة التى أتى بها ربنا يسوع .

وقد أتت أمثال المسيح نتيجة حوادث ثابتة ، فقد كان مما أثار الكتبة والفريسيين أن يسوع صادق وأحب أناساً خطاة كما سماهم أهل الرأى وقتئذ ، حيث وصف الفريسيون الجماعة التى لا تحتفظ بالناموس بأنهم «شعب الأرض» وكان هناك حاجز وفارق عظيم بين الطبقتين حتى أن الذى يزوج ابنته لواحد من أبناء الأرض ينظر إليه الجميع كمن رمى ابنته بين أنياب أسد . وقد نظم الفريسيون لائحة تبرهن على نظرتهم لهؤلاء الناس ، وهذا نصها : « لا تودع مالك لدى واحد من شعب الأرض ولا تقبل منه شهادة . لا تأتمنه على سر ولا تقيمه وصياً على يتيم . لا تجعله أميناً على مال لأغراض خيرية ولا ترافقه فى رحلة ما » . كما على الفريسى أن لا يستضيف أياً منهم ولا يكون هو ضيفاً عنده ، لا يتعامل معـــه ولا يشترى منه أو يبيع له ، وخلاصة ما يقال بهذا الصدد إن الإبتعاد عن شعب الأرض هو محور الفكر الفريسى ومركزه وذلك لأنهم لم يراعوا القوانين ولم يحفظوا الشرائع وتفسيرها . ومما سبق نستطيع أن نتخيل وأن ندرك مقدار الصدمة العنيفة التى هزت كيانهم بجملته عندما أبصروا يسوع يصطحب ويشارك هذه الهيئات النكرة والنجسة بل يجلس ويأكل مع هذه الطبقات الدنيا . وعندما نتذكر ما قاله اليهود فى هذا الشأن نستطيع أن نفهم أمثال السيد له المجد ، قالوا : « إنه يوجد فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب » ولكن « يوجد فرح فى لسماء بخاطىء يجيىء قدام الله كمذنب » . لقد نظروا إلى هلاك الخاطىء لا إلى خلاصه .

ولهذا أخبرهم يسوع بمثل الخروف الضال الذى يختتم بفرح الراعى الذى يجعل الكلمات كحروف ذهبية مضيئة. كان عمل الراعى فى اليهودية عملا شاقاً للغاية

وخطراً جداً، فالمراعى نادرة ، والسهول ضيقة ، لذلك اضطر الراعى أن يتسلق عبر سفوح الجبال ، وأن يضرب أميالا متعددة فى الصحارى والبرارى المخيفة والمتسعة ، فتعرضت الغنم للضياع إذ لا حواجز تحدها أو حدود تمنعها وما أجمل الكلمات التى كتبها جورج آدم سميث عن الراعى حيث قال : « إنه لا ينام بل يتكىء طوال الليل على عكازه يراعى غنمه ويرعاها لئلا تأكلها الضباع الصارخة فى سكوت الليل البهيم ، وهو يتألم من ثلج الشتاء أحياناً ومن قيظ الصيف تارة من أجل خرافه المتناثرة ، ولكل منها طابعه الخاص على قلبه ، لذلك شبه الناس ملوك الأرض كالرعاة ، والراعى يمثل العناية وضرب السيد المسيح به المثل فى البذل والتضحية » . والراعى مسئول عن قطيعه ورعيته ، فإذا ضاع منها عليه أن يبحث جاهداً حتى يجد فروته ثم يضعها على حائط بيته ليعرف كل الناس كيف مات هذا الخروف !! وكم يسافر الراعى متعقباً آثار خروفه على التلال والهضاب الممتدة الشاسعة وهـــو يضع نفسه عنه . وأحياناً كانت كل قطعان القرية تجتمع فى قطيع واحد كبير ، يحرسها راعيان أو ثلاثة بالتناوب ، وعندما يضل واحد من الخراف من راع معين منهم ، يرجع الباقى بكل القطيع إلى القرية مخبرين بما حدث ، تاركين الراعى على الجبال يفتش على خروفه الضائع، وعندئذ ينتظر كل أهل القرية. وعندما يرونه عائداً أدراجه إلى القرية حاملا الخروف الضال يهتفون طرباً وفرحاً شاكرين الراعى الأمين . وهذه هى الصورة التى أبرزها يسوع عن الله الذى يفرح بخاطىء واحد يتوب، وقد قال أحد القديسين : « إن الله يعرف جيداً الفرح بعودة الأشياء المفقودة ».

ومن كل هذا نخرج بحقيقة لا ريب فيها ولا شبهة ، أن الله أكثر شفقة وعطفاً وحنواً من الإنسان . لقد نظر الفريسيون إلى العشارين والخطاة — كما رأينا — كأنهم من سقط المتاع ، ولا يستحقون إلا الفناء والهلاك ، لكن الله

ينظر من زاوية أخرى بعيدة كل البعد عن وجهة النظر البشرية السطحية البلهاء، إذ لا يقطع الرجاء بإنسان ما . نعم .. إن الله يحب الذين لم ينصاعوا وراء زخرف العالم وبهرجته وضجيجه، لكنه يمتلئ فرحاً بعودة الضال إليه . إن الرجوع إلى بيت محبة الله أسهل بكثير من العودة إلى انتقادات البشر اللاذعة القاسية .

الدرهم المفقود

أَوْ أَيَّةُ امْرَأَةٍ لَهَا عَشَرَةُ دَرَاهِمَ إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَماً وَاحِداً أَلاَ تُوقِدُ سِرَاجاً وَتَكْنُسَ الْبَيْتَ وَتُفَتِّشَ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ . وَإِذَا وَجَدَتْهُ تَدْعُو الصَّدِيقَاتِ وَالْجَارَاتِ قَائِلَةً افْرَحْنَ مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ . هكَذَا أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ .

(لوقا ١٥ : ٨ — ١٠)

إن الدرهم في هذا المثل درهم فضي يساوي ٩ بنات (حوالى ١٣ قرشاً) وإذا نظرت إلى بيت فلاح فلسطيني وجدت أنه مظلم رطب تضيئه نافذة صغيرة لا يزيد عرضها عن قدم ونصف، أما أرضية البيت فهي مغطاة بالأتربة والقش، ومن الواضح أن درهماً يسقط في حجرة كهذه بأرضية كتلك التي تكلمنا عنها من الصعب جداً إيجاده . إذ أنك تبحث عنه كمن يفتش على إبرة رفيعة وسط

بيدر ضخم من الدريس . وما على المرأة إلا أن تكنس البيت لعل الدرهم يظهر سواء بلمعانه أو برنينه عندما يتساقط . فتشت المرأة باجتهاد لأسباب فى نفسها منها :

١ — بالنسبة للحاجة إليه .. فهو أجر عامل فلسطينى فى اليوم الواحد .. وقد كانت عيشة القوم وقتئذ عيشة الكفاف والفقر المدقع لدرجة الموت جوعاً . لذا على المرأة أن تتعب حتى تجده لتنجو العائلة من الجوع .

٢ — كما أن هناك سبباً آخر أقوى من الأول وأكثر شاعرية وعذوبة ، فقد كانت المرأة المتزوجة فى فلسطين تغطى رأسها بغطاء به عشرة دراهم من الفضة تنظم وتصفف معاً بواسطة سلسلة ذهبية ، وعلى البنت أن تسعى منذ نعومة أظفارها لتمتلك الدراهم المطلوبة حتى عندما يحل وقت الزواج تكون قد امتلكت الغطاء والدراهم الفضية فتكمل سعادتها ولا تضطر للاستعارة من الخارج . وربما كان الدرهم المفقود واحداً من العشرة الدراهم المطلوبة ، لذلك بحثت عنه كما تبحث المرأة اليوم عن خاتم زواجها المفقود ، وكم تفرح ويرقص قلبها طرباً عندما تحتوى الدرهم بين أصابعها ثانية وهى تضغط عليه بكل قواها فى دفء وحنان بالغ. لذا قال يسوع إن الملائكة تتهلل فرحاً بخاطىء واحد يتوب كمثل فرح العائلة بالدرهم الذى يطرد عنهم غائلة الجوع ، ومثل فرح المرأة التى وجدت درهماً هذا الذى يقيم عندها بالشىء الكثير . وهذه هى الصورة الرائعة لإلهنا ، بل اللحن الجميل الذى يتردد صداه فى كل جنبات السماء منبعثاً من قلب الله المحب ، الذى لم يدركه أو يتصوره أى فريسى مدقق ، عندئذ قال أحد علماء اليهود « لم يوجد شىء جديد مثل هذا الذى علم به يسوع ، أن يبحث الله عن الإنسان بهذه الصورة » . ربما يتفق ويوافق اليهودى أن الله يقبل الخاطىء الذى يأتى إليه خاشعاً ضارعاً متذللا ، لكنه لن يقتنع أبداً بأن الله يفتش عن

خاطىء أثيم . مجداً لله .. إن ما يكال هامتنا مجداً ونخراً هو أننا نؤمن بمحبة الله الباحثة المفتشة ، والتى تأنست وتجسدت فى ابن الله يسوع الذى أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك .

قصة الآب المحب

وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ٱبْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لِأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي ٱلْقِسْمَ ٱلَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ ٱلْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ ٱلِٱبْنُ ٱلْأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ. فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ ٱلْكُورَةِ فَٱبْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَٱلْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ ٱلْكُورَةِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ. وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلَأَ بَطْنَهُ مِنَ ٱلْخَرْنُوبِ ٱلَّذِي كَانَتِ ٱلْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ. فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لِأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ ٱلْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا. أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ. وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ٱبْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ فَتَحَنَّنَ

وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ . فَقَالَ لَهُ ٱلاِبْنُ يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا . فَقَالَ ٱلْأَبُ لِعَبِيدِهِ أَخْرِجُوا ٱلْحُلَّةَ ٱلْأُولَى وَأَلْبِسُوهُ وَٱجْعَلُوا خَاتِمًا فِي يَدِهِ وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ . وَقَدِّمُوا العِجْلَ ٱلْمُسَمَّنَ وَٱذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ . لِأَنَّ ٱبْنِي هٰذَا كَانَ مَيْتًا فَعَاشَ وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ . فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ . وَكَانَ ٱبْنُهُ ٱلْأَكْبَرُ فِي ٱلْحَقْلِ . فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ البَيْتِ سَمِعَ صَوْتَ آلَاتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا . فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ ٱلْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هٰذَا . فَقَالَ لَهُ . أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ لِأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا . فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ . فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ . فَأَجَابَ وَقَالَ لِأَبِيهِ هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هٰذَا عَدَدُهَا وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي . وَلٰكِنْ لَمَّا جَاءَ ٱبْنُكَ هٰذَا ٱلَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ ٱلزَّوَانِي ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ . فَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ وَكُلُّ مَالِي فَهُوَ لَكَ . وَلٰكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ

لأنَّ أخاكَ هذا كانَ ميتًا فعاشَ وكانَ ضالًا فوجِدَ .

(لوقا ١٥ : ١١ — ٣٢)

ليس بالأمر الغريب أن يقال إن هذه القصة القصيرة أعظم قصة فى العالم، إذ ترى فى الشريعة اليهودية أن الأب ليس حراً فى تصرفه فى أمواله وممتلكاته وكان الإبن الأصغر يأخذ ثلثاً من مال أبيه ويأخذ الأكبر ثلثى المال (تث ٢١ : ١٧) ، وإذا أراد الأب أن ينفض يده من ارتباكات الحياة وأن يستريح من إدارة أمواله قبل موته ، عليه أن يوزع أمواله على أبنائه . لكن كم كان قاسياً وشديد الوقع جداً على نفس الأب أن يتقدم الإبن الأصغر بطلب كهذا « أعطنى القسم الذى يصيبنى من المال » . ولم يعارض الأب بل لم يتردد ، وأعطاه ما أراد ، لكنه أراد بذلك أن يتعلم الإبن درساً قاسياً إذا أصابه ضرر أو سوء . وأخذ الإبن ماله وذهب إلى كورة بعيدة تاركاً وراءه بيت الأب ، وهناك بدد وبذر ماله بعيش مسرف إلى أن وصلت به الحاجة إلى رعى الخنازير ، وبذلك تعدى الشريعة القائلة « ملعون من يطعم الخنازير » .
لكن يسوع أعطانا ماهناً به الخاطى أعظم تهنئة وألذها « ورجع إلى نفسه » ..
وبهذه العبارة التى تحمل بين حروفها كل معانى الحياة مجتمعة ، أظهر يسوع أن البعيد عن الله بعيداً عن نفسه الحقيقية ، وهو لا يمكن أن يكون ، ما يجب أن يكون عليه ، إلا عند الرجوع لبيت الآب . لم يعتقد يسوع بالفساد الكلى ولم يعتقد أيضاً أن الخاطىء يجحد الله ، لكنه اعتقد أن الإنسان عندما يرجع إلى الله يعرف نفسه حقيقة . وهكذا قرر الإبن أن يرجع لبيت أبيه وأن يتضرع ليقبل كأجير وليس كابن . والعبد المستديم قد يحب من العائلة ، أما الأجير فينصرف من البيت فى آخر النهار ، لكن الآب لم يجعل — فى محبته — الفرصة سانحة ليطلب الابن هذا الطلب ، إذ اندفع إليه قبل أن ينطق به فى

شوق جارف وفرح عظيم ، وأمر له بالحلة الأولى دليل الشرف والعزة ، والخاتم دليل السلطة المطلقة ، لأن الذى يعطى خاتمه لآخر فقد جعل منه وكيلا مفوضاً ، والحذاء دليل البنوية الكاملة إذ ليس للعبيد أحذية وقتئذ كما أنه دليل على الحرية المباركة . وهكذا صارت الوليمة التى فيها رجع الضال ، ولنا فيها من الحقائق ما يأتى :

١ — لا يقال ثانية أن هذا المثل هو مثل الابن الضال ، لأن الابن ليس بطل القصة بل يقال مثل الآب المحب ، إذ أن المثل يخبرنا عن محبة الآب أكثر من خطية الابن .

٢ — كما أن هذا المثل يظهر غفران الآب ، فقد كان الآب — رغم كل ما حدث — يتوقع رجوع ابنه بل ينتظره بلهف وشوق لذلك رآه من بعيد ، وغفر له عندما رجع ولم يعامله كعمله وقد كانت طريقة الغفران كهبة أو منحة أبوية شاملة ، أما الناس فإنهم يقابلون مساوىء الغير بأخرى أشد وأدهى وأشر ، وقد سئل « لنكولن » مرة كيف يعامل أهل الجنوب عند خضوعهم وانضمامهم للولايات المتحدة ، وافتكر السائل أن يكون عقابهم شديداً أما هو فقال : « أعاملهم كأنه لم يحدث منهم انشقاق بالمرة » والعجيب أن الله يعاملنا هكذا !!

لم تقتصر القصة على هذا الحد بل أرتنا الابن الأكبر يحضر من الحقل ويغضب بل يحزن لأن أخاه رجع إلى بيت العائلة، والابن الأكبر يشبه الفريسيين أصحاب البر الذاتى الذين يودون هلاك الخاطىء أكثر من رجوعه . وهنا تبرز عدة ملاحظات عن الإبن الأكبر :

١ — كان موقف الابن الأكبر — عندما كان مطيعاً مقيما فى بيت الآب — فى محبة الواجب لا فى محبة الخدمة .

٢ — لم تكن هناك أية عاطفة فى موقفه الذى اتخذه مع أخيه الأصغر ، ولم يذكره كأخ بل قال لأبيه « ابنك هذا » ، لقد امتلكه البر الذاتى حيث يريد أن يلقى الآخرين فى حفرة .

٣ — كانت عقلية الابن الأكبر جامدة ، فلم تعرف ولم تذكر كلمة « زوانى » إلامن فمه وكأنه يصف أخاه بالخطايا التى يرغب هو أن يرتكبها .

وهنا نجد الحقيقة الرائعة المدهشة أن رحمة الله تسعنا عند اعترافنا أكثر مما تسعنا البشرية طراً . إن رحمة الله تظهر فى قضائه أكثر من أصحاب البر الذاتى ، وعندما نرفض ونرذل من البشر نجد أن الله يرحب بنا غافراً لنا حانياً علينا . وفى ضوء محبة الله لا يسعنا إلا أن نسير فى ركابها ونحن ننظر إلى ذاك الذى غمرنا بمحبة ورحمة فياضة مباركة ، شاكرين إياه متعبدين مكرسين الكل له .

ثلاث حقائق مفقودة :

تقرر الأمثلة الثلاثة شيئاً واحداً ولكن فيها اختلافاً ، فقد ضل الخروف لجهله الواضح ، وهكذا يضل الانسان بدون أدنى تفكير ، لكنه لو فكر بعقله ولو قليلا لما ضل أو أخطأ . وقد ضاع الدرهم بدون قصد منها ، وكذلك يضل الكثيرون ، لكن الله لا يترك إنساناً يسير فى ضلالة آخر . ولقد أدار الإبن الأصغر ظهره لأبيه ، لكن محبة الله اللانهائية واللامحدودة تنتصر على جهالة الإنسان وحماقته ، وتحميه من أصوات التجارب التى تريد أن تغويه لتبتلعه ، وتحفظه من ثورات قلبه الثائر المستعر .

الأصحاح السادس عشر

المثل الصالح للرجل الشرير

وَقَالَ أَيْضاً لِتَلاَمِيذِهِ كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ لَهُ وَكِيلٌ فَوُشِيَ بِهِ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يُبَذِّرُ أَمْوَالَهُ. فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ مَا هٰذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْكَ. أَعْطِ حِسَابَ وَكَالَتِكَ لِأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ وَكِيلاً بَعْدُ. فَقَالَ الْوَكِيلُ فِي نَفْسِهِ مَاذَا أَفْعَلُ. لِأَنَّ سَيِّدِي يَأْخُذُ مِنِّي الْوَكَالَةَ. لَسْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْقُبَ وَأَسْتَحِي أَنْ أَسْتَعْطِيَ. قَدْ عَلِمْتُ مَاذَا أَفْعَلُ حَتَّى إِذَا عُزِلْتُ عَنِ الْوَكَالَةِ يَقْبَلُونِي فِي بُيُوتِهِمْ. فَدَعَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ مَدْيُونِي سَيِّدِهِ وَقَالَ الْأَوَّلِ كَمْ عَلَيْكَ لِسَيِّدِي. فَقَالَ مِئَةُ بَثِّ زَيْتٍ. فَقَالَ لَهُ خُذْ صَكَّكَ وَاجْلِسْ عَاجِلاً وَاكْتُبْ خَمْسِينَ. ثُمَّ قَالَ لِآخَرَ وَأَنْتَ كَمْ عَلَيْكَ. فَقَالَ مِئَةُ كُرِّ قَمْحٍ. فَقَالَ لَهُ خُذْ صَكَّكَ وَاكْتُبْ ثَمَانِينَ. فَمَدَحَ السَّيِّدُ وَكِيلَ الظُّلْمِ إِذْ بِحِكْمَةٍ فَعَلَ. لِأَنَّ أَبْنَاءَ هٰذَا الدَّهْرِ أَحْكَمُ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ فِي جِيلِهِمْ. وَأَنَا أَقُولُ لَكُمُ اصْنَعُوا لَكُمْ

أَصْدِقَاءَ بِمَالِ ٱلظُّلْمِ حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي ٱلْمَظَالِّ ٱلْأَبَدِيَّةِ ٱلْأَمِينُ فِي ٱلْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضًا فِي ٱلْكَثِيرِ . وَٱلظَّالِمُ فِي ٱلْقَلِيلِ ظَالِمٌ أَيْضًا فِي ٱلْكَثِيرِ . فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَالِ ٱلظُّلْمِ فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى ٱلْحَقِّ . وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلْغَيْرِ فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ . لاَ يَقْدِرُ خَادِمٌ أَنْ يَخْدُمَ سَيِّدَيْنِ . لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ ٱلْآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ ٱلْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدُمُوا ٱللهَ وَٱلْمَالَ .

(لوقا ١٦ — ١ — ١٣)

مما لا شك فيه أننا نجد صعوبة كبيرة فى تفسير هذا المثل لأن فيه رجلا اختار ونهج طرق الاحتيال من كل ناحية ، ومع أن الوكيل كان عبداً فقد امتلك كل ما لسيده بين يديه . وكان أصحاب الأراضى — وهم السادة فى فلسطين — يتغيبون فترات طويلة عن أماكن ضياعهم ، وربما كان هذا السيد من هؤلاء ، فصارت كل مصالحه وأمواله بين يدى وكيله الذى اتبع خطة السرقة والذى صار على مثاله المدينون حتى مزقوا الصكوك .

وكان يتفق على الحساب قبل الإيجار ليدفع لصاحب الأرض لا نقداً بل عيناً كما هو متبع فى فلسطين ، وهنا علم الوكيل أنه سيطرد من وظيفته ، فاخترع بفكر ثاقب فكرة بارعة للغش فى كشوف الحسابات حتى يدفع المدينون أقل من دينهم بكثير . وصار لهذا العمل فعله وتأثيراته ، منها أن المدين سيصبح

مديوناً للوكيل بالشكر والعرفان وبالجميل ، والتأثير الثانى الأقوى فاعليـة هو إدخال المدينين فى فعلته الشريرة فصار من شر إلى أشر ، إذ استخدم طريقة الرشوة أيضاً بذكاء بالغ وعقل أريب . ويبدو أن السيد كان هوالآخرأعمق جذراً وأرسخ قدماً فى عملية الاحتيال ، لأنه عوضاً عن أن يتأثر ويغضب لتلك الفعلة الشنعاء ، مدح الوكيل على ما فعل لأنه صنع هذا بذكاء خارق ودهاء مارق . وتتركز صعوبة هذا المثل فيما يضعه لوقا فى ما لا يقل عن أربعة دروس :

١ — فى عدد ٨ لنا هذا الدرس « أن أبناء هذا الدهر أحكم من أبنـاء النور » وقصد بذلك أن أبناء هذا العالم يبذلون قصارى جهدهم للحصول على المال والملذات والمسرات ، ولو بذل المسيحى مثل هذا الجهد الجهيد لنيل الصلاح ولبلوغ شركة أعمق مع فاديه وخالقه لصار رجلا أفضل . ولو بذل الناس فى جهادهم الروحى مجهوداً أعظم من جهادهم المادى الذى هو شغلهم الشاغل لصاروا إلى حال ودرجة أحسن . إن الإنسان يصرف على ملاهيه مائة مرة أكثر مما ينفق فى ما لله ، ألا يجدر به أن يسمع صوت الشاعر :

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته   أتطاب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

٢ — فى عدد ٩ نهى أنه يجب استخدام المقتنيات المادية لاقتناء الصداقة الأقيم والأبقى فى الحياة ويكون هذا لسببين :

(١) لأجل الفائدة الأبدية كقول الربيين : « يساعد الغنى الفقير فى هذا العالم لكى يساعده الفقير فى العالم الآتى » ، وعلق أمبروز على الغنى الغبى الذى بنى مخازناً أوسع لكى يكدس فيها جميع غلاته وخيراته بقوله : « إن المخازن

التى تدوم إلى الأبد هى أحضان الفقراء وبيوت الأرامل وأفواه الأطفال » . وقد كان قول أمبروز تجسيما حياً لإيمان اليهود إذ اعتقدوا أن ما يحسب للإنسان فى العالم الآتى يكون بقدر إحسانه على الفقراء فى هذا العالم ، إذ أن الغنى بحق هو الإنسان الذى يعطى وليس الذى يحفظ لنفسه ، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط .

(ب) يستخدم الإنسان ماله لأجل نفسه ، أو ليجعل حياته رغدة سهلة لنفسه وللأقوبين إليه ، لكن عملا كهذا يؤثر فى المجتمع بجملته ، فكم من طالب علم فقير يحتاج إلى مساعدة غنى ميسر لكى يسير سيراً تقدمياً فى بحثه وعمله بنجاح ، وكم يشكر المحتاج من أمده بالمال فى وقت محنته . إذن ، ليس المال فى ذاته خطية ، ولكنه مسئولية ، ومن يساعد الأقربين فقط لاولن يقوم بمسئولية ما .

٣ — فى عددى ١٠ ، ١١ نجد من يقوم بعمل صغير بسيط لكنه يكون بمثابة برهان أكيد قاطع على مقدرته على العمل الكبير أو عدم مقدرته ، وهذا نجده واضحاً فى الأعمال الدنيوية ، إذ لا يمكن أن يرتقى أى إنسان إلى منصب أكبر مما هو فيه مالم يثبت أمانته ومقدرته فى منصبه ومركزه الحالى . وقد أخذ يسوع نفس الصورة وذات الوضع إلى عالم الأبدية فقال فى عدد ١٢ « فإن لم تكونوا أمناء فى ما هو للغير ، فمن يعطيكم ما هو لكم ؟ » لا تقدرون أن تأخذوه معكم بعد الموت ، لأن المال معطى لكم كقرض ، وما أنتم إلا وكلاء ، وفى السماء ستنالون ما هو أبدى وحق لكم . ولكن ما يجب أن تعلموه يقيناً هو أن ما تحصلون عليه فى السماء يتوقف على طريقة استخدامكم لما بين أيديكم من مال ومقتنيات فى هذه الحياة حيث كنتم وكلاء فقط » .

٤ — فى عدد ١٣ نرى أن العبد لا يقدر أن يخدم سيدين ، لأن السيد

يمتلك العبد ، كما أن خدمة العبد تقتصر على سيده . أما فى الوقت الحاضر فيمكن أن يقوم الإنسان بعملين أو يخدم رجلين فى أوقات مختلفة ، إذ يمكنه أن يكون كاتباً نهاراً وموسيقياً ليلا : وذلك لزيادة دخله بشغل أوقات فراغه وعندئذ يجد لذة فى عمله . أما العبد فليس لديه وقت فراغ إذ هو مكرس لخدمة سيده كل الوقت فهو لا يمتلك وقتاً لذاته ، هكذا تكون خدمة الله ، فقد يختار إنسان أن يخدم الله فى كل دقيقة من حياته وبكل قوة يمتلكها . ونحن إما أن نكون ملكا لله ، أو لا نكون .

القانون الدائم

وَكَانَ ٱلْفَرِّيسِيُّونَ أَيْضاً يَسْمَعُونَ هٰذَا كُلَّهُ وَهُمْ مُحِبُّونَ لِلْمَالِ فَاسْتَهْزَأُوا بِهِ . فَقَالَ لَهُمْ أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ تُبَرِّرُونَ أَنْفُسَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ . وَلٰكِنَّ اللهَ يَعْرِفُ قُلُوبَكُمْ . إِنَّ ٱلْمُسْتَعْلِيَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ اللهِ .

كَانَ ٱلنَّامُوسُ وَٱلأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوحَنَّا . وَمِنْ ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ يُبَشَّرُ بِمَلَكُوتِ ٱللهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ يَغْتَصِبُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ . وَلٰكِنَّ زَوَالَ ٱلسَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ نُقْطَةٌ واحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ . كُلُّ مَنْ يُطَلِّقُ ٱمْرَأَتَهُ وَيَتَزَوَّجُ بِأُخْرَى يَزْنِي . وَكُلُّ مَنْ يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ مِنْ رَجُلٍ يَزْنِي .

(لوقا ١٦ : ١٤ — ١٨)

يقع هذا الفصل فى ثلاثة أقسام :

١ — الأول يبتدىء بتوبيخ الفريسيين لاستهزائهم بيسوع وتعاليهم عليه إذ أنهم ربطوا فى أذهانهم بين الخير الزمنى والصلاح ، فافتكروا أن الثروة دليل على صلاح الإنسان ، ولهذا بدأوا فى استعراض تقواهم ، غير مدركين أن المستعلى عند الناس رجس قدام الله . ومن أردأ الأمور أن يتصور الإنسان نفسه صالحاً ، لكن الأردأ من هذا أن يشير إلى ثرائه أنه علامة لتقواه .

٢ — كانت الشريعة والأنبياء كلمة الله الثابتة والتامة قبل مجىء المسيح،أما المسيح فقد جاء ليكرز بملكوت الله،لذلك أتى العشارون والخطاة إلى الملكوت بحشود وفيرة وحاول الكتبة والفريسيون أن يقيموا العوائق والحواجز بينهم وبين يسوع ! لكن يسوع أعلن وأكد أنه لم يأت بملكوت يكمل شريعة وطقوس اليهود التى وضعوها لأنفسهم ، ولكنه جاء ليكمل جوهر الناموس . وكان اليهود قد وضعوا آلاف التفسيرات والحواشى والتعقيدات على كتب الشريعة لتكون متفقة ومتسقة ، وأفكارهم ورغائبهم،غير أن كل هذاسيبطل، أما الشريعة الأصيلة الحقيقية فلن يضيع منها شىء ، ولن يسقط منها حرف .

٣ — وتمثيلا لما أشار إليه يسوع فى ثبات الشريعة وعدم زوالها أعطانا «مثلا» عن العفة ، وكان هذا بالطبع مخالفاً لمبادىء اليهود ومعتقداتهم واعتباراتهم . لقد مجدت الشريعة الإخلاص والعفة ، وفى ذلك قال الربيون : « يستطيع الله أن ينظر إلى كل شىء ، ماعدا الزنا » وأضافوا « إن عدم العفة إزالة لمجد الله » . وقد أحب اليهودى الموت أكثر من أن يزنى أو يقتل أو يعبد الوثن ، وبالرغم من هذا كله فقد حدثت المأساة ، إذ انهار الرباط الزوجى لدرجة العدم ، واعتبرت المرأة أنها شىء من متاع البيت . وكان للمرأة أن تطلق رجلها إن أصابه برص أو ارتد عن الايمان أو اختطف فتاة وغرر

بها ، وبعد هذا لا تكون للمرأة أية حقوق ، بل وجب عليها أن تدفع قيمة مهرها عند الطلاق .

وقالت الشريعة الموسوية فى تث ٢٤ : ١ « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيباً ، يكتب لها كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويطلقها من بيته » أى أن المرأة تطلق بإرادتها أو بغير إرادتها أما الرجل فبمحض إرادته » . ويوقع شاهدان على كتاب الطلاق الذى يقول: « شهادة منى بطلاقك وإشهاداً لك أنك حرة غير مرتبطة بى برباط ما ، ويمكنك الزواج من أى رجل تريدين » . من كل هذا نفهم أن الطلاق كان أمراً سهلا للغاية .

أما إذا وجدت إختلافات واعتراضات فى تفسير سبب الطلاق، فيرجع فى هذا إلى فكر مدرستين لكبار مفسرين اليهود، الأولى مدرسة شماى «Shammai» والتى تقول : «إن الطلاق لا يتم إلا بسبب الزنى فقط » والثانية مدرسة هليل « Hillel » وهى القائلة « إن الطلاق يتم إذا أتلفت المرأة طبقاً من الطعام أو وجدت تغزل فى الطريق ، أو تكلمت مع رجل غريب ، أو تكلمت مع شخص من أهل زوجها فى حضرته بكلمات نابية ، أو كانت امرأة مشاغبة (أى يسمع صوتها بين الجيران) » . اما الربى أكيبا « Akiba » فقال : « يمكن للرجل أن يطلق زوجته إن وجدت من هى أجمل منها » . ففى أيام يسوع كانت هذه الأقوال منتشرة وذائعة ومتغلغلة فى أفكار اليهود حتى رفضت المرأة أن تتزوج ، وأصبحت الحياة العائلية فى خطر جارف يهدد كيانها وأمنها وسلامتها . ولذلك وضع يسوع قانوناً ثابتاً ودائماً لحفظ قدسية الزواج أنظر (مت ٥ : ٣١ ، ٣٢) « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى . ومن يتزوج

بمطلقة فإنه يزنى » . أى أن الطلاق لا يمكن أن يتم إلا لعلة الزنى . وربما نتعلل فنقول إن زمننا ردىء ولكن زمن المسيح كان أردأ ، فإن ضربنا بنظام الحياة العائلية عرض الحائط ، فإننا نتلف بلا منازع أركان الحياة المسيحية وكل من يعرض عن قانون يسوع ويهمله يهلك حياته بلا محال .

« قصاص الرجل الذى لم يذنب أبداً »

كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبِسُ ٱلْأُرْجُوَانَ وَٱلْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهاً . وَكَانَ مِسْكِينٌ ٱسْمُهُ لِعَازَرُ ٱلَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوباً بِٱلْقُرُوحِ . وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ ٱلْفُتَاتِ ٱلسَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ ٱلْغَنِيِّ . بَلْ كَانَتِ ٱلْكِلَابُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ . فَمَاتَ ٱلْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرٰهِيمَ . وَمَاتَ ٱلْغَنِيُّ أَيْضاً وَدُفِنَ . فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي ٱلْهَاوِيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْعَذَابِ وَرَأَى إِبْرٰهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ . فَنَادَى وَقَالَ يَا أَبِي إِبْرٰهِيمَ ٱرْحَمْنِي وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ أُصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي لِأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هٰذَا ٱللَّهِيبِ . فَقَالَ إِبْرٰهِيمُ يَا ٱبْنِي ٱذْكُرْ أَنَّكَ ٱسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ وَكَذٰلِكَ لِعَازَرُ ٱلْبَلَايَا . وَٱلْآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ . وَفَوْقَ هٰذَا كُلِّهِ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ حَتَّى إِنَّ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْعُبُورَ مِنْ هٰهُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدِرُونَ وَلاَ ٱلَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا. فَقَالَ أَسْأَلُكَ إِذاً يَا أَبَتِ أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي. لأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ. حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ ٱلْعَذَابِ هٰذَا. قَالَ لَهُ إِبْرٰهِيمُ عِنْدَهُمْ مُوسَى وَٱلأَنْبِيَاءُ. لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ. فَقَالَ لاَ يَا أَبِي إِبْرٰهِيمَ. بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ. فَقَالَ لَهُ إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَٱلأَنْبِيَاءِ وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ.

(لوقا ١٦ : ١٩ — ٣١)

بنى هذا المثل بحكمة يسوع الفائقة الخارقة ، حتى صار لكل كلمة فيه قصد خاص ومعنى معين .

لذا دعنا أن نتأمل الآن فى شخصيتين بارزتين فيه :

أولا : الرجل الغنى الذى يدعى Dives وهى الكلمة اللاتينية لكلمة « غنى » ، والذى كل كلمة فى المثل تنعته بصفات الرفاهية المتناهية ، فنجده مثلا « يلبس الأرجوان والبز » وهنا إشارة إلى نوع ملبسه وهو وصف رائع لملابس رئيس الكهنة التى تساوى فى القيمة من ٣٠ — ٤٠ جنيهاً إسترلينياً . وهو ثمن خيالى بمقارنته بأجر العامل اليومى وقتئذ الذى يساوى ٩ بنسات أو درهما واحداً كما أسلفنا القول . « وكان يتنعم كل يوم » وهنا إشارة إلى

نوع طعامه ، إذ تشير إلى البطنة والأطعمة المكلفة ، وبذلك كسر الوصية الرابعة إذ تنعم كل يوم لأن الوصية الرابعة لم تنه عن العمل فقط — انظر (خر ٢٠ : ٩)«ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك » . ولو أرسلت نظرة إلى قوم عاديين من سا كنى الريف لرأيتهم يحقسبونه خطأ ذريعاً أن يأكلوا لحما مرة واحدة فى الأسبوع ، ويعملون ويكدون ستة أيام فى الأسبوع فقط ، بينما كان عمل ذلك الغنى التنعم كل يوم . وكان لعازر ينتظر الفتات الساقط من مائدته، ولفهم هذا القول يجب أن نعلم أنه فى تلك الأيام لم يكن هناك شوك وسكاكين ومآزر كعادة اليوم ، بل كانوا يأكلون بأيديهم . وفى بيوت الأغنياء كانوا يمسحون أيديهم فى قطع الخبز ثم يطرحونها بعيداً . . ومثل هذه القطع انتظرها لعازر المسكين . . وكانت هذه صورة الترفه والبذخ والترف فى بيت ذلك الغنى .

ثانياً : نرى لعازر « Lagarus» الذى ذكر إسمه فى هذا المثل دون غيره كما أن فى كل الأمثال الأخرى لم تذكر أسماء بالمرة . وإسم لعازر أخذ من الكلمة اللاتينية « Eleayar » والتى تعنى «الله معينى » . كان شحاذاً يرتدى الأسمال البالية ، لم يعتن به أحد من الناس ولم تطرد عنه الكلاب تلك الحيوانات النجسة التى ضايقته . لقد كان لعازر بحق مثال الفقر والبؤس وعدم العناية . هذا هو المنظر الذى نراه فى العالم اليوم . . بيد أنه سرعان مايتغير فجأة إلى نور سماوى وضاء فنرى لعازر فى المجد الأسنى والغنى فى مكان العذاب .

ولنا أن نسأل ، ماهى خطية الغنى ؟ فلم يأمر لعازر يوماً ما أن يبتعد عن باب بيته ، ولم يعترض على أخذه قطع الخبز التى تسقط وتطرح من مائدته ، ولم يركله بقدمه عند مروره ، كما أنه لم يتعمد القساوة ضده . لكن خطيته هى عدم ملاحظة لعازر ، فلم يرحب به فى مكانه ، ولم يذكر جوعه وآلامه

وما يلاقيه ويعانيه من قسوة الجوع والعطش ويطش الألم والعنـاء ، ومرارة الفاقة والحرمان ، وبرودة الليل وحر النهار . قال أحـدهم ، « لم يكن ما عمله الغنى سبب البلاء الذى حل به ، بل إن الصالح الذى لم يعمله أدى به إلى جهنم » إن خطيته هى نظره إلى العالم المعذب والمتألم والمحتاج بدون أن يبدى شفقة أو رحمة وعطفاً ، وبغير أن يذوب قلبه فى داخله ، أو أن تنهمر من عينيـه عبرة واحدة ، لقد نظر إلى أخيه فى البشرية جائعاً متألماً ولم يمد يد المعونة والمساعدة. هذا هو قصاص الرجل الذى لم ينتبه أبداً .

وربما يبدو أن رفض طلب الغنى فى إرسال من يكرز لإخوته أمراً قاسياً بعض الشيء ، إذ طلب أن يرسل لهم تحذيراً قاسياً وقولا فصلا قاطعـاً لـكى لا يأتوا إلى موضع العذاب . ولـكن لو قبل النـاس حق الله ، وأبصروا بعيونهم وبصائرهم، أنه توجد أحزان فى كل مكان تحتاج إلى تعزية ،ودموع تحتاج إلى اليد التى تـكفـكف ، واحتياجات تستلزم تدبيراً وإشباعاً وآلام فى حاجة إلى من يخففها .. لو عرفوا كل هذا والتفتوا إليه لصنعوا حسناً .. لـكن عدم ملاحظتهم وانتباههم يجعل طباعهم كما هى لا يتغير . والدرس الذى نأخذه من هذا المعنى : « انه لم يعمل خطأ ولـكن خطيته أنه لم يعمل شيئاً » أى أنه كان سلبيا الى نهاية المطاف .

ٱلأَصْحَاحُ السَّابِعُ عَشَرَ

« مبادىء الحياة المسيحيّة »

وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ لاَ يُمْكِنُ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَ ٱلْعَثَرَاتُ وَلٰكِنْ وَيْلٌ لِلَّذِي تَأْتِي بِوَاسِطَتِهِ . خَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحًى وَطُرِحَ فِي ٱلْبَحْرِ مِنْ أَنْ يُعْثِرَ أَحَدَ هٰؤُلاَءِ ٱلصِّغَارِ . اِحْتَرِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ . وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ . وَإِنْ تَابَ فَاغْفِرْ لَهُ . وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي ٱلْيَوْمِ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي ٱلْيَوْمِ قَائِلاً أَنَا تَائِبٌ فَاغْفِرْ لَهُ . فَقَالَ ٱلرُّسُلُ لِلرَّبِّ زِدْ إِيمَانَنَا . فَقَالَ ٱلرَّبُّ لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهٰذِهِ ٱلْجُمَّيْزَةِ ٱنْقَلِعِي وَٱنْغَرِسِي فِي ٱلْبَحْرِ فَتُطِيعُكُمْ .

وَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ عَبْدٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى يَقُولُ لَهُ إِذَا دَخَلَ مِنَ ٱلْحَقْلِ تَقَدَّمْ سَرِيعاً وَٱتَّكِئْ . بَلْ أَلاَ يَقُولُ لَهُ أَعْدِدْ مَا أَتَعَشَّى بِهِ وَتَمَنْطَقْ وَٱخْدُمْنِي حَتَّى آكُلَ وَأَشْرَبَ وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ أَنْتَ . فَهَلْ لِذٰلِكَ ٱلْعَبْدِ فَضْلٌ لِأَنَّهُ

فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ . لاَ أَظُنُّ . كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ . لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا .

(لوقا ١٧ : ١ — ١٠)

يقع هذا الفصل فى أربعة أقسام محددة ولكنها غير مرتبطة بعضها ببعض .

١ — فى الأعداد ١ ، ٢ نرى إدانة الرجل الذى يعلم غيره ليخطىء أو الذى يعمل على إيقاع الغير فى الخطأ . والكلمة « عثرة » جاءت فى الإنجليزية « Scandal » وتعنى :

(ا) الطعم الذى فى الفخ ، الذى اذا اقترب حيوان منه وقع فى المصيدة .

(ب) أو الحفرة التى فى طريق انسان ما ، مغطاة بشىء خفيف يواريها لكى لا تبدو للناظر أنها حفرة ، وحينما تطأها قدم إنسان ، يقع فيها لا محالة . وقد أخبرنا يسوع بضرورة وجود العثرات ، ولكن ويل لمن تأتى بواسطته ، أى الذى يستغل بساطة آخر ليوقعه فى الشر ، والذى يلبى نداء الخطية لارتكاب هذا العمل المشين . ويحدثنا كندى وليمسون عن رجل عجوز كان على حافة الموت ، لكن فكراً معيناً كان يباغته فيقلقه ويعكر صفوه ، قال عنه : « لما كنت صبيا كنت ألعب فى ردهة عامة ، تقاطع طريقان فى منتصفها ، وفى بداءة التقاطع توجد لافتة للارشاد الى الطريق الصواب ، لكن أدرتها إلى الطريق الخطأ ، وكم من أناس ضلوا الطريق بسببى ، لأنهم تبعوا الإرشاد الخاطىء للافتة التى أدرتها » .. أجل إن الرب لا يبرىء الخاطىء الذى يقف على طريق الحياة ويضل الصغار والضعفاء إلى الطريق الخاطىء .

٢ — فى الأعداد ٣، ٤ يدور الحديث على ضرورة الغفران فى الحياة المسيحية

ولو إلى سبع مرات فى اليوم الواحد ، وفى هذا الصدد قال الربيون : « إن غفر أحد لمسىء ثلاث مرات يكون رجلا كاملا » . أما التعليم المسيحى فيضاعف هذا الرقم ويزيد عليه مرة ، والأمر لا يتوقف على حد أعداد حسابية ، بل المسألة ترينا مقياس الصفح المسيحى الذى يعلو عن كل مقياس عالى .

٣ — فى الأعداد ٥،٦ نجد الكاتب يركز على الإيمان كأعظم قوة فى الأرض ، وهنا نجد أن اللغات الشرقية تتكلم بوضوح كامل ، وبهذا يكون معنى القول ، إن ما يبدو أنه غير ممكن يصير ممكناً إن وجد إيمان فعلا . وفى وقتنا الحاضر ، نرى فى ميدان الطب مثلا ، ما كان من المستحيلات فى الماضى مثل العمليات الجراحية المختلفة وما شاكل ذلك أصبح الآن ممكنا بفضل تقدم الطب . ونحن إذا تقدمنا إلى عمل ماوقلنا إنه لا يمكن فعله سيصعب فعله ،أما إذا تقدمنا ولنا أمل أنه فى الإمكان قيامنا به ، سنجد الفرص التى تساعدنا على القيام به، لأنه يجب أن نعلم دائما أننا لسنا بمفردنا ، بل أن الله نفسه بكل قواته وسلطانه معنا .

٤ — تخبرنا الآيات من ٧—١٠ أنه لا يمكن أن نجعل الله مديونا لنا ، كما لا يمكن أن ندعى عليه ، فلو عملنا أفضل وأحسن ما ينبغى أن يكون ، فنكون قد قمنا بواجبنا فقط ، والواجب من مستلزمات الحياة لا غير. ولاشك إنى مدين لله بنفسى وحياتى وبكل مالدى ، فمهما فعلت فذلك من فضله ، وأكون قد قمت بأقل من المطلوب منى. ربما نستطيع أن نوفى مطالب الشريعة، ولكن ليعلم كل محب لله ، انه مهما عمل لايمكن أن يوفى كل مطالب المحبة .

الشكر القليل

وَفِي ذِهَابِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ ٱجْتَازَ فِي وَسَطِ ٱلسَّامِرَةِ

وَالْجَلِيلِ . وَفِيمَا هُوَ دَاخِلٌ إِلَى قَرْيَةٍ اسْتَقْبَلَهُ عَشَرَةُ رِجَالٍ بُرْصٌ فَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ . وَرَفَعُوا صَوْتًا قَائِلِينَ يَا يَسُوعُ يَا مُعَلِّمُ ارْحَمْنَا . فَنَظَرَ وَقَالَ لَهُمُ اذْهَبُوا وَأَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ . وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَرُوا . فَوَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ شُفِيَ رَجَعَ يُمَجِّدُ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ . وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ شَاكِرًا لَهُ . وَكَانَ سَامِرِيًّا . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ أَلَيْسَ الْعَشَرَةُ قَدْ طَهَرُوا . فَأَيْنَ التِّسْعَةُ . أَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَرْجِعُ لِيُعْطِيَ مَجْدًا للهِ غَيْرُ هٰذَا الْغَرِيبِ الْجِنْسِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ قُمْ وَامْضِ . إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ .

(لوقا ١٧ : ١١ — ١٩)

كان يسوع فى الحدود ما بين الجليل والسامرة حين قابله عشرة رجال برص وكانت قطيعة كما نعلم بين السامريين واليهود . وكان فى هذه الفرقة البرصاء سامرى واحد على الأقل ،وهنا يبرز مثال لقانون الحياة العظيم وهو أن مآسى الحياة ومحن الدهر تعيد للناس التصاقهم ببعضهم فقد اعتبر اليهود أن التصاقهم بالسامريين كارثة كبرى لأنه ضد تقاليدهم وشرائعهم ، لكن هذا السامرى كان مع اليهود . : . كان اليهود والسامرى يتقاتلان لو تقابلا ، لكن الطبيعة ترينا أن الملمات تربط بين قلوب الناس حتى الحيوان ، فلو جاء طوفان على مكان تقف فيه الحيوانات متطاحنة ، لتركت الحيوانات القتال والتطاحن ، ووقفت فى صمت كامل . ونحن فى حاجة ماسة إلى الله ، لذا يجب أن نقف

فى صف واحد ، تربط بين قلوبنا عرى الصداقة والمحبة والألفة . وقف البرص من بعيد (لاويين ١٣ : ٤٥ ، ٤٦ ، عدد ٥ : ٢) ولم تحـــدد مسافة البعد الواجبة ، غير أننا نعلم أن هناك تحديداً للمسافة ، فيقف الأبرص على بعـد ٥٠ ياردة حتى لا يحمل الهواء شيئاً من الأبرص إلى السليم . ومن هنا نرى مقدار عزلة الأبرص ومقدار وقعها على نفسه .

ولا توجد فى الأناجيل قصة كهذه تظهر عدم شـكر الإنسـان وعرفانه بالجميل . لقد أتى البرص إلى يسوع تملأهم اللهفة المزوجة بالقنوط فشفاهم جميعاً. لـكن تسعة منهم لم يرجعوا ليقدموا الشكر ليسوع . حقاً هذه عادة الإنسـان المصاب بالنسيان الذى إذا نال طلبه لا يرجع لتقديم الشكر .

١ — نرى الأولاد لا يشكرون والديهم ، مع أنهم لا يستطيعون العيش بدونهم أسبوعا . ولا يوجـد فى المخلوقات من يعتمد على أبويه مثل الإنسان إذ يستمر وقتـاً طويلا « عالة » على والديه حتى يستطيع إعالة نفسه . ولـكن سرعان ماتتغير الظروف إذ يصبح الوالدون عاجزين عن عمل شىء ، فيحسبهم الأولاد عبئاً ثقيلا . والبعض يهملهم شر إهمال ويتهربون من إيفاء الدين الذى عليهم ، كقول الملك « لير » Lear فى يوم محنته « الولد الذى لا يشكر والديه يشبه أسنان الحية الحادة » .

٢ — وأحياناً لا نشـكر بنى البشر الذين حولنا . ربما لا نجد إلا قلة فى العالم الذين لا دين للآخرين عليهم ، لـكننا فى نفس الوقت نجـد قلة ضئيلة فى العالم ، الذين يقدمون واجب الشـكر لمن يستحقونه . وكم من مرات يقوم الصديق أو المعلم أو الطبيب أو الجراح بإسداء عمل عظيم لنا بدون مقـابل ، ونحن . . أو لا نقدر على المـكافأة . . يالها من مأساة الحياة المرة إننا لا نتوق ولا نجتهد فى رد الجميل ! ! !. وقد قال شاعر عن الجحود: « هبى ياريح الشتاء،

مهما بلغ هبوبك لن يمكن أن يوازى عدم شكر الإنسان » .

٣ — وكثيراً ما لا نشكر الله ، ربما نصلى وقت الحاجة بإلحاح وبشدة وبلجاجة ، ويمضى الزمن ، وننسى الرب وكم من مرات لا نشكر وقت تناول الطعام . . وكم من مرات لا نقدم كلمة شكر واحدة لمن وهبنا ابنه الوحيد ، إن الشكر الأعظم الذى نقدمه لله هو نوال حسناته ورحمته بتقدير أكثر من ذى قبل أنظر مزمور ١٠٣ : ٢ « باركى يانفسى الرب ولا تنسى كل حسناته » .

علامات مجيئه

وَلَمَّا سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ مَتَى يَأْتِى مَلَكُوتُ اللهِ أَجَابَهُم وَقَالَ لاَ يَأْتِى مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ . وَلاَ يَقُولُونَ هُوذَا هٰهُنَا أَوْ هُوَذَا هُنَاكَ لِأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ .

وَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ سَتَأْتِى أَيَّامٌ فِيهَا تَشْتَهُونَ أَنْ تَرَوْا يَوْماً وَاحِداً مِنْ أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ وَلاَ تَرَوْنَ وَيَقُولُونَ لَكُمْ هُوَذَا هٰهُنَا أَوْ هُوَذَا هُنَاكَ . لاَ تَذْهَبُوا وَلاَ تَتْبَعُوا . لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ الَّذِى يَبْرُقُ مِنْ نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ يُضِيءُ إِلَى نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ كَذٰلِكَ يَكُونُ أَيْضاً ابْنُ الإِنْسَانِ فِى يَوْمِهِ . وَلٰكِنْ يَنْبَغِى أَوَّلاً أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْفَضَ مِنْ

هٰذَا ٱلْجِيلِ . وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ كَذٰلِكَ يَكُونُ أَيْضاً فِي أَيَّامِ ٱبْنِ ٱلإِنْسَانِ . كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ إِلَى ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي فِيهِ دَخَلَ نُوحٌ ٱلْفُلْكَ وَجَاءَ ٱلطُّوفَانُ وَأَهْلَكَ ٱلْجَمِيعَ . كَذٰلِكَ أَيْضاً كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ لُوطٍ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ وَيَغْرِسُونَ وَيَبْنُونَ . وَلٰكِنَّ ٱلْيَوْمَ ٱلَّذِي فِيهِ خَرَجَ لُوطٌ مِنْ سَدُومَ أَمْطَرَ نَاراً وَكِبْرِيتاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَأَهْلَكَ ٱلْجَمِيعَ . هٰكَذَا يَكُونُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي فِيهِ يُظْهَرُ ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ . فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ مَنْ كَانَ عَلَى ٱلسَّطْحِ وَأَمْتِعَتُهُ فِي ٱلْبَيْتِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَهَا . وَٱلَّذِي فِي ٱلْحَقْلِ كَذٰلِكَ لاَ يَرْجِعْ إِلَى ٱلْوَرَاءِ . أُذْكُرُوا ٱمْرَأَةَ لُوطٍ . مَنْ طَلَبَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ أَهْلَكَهَا يُحْيِيهَا . أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ يَكُونُ ٱثْنَانِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ فَيُؤْخَذُ ٱلْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ ٱلآخَرُ . تَكُونُ ٱثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ مَعاً فَتُؤْخَذُ ٱلْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ ٱلأُخْرَى . يَكُونُ ٱثْنَانِ فِي ٱلْحَقْلِ فَيُؤْخَذُ ٱلْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ ٱلآخَرُ . فَأَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ أَيْنَ يَا رَبُّ: فَقَالَ لَهُمْ

حَيْثُ تَكُونُ الْجُثَّةُ هُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ .

(لوقا ١٧ : ٢٠ — ٣٧)

هنا فصلان عسرا الفهم والتفسير .

فنرى فى الآيتين ٢٠ ، ٢١ أن يسوع يجيب عن سؤال الفريسيين القائل « متى يأتى ملكوت الله ؟ » : فقال : « لا يأتى ملكوت الله بمراقبة » . والكلمة « بمراقبة » تشبه مراقبة طبيب لمريضه فى عارض لمرضه يتوقع ظهوره . ولم نتأكد تماماً مما يقوله يسوع ، لكن فى اليونانية لنا أمران .

(ا) إن كلمة « هاملكوت الله داخلكم » تعنى أن ملكوت الله يعمل فى قلوب الناس ، فلا ينشىء أشياء جديدة ، بل ينشىء رجالا مجددين أقوياء . إن ملكوت الله ثورة خلاقة خالقة لا فى أشياء مادية ننتظرها فى قلوب أناس مات المسيح لأجلهم .

(ب) كما تعنى نفس الكلمة أيضاً يسوع بذاته إذ قد تجسم الملكوت وتجسده لكن الناس لم يعرفوه : وهذا حسب قوله : « قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت الله ، وأما أنتم فلم تقبلوه » أما فى الأعداد من ٢٢ — ٣٧ نجد يسوع يتكلم عن مجيئه الثانى ، ونأخذ من هذا الفصل الغامض ماهو سلس وواضح حتى ينير أمامنا الطريق وهذا كاف لنا .

١ — يأتى يوم فيه يشتهى المؤمن بل يتوق الى مجىء المسيح مثل الشهداء والقديسين الذين صرخوا ويصرخون « إلى متى » (رؤ ٦ : ١٠) . لكن على المؤمن أن يوقد مصباحه ، وينتظر بصبر . الرب الذى يأتى فى الوقت المناسب والمعد .

٢ — مجىء المسيح مؤكد . وهذا هو الحق الذى لا يختلف فيه اثنان

ولكن وقت مجيئه غير معروف ، والتفكير فيه لا يفيد ولا يجدى، ولا نحمل بكل ريح تعليم ولا نستمع لنبوآت الناس الكاذبة فنترك أعمالنا ونتبعهم . أما الطريقة الفضلى لانتظار مجىء المسيح هى أن يعمل الإنسان ما أسند اليه من أعمال ، بإيمان وأمانة وبساطة كقول أحد مشاهير المفسرين. «لا يستطيع أحد أن يتنبأ به ، لكن كل الناس ستراه ».

٣ — عندما يأتى ابن الانسان تبتدىء الدينونة ، فيؤخذ الواحد ويترك الآخر مع أنهما عاشا طيلة حياتهما معاً ؛ وفى هذا تحذير لنا كى نعيش بما يليق كمؤمنين. كما أن معرفتنا بإنسان تقى لا تحقق خلاصنا « لا يقدر الإنسان أن يخلص أخاه الانسان » فلا يترك الزوج المسيحى شئون الكنيسة لزوجته بدلا عنه إذ أن دينونة الله لكل فرد على حدة ، كما لا يمكن أن نحيل واجبنا لله لأحد آخر لينوب عنا لأننا لا يمكن أن نشارك الآخرين آخرتهم إذ « يؤخذ الواحد ويترك الآخر ».

٤ — عند ماسئل يسوع : متى يكون هذا ؟ : أجاب بحكمته الفائقة الإدراك بمثل مشهور « حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور ». ومعنى هذا القول أنه عندما يتم الشىء تكون قد تمت شروطه أولا .وهذا يعنى بالنسبة لنا ، أن الله يرسل يسوع المسيح ثانية فى الوقت المناسب فى فكره القدوس . ونحن لا نقدر أن نعرف وقت هذا المجىء ، ولا يليق أن نلح فى طلبه ، بل ينبغى أن نعيش عيشة « مقدسة » بلا لوم فى شخصه المبارك حتى إذ أتى صباحاً أو ظهراً أو مساء يجدنا فى استعداد كامل ، « فلا ننم إذاً كالباقين بل لنسهر ونصح ... » .

الأَصْحَاحُ ٱلثَّامِنُ عَشَرَ

صلّوا ولا تملّوا

وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ. قَائِلاً. كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٍ لاَ يَخَافُ ٱللهَ وَلاَ يَهَابُ إِنْسَاناً. وَكَانَ فِي تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَائِلَةً أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي. وَكَانَ لاَ يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ. وَلٰكِنْ بَعْدَ ذٰلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَخَافُ ٱللهَ وَلاَ أَهَابُ إِنْسَاناً. فَإِنِّي لأَجْلِ أَنَّ هٰذِهِ ٱلأَرْمَلَةَ تُزْعِجُنِي أُنْصِفُهَا لِئَلاَّ تَأْتِيَ دَائِماً فَتَقْمَعَنِي. وَقَالَ ٱلرَّبُّ ٱسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي ٱلظُّلْمِ. أَفَلاَ يُنْصِفُ ٱللهُ مُخْتَارِيهِ ٱلصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعاً. وَلٰكِنْ مَتَى جَاءَ ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ أَلَعَلَّهُ يَجِدُ ٱلإِيمَانَ عَلَى ٱلأَرْضِ.

(لوقا ١٨ : ١ — ٨)

فى هذا المثل نرى شيئاً مما حدث وما كان يحدث فى فلسطين ، وذلك عن طريق شخصيتين :

١ — الأولى هى شخصية القاضى . ومن الواضح أنه ليس يهوديا ، لأن العادة قضت أن كل اليهــود المتشاحنين يذهبون إلى الشيوخ لا إلى المحاكم العامة . وبحسب الشريعة اليهودية ، يرفع الأمر لهيئة التحكيم التى تتـكون من ثلاثة قضاة — كما جرت العادة — يختار أحدهم بواسطة المدعى والثانى بواسطة المحامى والثالث يعين مباشرة من قبل هيرودس أو الرومان ، برتب مالى معين . وأمثال هذا الأخير اشتهروا بالصيت الردىء ، وبالأخلاقيات الدنيئة ، وبالطمع الفاحش ؛ لدرجة أن الحق يحرف أو يداس اذا لم يكن المدعى صاحب تأثير بالغ ، أو يمتلك الـكثير من المال ، الذى يؤهله لتقديم أكبر رشوة ممـكنة . وانحدرت مبادىء وقيم هــؤلاء القوم حتى أصبح النظر إلى القضايا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتقديم طبق واحد من الطعام . وكانت لهم قدرة على الـكلام لساعات طويلة وبأسلوب شيق حتى أطلق عليهم « الخطرين » أو « أهل القصاص » أو « قضاة لصوص » .

٢ — والشخصية الثانية هى الأرملة التى تمثل الطبقة الفقيرة التى لا مدافع عنها . ولم يكن لتلك الأرملة مصدر مالى من أى نوع ، كما لم يكن لها أى رجاء فى عدالة القضاء . ولـكن الشيء الوحيد الذى تمتلـكه هو سلاح اللجاجة والثبات الأمر الذى أقض مضجع القاضى وأرق باله وأزعجه حتى قال « من أجل أنها تزعجنى أقوم وأنصفها » . وبنفس هذه السلاح الوحيد الذى امتلـكته نالت ما ترجوه وما تصبو إليه .

يشبه هذا المثل مثل الصديق الذى ذهب إليه صديقه فى منتصف الليل . ولـكن لا يوجد هناك شبه قائم بين قاضى الظلم والله العادل ، وحاشا لله أن يكون هكذا . وفى هذا المثل قال يسوع « فإنى لأجل أن هذه الأرملة تزعجنى أنصفها لئلا تأتى دائماً فتقمعنى ... أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً

وليلا وهو متمهل عليهم ... فكم بالحرى يعطى الله أولاده ما يحتاجون إليه »
وما قاله السيد له المجد هو كل الحق بل جله . ولكن ليس هناك من الأسباب ما يجعلنا ننتظر الحصول على ما نطلب ، فالأب لا يعطى لإبنه كل ما يطلبه وخاصة إذا كان طلبه لا يفيده بل يضره ، وبنفس هذا التصرف يعاملنا الآب السماوى المحب . كما أننا لا نعلم ماذا سيلد لنا الغد ، ولا نستطيع أن ندرك ما بين طيات الأسبوع المقبل ، وثنايا العام الآتى ، أما الرب فيعلم كل شىء ، ولذلك يقدم لنا ما هو لخيرنا ونفعنا . ولذلك أيضاً حثنا يسوع على الصلاة الملحة « صلوا ولا تملوا » إذ أنه عرف ضعف الإنسان أمام ابن الإنسان. فعلينا إذن أن نجاهد فى صلاتنا بحرارة الروح وبقوة الإيمان ، وبعد أن نقدم صلواتنا نقول : « لتكن مشيئتك » .

خطية الكبرياء

وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ وَيَحْتَقِرُونَ ٱلْآخَرِينَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ . إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى ٱلْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَٱلْآخَرُ عَشَّارٌ . أَمَّا ٱلْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هٰكَذَا . ٱللّٰهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ إِنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي ٱلنَّاسِ ٱلْخَاطِفِينَ ٱلظَّالِمِينَ ٱلزُّنَاةِ وَلَا مِثْلَ هٰذَا ٱلْعَشَّارِ . أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي ٱلْأُسْبُوعِ وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ . وَأَمَّا ٱلْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ . بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا ٱللّٰهُمَّ ٱرْحَمْنِي أَنَا ٱلْخَاطِئَ .

أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هٰذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّراً دُونَ ذَاكَ . لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ .

(لوقا ١٨ : ٩ — ١٤)

كان المتدينون فى فلسطين يقيمون الصلاة ثلاث مرات يومياً ، فى الساعة التاسعة صباحاً ، وفى الثانية عشر ظهراً ، وفى الثالثة عصراً . وكانت تقدم الصلاة فى الهيكل لتكون أكثر فاعلية وأعمق أثراً ، ولذلك يذهب كثيرون فى هذه الأوقات إلى الهيكل . وهنا أخبرنا يسوع عن اثنين ذهبا ليصليا :

١ — الأول هو الفريسى الذى لم يذهب ليصلى إلى الله بحق ، بل صلى لمدح نفسه وبره الذاتى . والصلاة الحقيقية يجب أن تكون لله ولله وحده . وصف أمريكى متهكماً صلاة أحد المبشرين : « إنها أعظم صلاة قدمت بفصاحة للمستمعين فى مدينة بوسطن » هكذا شهد الفريسى لنفسه أمام الله .

وقد فرضت الشريعة اليهودية صياماً واحداً إلزاميا هو يوم عيد الكفارة. ولكن الذين يريدون جزاء خاصا كان عليهم أن يصوموا فى يومى الإثنين والخميس ، وجدير بالذكر أن هذين اليومين هما يوما السوق فى أورشليم حيث تكتظ المدينة وتزدحم بالريفيين ، وقد يبيض الصائمون وجوههم وارتدوا ثيابهم البالية المتهرئة ، وبهذا ينالون أكبر قسط من ذكر تقواهم بين الجموع المحتشدة .

كما أن العادة قضت أن يأخذ اللاويون العشور من محاصيل الناس (عدد ١٨ : ٢١ ، تث ١٤ : ٢٢) وأما هذا الفريسى فقد دفع عشر كل الأشياء ما لزم عليه أن يدفع عنها وما لا يلزم ، إذ كان أشد الفريسيين تدقيقا . والآن أسوق لك صلاة مسجلة لأحد الربيين على نمط صلاة الفريسى : « أشكرك يا إلهى

لأنك جعلت لى مكانا وسط أهل العلم وليس بين الذين يمكثون فى الأزقة . أنا أستيقظ مبكراً لألهج فى نواميسك وأما هم فيبكرون إلى الباطل ، أنا أعمل وهم لا عمل لهم ، وأنا أنال أجراً لعملى ولاأجر لعملهم : أنا أجرى وهم يجرون . أنا أجرى لأجل الحياة الآتية وأما هم فيجرون لهلاكهم » . وقال الربى شمعون بن جوكاى كما سجل عنه : « إن وجد رجلان باران فى الدنيا فأكون أنا وإبنى ، وإن كان بار واحد فى الدنيا أكونه أنا » هكذا لم يذهب الفريسى إلى الهيكل ليصلى بل ليظهر للرب وللناس مقدار تقواه .

٢ — أما الثانى فهو العشار الذى وقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء . ونرى أن الترجمة لم تنصف فى تقدير تواضعه ، إذ كانت صلاته « اللهم ارحمنى أنا الخاطىء » أى ليس الخاطىء العادى بل كأنه الخاطىء الوحيد فى العالم الذى فاقت خطاياه الجميع . ولذلك قال عنه يسوع : « إن صلاته التى حازت القبول لدى الله كانت بحق من قلب منكسر وروح منسحق » .

ومن خلال هذا الفصل نلمح أشياء لها أهميتها فى ميدان الصلاة :

١ — لا يقدر متكبر أن يصلى . لأن باب السماء منخفض جداً بحيث لا يستطيع أن يجتاز منه إلا من يسجد على ركبتيه ويصرخ قائلا : «لا يوجد مخبأ أختبىء فيه من فرط ذنوبى وخجلى ياحمل الله ، ولا يوجد ما يسترنى غير اسمك ، ولا رجاء لى سواك فى السماء وفى الأرض » ويقول من أعماق قلبه مع قايين : « ذنبى أعظم من أن يحتمل » .

٢ — لا يقدر من يحتقر الآخرين أن يصلى ، كما لا يمكن أن نرفع أنفسنا فوق الآخرين فى الصلاة .. نعم فكلنا من جمهور الخطاة المتألمين ، من البشر المحزونين ، وجميعنا أمام عرش رحمة الله .

٣ — إن الصلاة الحقيقية تأتى من مقارنة حياتنا بحياة الله له المجد .

ولا منازع فى أن كل ما قاله الفريسى فى صلاته كان حقيقيا . فلقدصام وأعطى العشور بالتدقيق التام ، ولم يكن مثل باقى الناس وخاصة هذا العشار . ولكن ليس السؤال ، هل أنا صالح مثل أقرانى ! » بل السؤال هو : « هل أنا صالح مثل الله » .

سافرت مرة فى القطار وعندما مررنا بأراضى يوركشير رأيت كوخاً صغيراً لامعاً وكان بريقه شديداً .. وبعد فترة من الوقت ، كنت فى طريق عودتى وإذا بالثلج الأبيض يتساقط بغزارة حتى أحاط بالكوخ ، ولكن لم يكن للكوخ بريقه الأول إذ بدا رمادياً قبيحاً بالنسبة لمنظره الأول . وهذا ما ينبغى أن نقارن نفوسنا به . فعندما نقارن نفوسنا بنقاوة حياة المسيح ، وقداسة الله المطلقة نستطيع أن نرى نفوسنا على حقيقتها ولا نجد بداً من أن نصرخ ونقول « اللهم ارحمنى أنا الخاطىء » .

السيد والأطفال

فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ ٱلأَطْفَالَ أَيْضًا لِيَلْمِسَهُمْ . فَلَمَّا رَآهُمُ التَّلاَمِيذُ ٱنْتَهَرُوهُمْ . أَمَّا يَسُوعُ فَدَعَاهُمْ وَقَالَ دَعُوا ٱلأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ لِمِثْلِ هٰؤُلاَءِ مَلَكُوتَ ٱللهِ . اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ ٱللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ .

(لو ١٨ : ١٥ — ١٧)

إعتادت الأمهات فى فلسطين إحضار أطفالهن فى يومهم الأول إلى أحد

مشاهير الربيين ليباركهم ، ولنفس الغرض جاء الأمهات بأولادهن إلى يسوع . ولا نرى هنا قساوة التلاميذ بقدر ما نرى شفقتهم وحنانهم الذى كان دافعاً لعملهم هذا . إذ أن ما يستحق الذكر أن يسوع كان فى طريقه إلى أورشليم ليموت هناك ، وقد رأى التلاميذ على وجهه سيماء التوتر والقلق ، المنبعث من الصراع الداخلى الشديد . لذلك لم يرد التلاميذ مضايقته أكثر ، وكان انتهارهم بمثابة القول الذى نوجهه للأطفال فى منازلنا ليعملوا على راحة والدهم المتعب والمجهد . ولكن الشيء الرائع والمدهش فى كل الأناجيل أن يسوع أعطى وقتاً للأطفال وهو فى طريقه إلى أورشليم لموت الصليب .

ولكن ربما يطرأ على أزهاننا هذا السؤال : ماذا قصد يسوع بالقول . « لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله؟» وماهى صفات الطفل الذى فكر فيه يسوع؟

١ — يفقد الطفل الإحساس والتعجب ، ويخبرنا تنيسون أنه فى الصباح الباكر ذهب لغرفة حفيده ، وإذ به يرى الغلام وهو يسجد لضوء الشمس الذى يداعب عامود السرير . حقاً إننا كلما تقدمنا فى الأيام فى عالمنا هذا نعيش فى عالم متعب مظلم وممل ، وأما الطفل فإنه يعيش فى عالم يراه لامعاً ، ومثيراً ، وأن الله قريب منه فى هذا العالم .

٢ — يمتلىء الطفل بالثقة باستمرار . فنى صغرنا لم نشك يوماً فى عدم مجيء وجبة الطعام التالية أو فى وجود الملابس التى نرتديها . بل دائماً نتأكد أنه فى رجوعنا من المدرسة سنجد البيت ونجد كل شيء معداً لنا . ولم يساورنا الظن أو الريبة فى أن أجور السفر ستدفع لنا ويعرف الآباء الطريق إلى رحلة سعيدة آمنة . إن ثقة الطفل فى والديه أكيدة ، وهكذا ينبغى أن تكون ثقتنا فى الآب السماوى .

٣ — نرى فى الطفل الطاعة . ربما يتذمر أحياناً من أوامر والديه ، لكنه

يعرف جيداً أنه لا ينبغى أن يضرب بها عرض الحائط ولا يكون سعيداً بذلك فى قلبه ، بل يرى أن كلمة الوالدين قانون ثابت لأن الطاعة غريزية فيه . وهكذا ينبغى أن نكون مع الآب السماوى .

٤ — للطفل قوة مدهشة على الصفح . فغالباً نجد الوالدين لا يعدلون مع الأطفال بل يطالبوهم بالطاعة المطلقة والأخلاق الحميدة والأسلوب المهذب والاجتهاد الجاد . . . وهكذا لا نكل من الوصايا والإرشادات ، بل ربما نلزمهم بعدم عمل أمور نفعلها نحن . ولو عاملنا الآخرون بنفس المعاملة لا نغفر لهم البتة ، وأما الطفل فيصفح وينسى بل لا يذكر مطلقاً ما حدث . إن عالمنا لا يمكن أن يكون عالماً أفضل إلا عندما نصفح كما يصفح الأطفال . إن روح الطفل الذى يدخلنا ملكوت الله هو حياة الإعجاب بأعمال الله ، والثقة التامة بلا تساؤل ، والطاعة الكاملة ، والغفران المطلق .

الذى لا يدفع الثمن

وَسَأَلَهُ رَئِيسٌ قَائِلاً أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيوةَ الأَبَدِيَّةَ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ لِمَاذَا تَدْعُونِى صَالِحًا . إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ . أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا . لا تَزْنِ . لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا . لاَ تَقْتُلْ . لا تَسْرِقْ لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ . أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ . فَقَالَ هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِى . فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ يُعْوِزُكَ أَيْضاً شَىْءٌ . بِعْ كُلَّ مَالَكَ

وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ حَزِنَ لأَنَّهُ كَانَ غَنِيًّا جِدًّا. فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ قَدْ حَزِنَ قَالَ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ. لأَنَّ دُخُولَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ. فَقَالَ الَّذِينَ سَمِعُوا فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ. فَقَالَ غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ.

فَقَالَ بُطْرُسُ هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَقَالَ لَهُمُ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ إِخْوَةً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللهِ. إِلاَّ وَيَأْخُذُ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَوةَ الأَبَدِيَّةَ.

(لوقا ١٨ : ١٨ — ٣٠)

فى هذا الفصل نرى أن الرئيس سأل يسوع بطريقة مثلى لم يسبقه فيها أحد لأننا لم نر سابقة فى الأدب اليهودى أن خاطب أحد ربياً قائلا : « أيها المعلم الصالح » إذ قد تعود الربيون أن يقولوا « ليس صالح غير الشريعة » من هنا نرى المداهنة الملساء فى مخاطبة يسوع بهذا الوصف. أما يسوع فلم يخدع بمخاطبته الرائعة المزجاه بل ساقه إلى الله ، مؤمناً أن رسالته وقوته أتت من

الله رأساً . ولذلك نرى أن يسوع حزن جداً عندما لم يرجع التسعة رجال البرص ليشكروا ، وكان مثار حزنه لاعلى عدم تقديم الشكر بل عدم إسداء المجد لله (لو ١٧ : ١٨) .

ومن المسلم به أن ذلك الرئيس كان صالحاً بيد أنه شعر فى قلبه وفى قرارة نفسه بنقص معين واضح ، وعندما سأل يسوع كان جوابه أن يبيع كل ماله ويوزعه على الفقراء إن أراد أن يجد مايبحث عنه فى حياته ، ثم يأتى ويتبعه . وهنا نتساءل لماذا طلب يسوع هذا الطلب من هذا الرجل بالذات ؟ بينما عندما شفى رجلا فى كورة الجدريين وأراد الرجل أن يتبعه أمره أن يرجع إلى بيته (لو ٨ : ٣٨ ، ٣٩) ولماذا اختلفت نصيحته لذلك الرئيس ؟ . يعطينا مفتاحاً لهذه العبارة ماوجد من بقايا كتاب قديم اسمه « إنجيل العبرانيين » جاء فيه : « قال الرجل الغنى الآخر ليسوع ، ياسيد أى صلاح أعمل لأحيا ؟ قال له يسوع « يارجل أطع الشريعة والأنبياء » فأجاب « أنا عملت هذا » ، قال له يسوع : « إذهب بع كل مالك ووزعه على الفقراء وتعال اتبعنى »! اوعندئذ ابتدأ الرجل يعبث فى شعره ويهز رأسه بامتعاض بالغ وضجر شديد لأنه لم يرد هذه الوصية ، فقال له الرب « لماذا قلت أنك أطعت الشريعة والأنبياء ؟ لأنه مكتوب فى الشريعة « تحب قريبك كنفسك » : أنظر لك إخوة كثيرون من جنسك أبناء لإبراهيم يتضورون جوعاً وبيتك يفيض شبعاً ولم تعطهم شيئاً منه » وعندئذ التفت وقال لتلميذه سمعان الجالس بجانبه : ياسمعان بن يونا دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات » .

هنا سر مأساة ذلك الرئيس الغنى ، وهنا مكمن الداء ، عاش أنانياً محباً لذاته . ومع كونه غنياً لكنه لم يعط شيئاً لأحد ، إذ كان الغنى إلهاً له ، وكان هو عبداً ذليلا لماله وثروته ، وعندئذ قال له يسوع الذى يعرف ويعى

ويعني مايقوله: « بع كل مالك ». ويوجد كثيرون من الأغنياء يستخدمون مالهم لمساعدة الآخرين ولإسعادهم ، أما ذلك الغنى فقد عاش لنفسه فقط . ومن يعطى وقته وفكره وقوته وكل حياته لشيء ما، لابد أن يكون ذلك الشيء إلهاً له . ومن يطلب سعادة الحيـــاة ينبغى أن يعمل ويعيش لأجل الآخرين بالاهتمام الذى يعيش به لنفسه واستطرد يسوع يقول : « لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » .

وقد قال الربيون مرة : « يعسر دخول فيل من ثقب إبرة » وقالوا هذا فى سخرية عن الأمر المستحيل وأما الصورة التى أعطاها يسوع فلها أصلان أو مصدران :

١ — قيل إنه بجانب بوابة أورشليم العظيمة المستخدمة للتجارة والقوافل الضخمة ، توجد بوابة صغيرة تكفى ارتفاعاً وإتساعاً لمرور رجل ، وسميت هذه البوابة « ثقب الإبرة » إذ أن الجمل لا يقدر أن يعبر منها .

٢ — الكلمة اليونانية المترجمة « جمل » هى Kamelos « وبتحوير بسيط فى حرف متحرك تصبح « Kamilos » وهى تعنى الحبل الذى تجر به السفينة ، وهذا الحبل لا يمكن البتة أن يدخل من ثقب إبرة . وهذا ما قاله يسوع لأن الميل إلى الممتلكات يقيد أفكار الإنسان بالأرض ، ويزج به فى أغلال وأصفاد يرسف فيها أبداً ولافكاك منها ولا تفكير فى غيرها . وليس من الخطأ أن يكون للانسان مال كثير ولكن الخطر كل الخطر يكمن فى المسئولية الكبرى إزاء هذا المال . أشار بطرس ورفقاؤه أنهم قد تركوا كل شيء وتبعوا يسوع،ووعدهم قائلا : « كل من ترك بيوتاً أو إخوةأو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاد أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية » . وكم اختبر كثيرون من المسيحيين صدق هذا الوعد.

إفتكر أحدهم فى التجارب التى احتملها داود لفنجستون والأحزان التى تحملها وكيف فقد زوجته وأتلف صحته فى مجاهل إفريقيا وعندئذ قال للفنجستون : « يالها من تضحيات عظيمة !! » وأجاب لفنجستون : « تضحيات ! ! أنا لم أعمل تضحيات فى كل حياتى » . . أجل إن الذى يسير فى طريق المسيح عليه أن يجتاز فيما يسميه العالم « صعوبات » ، ولكن من يسير فى الطريق المسيحى له سلام لا يقدر العالم أن يعطيه ، ولا يقدر أن يسلبه إياه ، بل يتمتع دائماً بفرح لا ينطق به ومجيد .

الصليب المنتظر

وَأَخَذَ الاثْنِيْ عَشَرَ وَقَالَ لَهُمْ هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَسَيَتِمُّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بِالأَنْبِيَاءِ عَنْ ابْنِ الإِنْسَانِ . لأَنَّهُ يُسَلَّمُ إِلَى الأُمَمِ وَيُسْتَهْزَأُ بِهِ وَيُشْتَمُ وَيُتْفَلُ عَلَيْهِ . وَيَجْلِدُونَهُ وَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ . وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً وَكَانَ هَذَا الأَمْرُ مُخْفًى عَنْهُمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا قِيلَ .

(لوقا ١٨ : ٣١ — ٣٤)

يوجد نوعان من الشجاعة ، رجل يقف بشجاعته أمام كارثة دهماء تأتيه بغتة ، وبدون تردد يواجهها ويطرح نفسه فى المعمعة بدون إمهال أو تفكير . والنوع الثانى شجاعة الرجل الذى يرى موقفاً خطراً ينسج ويحيك خيوطه ليربطه ويغلله ، وهو يعرف جيداً أن جهاده يخور أمام هذا الموقف ، ولكنه يقابله بثبات ورباطة جأش ، ولا يوجد سؤال عن أى الشجاعتين أفضل .

وكثيرون قادرون على أعمال الشجاعة بمهماز الزمن ،وهذه هى الشجاعةالممتازة أن نواجه الشيء الذى يتردد علينا أياماً كثيرة وبعد مجابهته بقوة ومتانة يرتد عنا راجعاً . كتب كاتب فى أسطورة عن ولدين كانا يلعبان معاً فى طريق ما ، وقال أحدهما للآخر : « ياله من أمر مثير حقاً أن تفتكر فى وجود شيء مخيف فى ركن الطريق يواجهك ، وأنت تواجهه بشجاعة ! » . . ولكنها لم تكن لعبة تواجه يسوع بل حقيقة ثابتة ومخيفة ومرهبة . لقد علم يسوع معنى الصليب وقد رآه .

ومع ذلك واجهه فكان له قصب السبق فى مضمار الشجاعة الفائقة . لقد سمع يسوع التحذير من الصليب الذى سيقابله فى أورشليم ، ومن دواعى العجب أن الصليب كان هزة عنيفة للتلاميذ لعدم فهمهم معناه كما كلمهم . بل ملكت مشاعرهم عبارة « الملك المنتصر » وتعلقوا بالرجاء بأنه يكون صاحب السلطان المطلق فى أورشليم الذى يمحق ويسحق أعداءه من على وجه الأرض ، وهنا تحذير عظيم لكل من يسمع . لا يوجد من هو أعمى أكثر من الذى يرفض أن ينظر ويفكر ، فإن بعض الناس يرفضون مالا يريدون أن يسمعوه !! هكذا ينبغى أن يصارع الإنسان ضد الميل البشرى فى أن يسمع مايرغب أن يسمعه فقط .

كما لنا أن نلاحظ أن يسوع لم يتكلم عن الصليب إلا ويتكلم عن القيامة فى نفس الوقت ، ولا عجب فقد كان متأكداً من المجد الذى سيلاقيه بعد عار الصليب . لقد عرف شر البشر لكنه علم يقيناً قوة الله التى يتمم بها عمله ، وقد تأكد من الانتصار الذى يعقب الإنكسار ، وأن لاتاج بدون صليب .

الرجل الذى لم يقدر أن يُسكته أحد

وَلمَا اقْتَرَبَ مِنْ أَرِيحَا كَانَ أَعْمَى جَالِسا عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي . فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعَ مُجْتَازًا سَأَلَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا . فأَخبَرُوهُ أَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مُجْتَازٌ فَصَرَخَ قَائِلاً يا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي . فَانْتَهَرَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ لِيَسْكُتَ . أَمَّا هُوَ فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيرًا يَا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي. فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا اقْتَرَبَ سَأَلَهُ . قَائِلاً مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفعَلَ بِكَ .فَقَالَ يَا سَيِّدُ أَنْ أُبْصِرَ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ أَبْصِرْ . إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ . وَفِي الْحَالِ أَبْصَرَ وَتَبِعَهُ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ . وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ رَأَوْا سَبَّحُوا اللهَ .

(لوقا ١٨ : ٣٥ — ٤٣)

فى هذه القصة ترى أمراً غاية فى الأهمية ، وهو المثابرة الحقيقية التى أظهرها الأعمى فقد كان يسوع صاعداً إلى الفصح فى أورشليم . وكانت العادة أن يسافر الناس زمراً وجماعات فى تلك الأوقات ، لذا وجب على الربيين أن يقوموا بالشرح والتعليم فى الطريق . وتجمهر الناس ليسمعوا تعاليم يسوع حتى لاتفوتهم . وقضت العادة أنه عندما كانت تمر جماعة فى وسط قرية يجتمع حولهم السكان الذين لم يتمكنوا من الذهاب إلى الهيكل فى العيد ليدعوا الله

ليكون سفرهم سعيداً موفقاً . وقد كان الرجل الأعمى فى وسط جماعة كهذه، وعندما سمع غوغاء الجموع سأل : « ماذا عسى أن يكون هذا ؟ » أخبروه أن يسوع الناصرى عابر الطريق فصرخ قائلا « يايسوع إرحمنى » .

وعندئذ أراد الناس أن يسكتوه لأنهم لم يقدروا أن يسمعوا أقوال يسوع من ضوضائه ، ولكنه ازداد صراخاً ولم يستطع أحد أن يسكته . ويختلف صراخ الرجل فى عدد ٣٨ عنه فى عدد ٣٩ ، ففى عدد ٣٨ تصف الكلمة الصراخ العالى ليلفت الأنظار إليه ، وأما فى عدد ٣٩ فإن الكلمة تصف العواطف المتهيجة بغير ضابط كصراخ حيوان يزأر ويجأر ، إن الكلمة تصف بحق قنوط ويأس الرجل . . . وهكذا وقف يسوع ، ووجـــد الأعمى الشفاء الذى كان ينشده .

وتخبرنا القصة عن أمرين :

١ — الأمر الأول عن الأعمى الذى عزم أن يأتى أمام يسوع وجهاً لوجه ولم يوقفه شيء يرده من هدفه وعزمه ، رفض أن يسكت كما رفض أن يردع لقد دفعه احتياجه إلى حضرة يسوع ، هكذا كل من يأتى إلى يسوع بهذه الروح لابد أن تحدث معجزة . فلم تكن عاطفة الرجل رقيقة لطيفة بحيث تستعطف قوة الله ، ولكنها كانت عاطفة جامحة جياشة قلبية ثائرة .

٢ — أما الأمر الثانى فهو عن يسوع ،الذى كان يخاطب الجموع الغفيرة والعظيمة مثل الربيين ولكنه إهتم بالأعمى وانقطع عن الكلام عند سماع صراخه ، لأنه يهتم بالعمل أكثر من الكلام . فعندما يرى يسوع نفساً بشرية محتاجة يسكت عن الكلام ويبدأ فى العمل . قال أحدهم . « يشبه المعلمون رجالا يعطون إنذاراً لفريق فى البحر » ولم يكن يسوع من هذا النوع ، لأنه

لم يكلم الغريق بل قفز لينقذه ! ! . نعم . . ربما يوجد رجل لا يعرف كيف يكتب جملة إنشائية صحيحة لـكنه محبوب من الجميع لأنه مشفق رحيم . . ربما يحترم الناس الخطيب المفوه لـكنهم يحبون صاحب الأيدى الممتدة المسعفة » .

ويعجب الناس بصاحب العقلية الجبارة الفذة ولـكنهم يحبون بحق صاحب القلب المتسع الـكبير .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلتَّاسِعُ عَشَرَ

صنف الرجل المُحتَقَر من الجميع

ثُمَّ دَخَلَ وَاجْتَازَ فِي أَرِيحَا. وَإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ زَكَّا وَهُوَ رَئِيسٌ لِلْعَشَّارِينَ وَكَانَ غَنِيًّا. وَطَلَبَ أَنْ يَرَى يَسُوعَ مَنْ هُوَ وَلَمْ يَقْدِرْ مِنَ الْجَمْعِ لِأَنَّهُ كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ. فَرَكَضَ مُتَقَدِّماً وَصَعِدَ إِلَى جُمَّيْزَةٍ لِكَيْ يَرَاهُ. لِأَنَّهُ كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يَمُرَّ مِنْ هُنَاكَ. فَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْمَكَانِ نَظَرَ إِلَى فَوْقُ فَرَآهُ وَقَالَ لَهُ يَا زَكَّا أَسْرِعْ وَانْزِلْ لِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ. فَأَسْرَعَ وَنَزَلَ وَقَبِلَهُ فَرِحاً. فَلَمَّا رَأَى الْجَمِيعُ ذٰلِكَ تَذَمَّرُوا قَائِلِينَ إِنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ. فَوَقَفَ زَكَّا وَقَالَ لِلرَّبِّ هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ الْيَوْمَ حَصَلَ خَلَاصٌ لِهٰذَا الْبَيْتِ إِذْ هُوَ أَيْضاً

أَبْنُ إِبْرٰهِيمَ . لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ .

(لوقا ١٩ : ١ — ١٠)

كانت أريحا من أغنى المدن وأهمها فى ذلك الحين ، إذ تقع فى وادى الأردن ، وتشرف على طريقين هامين ، الطريق إلى أرشليم والطريق إلى أراضى شرق الأردن عبر النهر ... وازدانت أراضيها بغابات النخيل العظمى ، وحدائق البلسم التى تشتم أريجها وشذاها على بعد عدة أميال من حولها . وذاع صيت ورد حدائقها الغناء واشتهر شهرة عظيمة حتى لقبها الناس بلقب « مدينة النخل » ودعاها يوسيفوس « منطقة إلهية » . كما راجت تجارتها لعظمة شهرتها فحمل الرومان تمرها وبلسمها فى التجارة إلى كل بقاع الأرض ورقاعها .. ومن هنا كانت تعد أيضاً من أعظم أماكن فلسطين فى الحصول على الضرائب الباهظة .

وقد رأينا فيما سبق ماجمعه العشارون من ضرائب وما كدسوه من أموال فى جشع طائل (لو ٥ : ٢٧ — ٣٢) ، وكان زكا من أكبر وأعظم شخصيات هذه الهيئة ، وأبغضها للناس فى نفس الوقت ، ولنا فى قصته ثلاث مراحل :

١ — كان زكا غنياً ولكنه لم يكن سعيداً . . فلقد كان وحيداً ، لاصديق له ، ولا أنيس فى جلسته ، منبوذاً من الجميع بسبب الطريق الذى نهجه والحرفة التى أرادها لنفسه ، سمع عن يسوع أنه يقبل العشارين والخطاة ، فهرع إليه ، وأعجب بكل مايقول . فإن كان زكا مكروهاً من النـاس لكنه لم يحرم من محبة الله .

٢ — عزم زكا أن يرى يسوع ، فتخطى كل الحواجز التى تمنعه ، وتذرع

بشجاعة نادرة ليرى يسوع وسط الجمـــوع ، رغم سياط كلامهم اللاذعة ، وقدحهم إياه بأبشع الـكلمات،وتعييرهم إياه لقصر قامته ، لـكنه عزم أن يقتنص الفرصة ، حتى ولو أحيل جسده إلى كدمات دامية مؤلمة مؤمناً بقول الشاعر .

إذا هبت رياحك فاغتنمها   فإن لـكل خافقـــة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها   فلا تدرى السكون متى يكون

ولـكنه رغم هذا لم يستطع رؤية يسوع للجموع المحتشدة المكتظة ، وتنفس القوم الصعداء فى إقصائه عن الرؤية ، لـكنه أسرع إلى جميزة بجانبه وتسلقها وقد وصف سائح شجرة الجميز فقال : « ظلها كثيف مسر ، تطل على مساحة كبيرة من الأرض ، ولجذعها القصيرة وفروعها الممتدة من كل نواحيها يسهل على الإنسان تسلقها » . ولـكن لم يكن سهلا على زكا أن يتسلق الشجرة لقصر قامته لـكنه جاهد وانتصر على الفشل وتسلقها . . نعم فمن جد وجد .

٣ — لقد رأى زكا كل الطبقات التى كانت تخالفه وهو يتسلق الشجرة لـكنه رأى فى يسوع رجلا يقبله ويمكث فى بيته ، فقرر قراراً فى نفسه،أن يعطى نصف أمواله للمساكين ، أما النصف الثانى فلم يحتفظ به لنفسه ، بل تعهد أن يرد منه كل ما كان قد اغتصبه ، وزاد عن طلب الشرع فقال ، أرد أربعة أضعاف »(خر ٢٢ : ١)وهنا أراد أن يرد الأصل مضاعفاً (خر ٢٢ : ٤، ٧)
ومن عزم على رد المسلوب كان عليه — بمقتضى الشريعة — أن يزيد الخمس على الأصل (لا ٦ : ٥ ، عدد ٥ : ٧) لـكن زكا عزم أن يزيد عن مطاليب الشريعة ويفوق شرائعها ، وبهذا أظهر تغييره الأكيد والحقيقى .

يخبرنا د . برهام عن قصة اجتماع أدلت فيه السيدات بشهادتين ، ولـكن إحداهن إمتنعت عن الإدلاء بشهادتها . فسألوها أن تشهد ولـكنها أصرت

على الرفض ، وعندما سئلت عن سبب رفضها أجابت « لأن أربع سيدات من اللواتى شهدن مديونات لى ببعض المال ، بينما نكاد نموت مع أهل بيتى جوعاً إذ لامال لنا لنشترى به الطعام » . . أجل .. فلا فائدة من الشهـــادة إن لم تصطحب بالأعمال الحسنة التى تبرهن على صدقها وفاعليتها .. إن يسوع يريد تغييراً فى الحياة لاتغييراً فى الألفاظ .

٤ — ذيلت القصة واختتمت بهذه الكلمات المباركة « لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ماقد هلك » . وعندما نتأمل فى كلمة « هلك » نجد أنها لاتعنى فى العهد الجديد « مدان أو دينونة » بل تعنى أن الشىء فى موضع غير موضعه وينبغى رده إلى مكانه الأصلى . وهلاك الإنسان معناه البعد عن الله ، لكنه عندما يرجع إلى الله يرجع إلى وضعه الأصلى الذى يجب أن يكون عليه طائعاً لله بين جماعته وفى وسط عائلة الآب .

ثقة الملك بعبيده

وَإِذْ كَانُوا يَسْمَعُونَ هٰذَا عَادَ فَقَالَ مَثَلاً لِأَنَّهُ كَانَ قَرِيباً مِنْ أُورُشَلِيمَ وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَلَكُوتَ ٱللهِ عَتِيدٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي ٱلْحَالِ . فَقَالَ . إِنْسَانٌ شَرِيفُ ٱلْجِنْسِ ذَهَبَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مُلْكاً وَيَرْجِعَ . فَدَعَا عَشَرَةَ عَبِيدٍ لَهُ وَأَعْطَاهُمْ عَشَرَةَ أَمْنَاءٍ وَقَالَ لَهُمْ تَاجِرُوا حَتَّى آتِيَ . وَأَمَّا أَهْلُ مَدِينَتِهِ فَكَانُوا يُبْغِضُونَهُ فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ سَفَارَةً قَائِلِينَ لاَ نُرِيدُ أَنَّ هٰذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا .

وَلَمَّا رَجَعَ بَعْدَ مَا أَخَذَ ٱلْمُلْكَ أَمَرَ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ أُولٰئِكَ ٱلْعَبِيدُ ٱلَّذِينَ أَعْطَاهُمُ ٱلْفِضَّةَ لِيَعْرِفَ بِمَا تَاجَرَ كُلُّ وَاحِدٍ . فَجَاءَ ٱلْأَوَّلُ قَائِلاً يَا سَيِّدُ مَنَاكَ رَبِحَ عَشَرَةَ أَمْنَاءٍ . فَقَالَ لَهُ نِعِمًّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ . لِأَنَّكَ كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَلْيَكُنْ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى عَشْرِ مُــدُنٍ . ثُمَّ جَاءَ الثَّانِي قَائِلًا يَاسَيِّدُ مَنَاكَ عَمِلَ خَمْسَةَ أَمْنَاءٍ . فَقَالَ لِهٰذَا أَيْضًا وَكُنْ أَنْتَ عَلَى خَمْسِ مُدُنٍ . ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قَائِلاً يَا سَيِّدُ هُوَذَا مَنَاكَ ٱلَّذِي كَانَ عِنْدِي مَوْضُوعًا فِي مِنْدِيلٍ . لِأَنِّي كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ إِذْ أَنْتَ إِنْسَانٌ صَارِمٌ تَأْخُذُ مَا لَمْ تَضَعْ وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزْرَعْ . فَقَالَ لَهُ مِنْ فَمِكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ . عَرَفْتَ أَنِّي إِنْسَانٌ صَارِمٌ آخُذُ مَا لَمْ أَضَعْ وَأَحْصُدُ مَا لَمْ أَزْرَعْ . فَلِمَاذَا لَمْ تَضَعْ فِضَّتِي عَلَى مَائِدَةِ الصَّيَارِفَةِ فَكُنْتُ مَتَى جِئْتُ أَسْتَوْفِيهَا مَعَ رِبًا . ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ خُذُوا مِنْهُ الْمَنَا وَأَعْطُوهُ لِلَّذِي عِنْدَهُ الْعَشَرَةُ ٱلْأَمْنَاءُ . فَقَالُوا لَهُ يَا سَيِّدُ عِنْدَهُ عَشَرَةُ أَمْنَاءٍ . لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى . وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ . أَمَّا أَعْدَائِي أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ

يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَٱذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي .

(لوقا ١٩ : ١١ — ٢٧) .

ينفرد هذا المثل عن أمثال السيد المسيح جمعاء لأنه فريد بحق ، فهو مؤسس على حادثة تاريخية هامة ، إذ يخبرنا عن ملك ذهب ليأخذ لنفسه ملكاً وعمل عبيده كل الوسائل الممكنة والمستحيلة لحرمانه من ذلك الملك .

عندما مات هيرودس سنة ٤ ق . م ترك مملكته مقسمة بين هيرودس أنتيباس ، وهيرودس فيلبس ، وارخيلاوس ، وقد أيد الرومان هذا التقسيم وصدقوا عليه إذ كانوا يستعمرون فلسطين قبل التقسيم . وذهب أرخيلاوس الذى كان عليه أن يملك على اليهودية الى أوغسطس فى روما ليطلب منه أن يملك على نصيبه ، ولكن اليهود أرسلوا وراءه سفارة من خمسين رجلا ليخبروا أوغسطس أنهم لايقبلونه ملكا عليهم ، لكن أوغسطس ثبت أرخيلاوس على ميراثه بدون لقب ملك . وعندما يسمع أى انسان فى اليهودية هذا المثل يتذكر حالا تلك الحوادث التاريخية التى بنى عليها . أما لنا فيخبرنا المثل عن حقائق سامية عظيمة فى الحياة المسيحية :

١ — يذكر لنا أول ما يذكر ثقة الملك . فقد أعطى عبيده امواله ، وسافر وتركهم ليتجروا بها بأفضل طريقة ممكنة ، ولم يتداخل فى سير تفكيرهم ولم يكن رقيباً عليهم بل تركهم لتدبيراتهم وخطتهم . وهذه هى نفس الصورة التى بها يأتمننا الله ، إنه يثق بنا كقول أحدهم : « أجمل ما وجد فى معاملة إلهنا لنا أنه يثق بنا فيما نقوم به بأنفسنا » .

٢ — كما يتحدث إلينا المثل عن اختبار الله لنا ، فالثقة بمثابة اختبار حقيقى

ليرى الله مقدار أمانة الانسان في الأمور التافهة البسيطة . وفى أحايين كثيرة يظهر الانسان عدم جدارته فى أعماله العادية فى الحياة رغم أنه يدعى أنه صاحب عقلية راجحة وفكر ثاقب، وأما السيد الرب فلا يعرف مثل هذا الفعل بل يريد أن يمتحننا ، ويضع أمامنا المثل الأعلى لنا وهو يسوع ، فقد قضى يسوع ثلاثين سنة من الثلاث والثلاثين سنة التى قضاها على الأرض فى الناصرة ، ولو لم يظهر تفوقاً فذاً فى أعمال النجارة وفى إعالة العائلة ، ما استطاع الله أن يعطيه العمل العظيم كمخلص للعالم .

٣ — ثم يروى لنا المثل مكافأة الملك . لم تكن المكافأة لفئة مكتوفة الأيدى ، بل أعطيت لفئة أمينة مخلصة ،أعطى لواحد سلطان على عشر مدن ، ولآخر عمل خمس مدن ، وهنا تبدو ماهية المكافأة وهى أنه أوكل للانسان عملا أكبر من ذى قبل وأقسى وأصعب أيضاً .ومكافأة الله للأمين الذى أظهر كفاءته هى الثقة الكبرى فى كل أعماله .

٤ — يحتوى المثل على شخص عنيد « إن كل من له يعطى ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه » إن الذى يلعب فى رياضة معينة يتقنها أكثر ، لكنه لو أهمل المراس والمران فقد ما كان يقدر عليه . وإن دربنا أجسادنا تنمو ، وتقوى ، وإن أهملناها تترهل وتنسحق ونفقد ما نملك من قوة . والطالب الذى يتمرن فى اللغة تتفتح أمامه آفاق الآداب فيها ، وإن انقطع عنها نسى ما كان يعرفه منها . وإن جاهدنا فى ما هو صالح تنفرج أمامنا أبواب الصلاح وإن اخترنا الطريق الأسهل نفقد حتماً الملكة التى كانت لنا . . حقاً فلا يوجد أفضل من المثابرة والتدريب فى شعاب طريقنا فى الحياة المسيحية لأننا إن لم نتقدم لا نبقى حيث كنا بل نتقهقر إلى الوراء ونفقد ما حصلنا عليه فنحن نرتفع بالجهاد والعمل وننخفض بالكساد والكسل .

وَلَمَّا قَالَ هٰذَا تَقَدَّمَ صَاعِداً إِلَى أُورُشَلِيمَ . وَإِذْ قَرُبَ مِنْ بَيْتِ فَاجِى وَبَيْتِ عَنْيَا عِنْدَ ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِى يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُون أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ . قَائِلاً . اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِى أَمَامَكُمَا وَحِينَ تَدْخُلَانِهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ قَطُّ . فَحُلَّاهُ وَأْتِيَا بِهِ . وَإِنْ سَأَلَكُمَا أَحَدٌ لِمَاذَا تَحُلَّانِهِ فَقُولَا لَهُ هٰكَذَا إِنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ . فَمَضَى الْمُرْسَلَانِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا . وَفِيمَا هُمَا يَحُلَّانِ ٱلْجَحْشَ قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ لِمَاذَا تَحُلَّانِ ٱلْجَحْشَ فَقَالَا الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ . وَأَتَيَا بِهِ إِلَى يَسُوعَ وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَى الْجَحْشِ وَأَرْكَبَا يَسُوعَ . وَفِيمَا هُوَ سَائِرٌ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِى الطَّرِيقِ . وَلَمَّا قَرُبَ عِنْدَ مُنْحَدَرِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلَامِيذِ يَفْرَحُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ لِأَجْلِ جَمِيعِ ٱلْقُوَّاتِ الَّتِى نَظَرُوا . قَائِلِينَ مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الْآتِى بِاسْمِ الرَّبِّ . سَلَامٌ فِى السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِى الْأَعَالِى . وَأَمَّا بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ مِنْ الْجَمْعِ فَقَالُوا لَهُ يَا مُعَلِّمُ انْتَهِرْ تَلَامِيذَكَ .

فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هَؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ .

(لوقا ١٩ : ٢٨ — ٤٠)

كان الطريق من أورشليم إلى أريحا يبلغ طوله عشرين ميلا ، وبعدها يصل يسوع إلى هدفه . فقد كانت أورشليم نهاية السفر الموضوع أمامه. واعتاد الأنبياء على عادات منتظمة يستعملونها مراراً وتكراراً ، فإن رأوا عدم تأثير كلامهم ورفض الناس لرسائلهم الشفوية ، عمدوا إلى التمثيل الروائى حتى يجعلوا رسائلهم صورة حية منظورة لكيلا تفشل، ولنا فى هذا أمثلة كثيرة فى الكتاب منها (١ مل ١١ : ٢٩ — ٣١ ، إر ١٣ : ١ — ١١ ، ٢٧ : ١ — ١١ ، حز ٤ : ١ — ٣ ، ٥ : ١ — ٤) وهذا ما فعله يسوع ، إذ رأى أن يدخل أورشليم راكباً ليمثل هذا الدور المهم أنه مسيا الملك الممسوح المرسل من الله ، ولنا أشياء مهمة فى دخوله إلى أورشليم :

١ — دبر خطة محكمة ، فلم يعمل عملاً فجائياً أو بالإجبار ، ولم يترك الأشياء إلى اللحظة الأخيرة ، بل اتفق مع أصحاب الأتان . وكلمة « الرب محتاج إليه » كلمة مختارة منذ زمن طويل .

٢ — كان عملاً عجيباً جريئاً فى شجاعة نادرة ، رغم أن مؤامرة خبيثة كانت تدبر ضده فى ذلك (يو ١١ : ٥٧) . وكان من المنتظر بل من التفكير العقلى السليم حسب نظرتنا البشرية أن يدخل أورشليم منزوياً يخبىء نفسه فى الشوارع الخلفية، ولكنه دخل أورشليم بصورة علنية جريئة واضحة كشمس الظهيرة، فيها رآه الجميع كشمس البر ظاهرة للعيان.. أجل ما أعجب يسوع صاحب الشجاعة الفائقة. إذ كيف يأتى هذا العمل من رجل يدبرون له المكائد ويتربصون به الدوائر، لكنه يركب أتاناً « ويدخل المدينة ظاهراً جداً » وتشخص إليه كل عين .

٣ — أظهر دخوله إلى أورشليم صدق إدعاء يسوع أن يكون ملكا كما أيد أنه عمل باتفاق وترو .

وهذا التروى تم بصورة قديمة أخبرنا عنها زكريا النبى (زكريا ٩ : ٩) وكأنى بيسوع يضع خطاً تمثيلا تحت كلمة « ملك » ليظهر نوع الملك الذى يملكه . إذ كان الجحش علامة التواضع والسلام فى فلسطين ، فقد درج الملوك على ركوب الخيل وقت الحرب ، أما الجحش ففى أيام السكينة والسلم . وهكذا أتى يسوع لشعب كملك السلام والمحبة ، وليس كجبار منتصر تحفه موكب عسكرى فاخر ينتظره الناس .

٤ — كان يسوع يطلب الطلب الأخير . . وعمل هذا العمل وكأنى به يبدو بيدين ممدودتين ويقول : « وحتى الآن لاتقبلونى ملكاً عليكم » وقبل أن تغمره بغضة البشر دعا الناس مرة أخرى إليه .

شفقة وغضب المسيح

وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا . قَائِلاً إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضاً حَتَّى فِي يَوْمِكِ هٰذَا مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ . وَلٰكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ . فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ وَيُحْدِقُونَ بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِيهِ . قَائِلاً لَهُمْ مَكْتُوبٌ إِنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلٰوةِ . وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوص .

وَ كَانَ يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَ كَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعْ وُجُوهِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ . وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَفْعَلُونَ لِأَنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مُتَعَلِّقاً بِهِ يَسْمَعُ مِنْهُ .

(لو ١٩ : ٤١ — ٤٨)

فى هذا الفصل المبارك نرى ثلاث حوادث منفصلة بعضها عن بعض .

١ — الأولى . . حزن يسوع على أورشليم . . عندما رآها من منحدر جبل الزيتون بكل مناظرها الرائعة البهية ، وعندئذ وقف يسوع وبكى عليها لأنه عرف كل الخراب الآتى إليهـــا وعليها . وفى نفس الوقت كان اليهود سائرين فى خططهم العسكرية والسياسية ومكايدهم المجحفة التى انتهت بخراب أورشليم سنة ٧٠ م حيث حرثت بمحراث اجتاز فيها وأسقطها إلى الأرض . وهذه هى المأساة . . بيد أنهم لو ضربوا بسياستهم عرض الحائط واتخـذوا يسوع مخلصاً لهم ما اجتاحتهم هذه الويلات وما حدث كل هذا الخراب .

وسالت عبرات يسوع على خديه . . دموع ابن الله الطاهرة الطهورة . . وما كان أغناه عن تلك الدموع من جراء آلامهم وخرابهم الذى حدث بسبب ثورتهم ضد إرادة الله .

٢ — الثانية . . تطهير الهيكل . . وقد اختصر لوقا فى هذا الموضوع واقتضب بينما أسهب فيه متى قليلا (متى ٢١ : ١٢ ، ١٣) وذكر كيف أن يسوع ، محبة الله المتجسدة ، يتعامل فى منتهى القسوة والشدة ضد الصيارف وباعة الحيوانات فى الهيكل ؟ ! ! . . ولنا أن ننظر إلى الصيارف بادىء ذى بدىء .. إذ كان كل يهودى يدفع نصف شاقل سنوياً ضريبة للهيكل أى نحو سبعة قروش مصرية والتى تعادل أجرة يومين للعامل ، وكان كشك متنقل يمر فى كل مدينة أو قرية ليدفع الناس الضرائب التى عليهم .

وكانت أغلبية الضرائب — كما جرت العادة — كانت تدفع فى أورشليم بالنسبة للذين يذهبون إلى عيد الفصح . وكانت أنواع العملة فى أورشليم تستعمل للأغراض العادية مثل العملة المصرية والسريانية والصورية والرومانية واليونانية . وأما ضريبة الهيكل فكان يتحتم أن تدفع نصف شاقل بشاقل القدس ، ولذلك يهرع الصيارف إلى الهيكل لتغيير العملة ، ولكل تغيير فى العملة ضريبة معينة ، فيدفع الذى يغير العملة عن نصف الشاقل وعن أجرة التغيير ، مما أدى إلى زيادة ربح الصيارف من ثمانين إلى تسعين جنيه استرلينى سنوياً . وقد كانت هذه خطة مدبرة مع أنها كانت عبئاً ثقيلا يرزح تحته الفقراء والمساكين .

أما بالنسبة لبائعى الحيوانات ، فكان على كل زائر أن يقدم ذبيحة فى الهيكل فى كل زيارة، وكانت الذبائح تباع بأثمان مرتفعة باهظة فى داخل الهيكل أما خارجاً فكانت الأثمان معقولة بعض الشىء. ولكن لوجود نظار ومراقبين على الذبائح لتكون بلا عيب ، وجب شراء الحيوانات من داخل الهيكل . وأحياناً كان يقدم الناس زوج حمام ، ثمنه خارج الهيكل خمسة قروش وأما فى داخل الهيكل خمسة وسبعون قرشاً . وكان يتم كل هذا بتدبيرات ، وحيل

وعلى الزوار الفقراء أن يرضخوا لهذه التعاليم . من هنا نرى كيف كانت العملية عملية سرقة شنيعة غير شرعية . وكانت الحظائر لحنان ولعائلة رئيس الكهنة الأعظم ولهذا السبب أتوا بيسوع أولا للمحاكمة أمام حنان (يو ١٨ : ١٣) . وكم كان سرور حنان عظيماً لوقوع يسوع بين يديه لأنه ضربه فى تجارته وأمواله بل سرقاته . لقد طهر يسوع الهيكل ؛ ولكنه نال بغضة رئيس الكهنة ، إذ كانت التجارة فى الهيكل استغلالا لفقراء العابدين من رجال ونساء ، ولم تكن التجارة موافقة للعبادة ، بل كانت العبادة استغلالا ممجوجاً للمصلين . ولقد كان عمل يسوع فى تطهير الهيكل شفقة ورغبةمنه فى العدل الجماعى والاجتماعى ومن هنا اتخذ خطته .

٣ — كان عمل يسوع جريئاً جداً ، إذ أعلن الحرب السافرة والتحدى البالغ المكشوف رغم أن المؤامرة كانت مدبرة ضده . ولم يستطع الرؤساء أن يمسكوهلأن كل الشعب كان متعلقاً به يسمع منه . ولقد أيقن يسوع أن ساعته على الأبواب ، وكل تعليم منه كان يزيد أعداءه بغضاً وغضباً . هكذا ينبغى أن تكون شجاعتنا كسيدنا ، فلا نخجل من رسالتنا بل ينبغى أن نظهرللجميع لمن نحن ؟ ومن هو الذى نخدمه ؟ !! .

ألامتحان العشرون

بأي سلطان تفعل هذا

وَفِي أَحَدِ تِلْكَ ٱلأَيَّامِ إِذْ كَانَ يُعَلِّمُ الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ وَيُبَشِّرُ وَقَفَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ الشُّيُوخِ. وَكَلَّمُوهُ قَائِلِينَ قُلْ لَنَا بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هٰذَا. أَوْ مَنْ هُوَ ٱلَّذِي أَعْطَاكَ هٰذَا السُّلْطَانَ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَقُولُوا لِي مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ. فَتَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ. وَإِنْ قُلْنَا مِنَ النَّاسِ فَجَمِيعُ الشَّعْبِ يَرْجُمُونَنَا لِأَنَّهُمْ وَاثِقُونَ بِأَنَّ يُوحَنَّا نَبِيٌّ. فَأَجَابُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ وَلَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هٰذَا.

(لوقا ٢٠ : ١ — ٨)

يتحدث هذا الفصل عن ما يمكن أن يسمى بيوم الأسئلة ، فقد إجتمع

اليهود على إختلاف فرقهم وأتوا إلى يسوع يرشقونه بالأسئلة المتوالية علهم يصطادونه بكلمة . لكن يسوع فى حكمته البارعة ، وحذقه وأربه الرائع ، أجابهم بطريقة كبلهم بها فتركهم حيارى بدون كلمة أوجواب . وسأل رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ السؤال الأول . ورؤســـــاء الكهنة هم الطبقة المكونة من رئيس الكهنة الأكبر وأعضاء العائلات التى أتى منها رؤساء الكهنة وتقول الآية : « رؤساء الكهنة والكتبة مع الشيوخ » وهذه كانت سلطة الهيكل الكبرى وهم الطبقات الثلاث التى تكون السنهدريم الذى هو بمثابة المجلس الأعلى والمحكمة العليا لليهود . وهنا السؤال الذى حاكه السنهدريم ليلتمسوا تهمة ليسوع ، فلا عجب إن سألوه بهذه الصيغة : « بأى سلطان تفعل هذا؟ » أى بأى سلطان تدخل إلى أورشليم راكبا ؟ وبأى سلطان بين يديك تقتحم الهيكل لتطهره ؟ .. ولليوم — وهذا أمر غريب — نرى اليهود المستقيمين يقولون إن إدعاء يسوع بهذا السلطان كان أمراً مدهشا .

ولم يظهر من الربيين من أصدر حكما دون إدلائه بالسلطة التى خولت له إصدار حكمه، فيقول مثلا عند البدء فى كلامه « يوجد تعليم يقول هكذا » أو يقول « قال الربى فلان » أجل .. لقد سار يسوع وسط الناس بسلطان لم يماثله فيه أحد قط من معلمى اليهود .. وكان الهدف وراء محاولتهم الماكرة هذه أن ينطق يسوع مباشرة أنه « مسيا وابن الله » ، وعندئذ يتهمونه بالتجديف ويقتلونه فى التو ، أما يسوع فلم يجاوبهم بمقتضى رغبتهم لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد . وكان جواب يسوع بفكره الثاقب وعقله الحصيف على نمط المناظرة ، فطلب منهم جوابا على سؤال « معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس ؟ » وكان جوابهم على يسوع يجيب سؤالهم . كما أن كل واحد منهم عرف نظرة يوحنا المعمدان ليسوع ، وأنه إعتبر نفســـــه مجرد الرجل الذى يعد الطريق ليسوع أى « المسيا » . فلو إعترفوا بسلطان يوحنا المعمدان لكان هذا

منطقا وبديهة إعترافا بسلطان يسوع إذ أن هذا هو إعتراف يوحنا ، ولو أنكروا سلطان يوحنا أنه من الله ، تجمهر الشعب ضدهم لأن هذا ليس مخفيا عنهم . كان جواب يسوع فى الواقع سؤالا بهذا الشكل : «أخبرونى بفكركم من أين يكون سلطانى » وبهذا لا حاجة له الى إجابة سؤالهم إن أجابوه عن سؤاله .

إن الحق يواجه الإنسان فى ألم ومواقف صعبة، وإن رفض الإنسان مواجهته يسقط فى ورطة لا مناص ولا هروب منها . ولقد رفض المرسلون من الفريسيين مواجهة الحق ، ومن ثم انسحبوا أمام الجمهور فى خيبة وهوان .

المثل الذى أعتبر دينونة

وَٱبْتَدَأَ يَقُولُ لِلشَّعْبِ هٰذَا ٱلْمَثَلَ . إِنْسَانٌ غَرَسَ كَرْمًا وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ زَمَانًا طَوِيلًا . وَفِي ٱلْوَقْتِ أَرْسَلَ إِلَى ٱلْكَرَّامِينَ عَبْدًا لِكَيْ يُعْطُوهُ مِنْ ثَمَرِ ٱلْكَرْمِ . فَجَلَدَهُ ٱلْكَرَّامُونَ وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا . فَعَادَ وَأَرْسَلَ عَبْدًا آخَرَ . فَجَلَدُوا ذٰلِكَ أَيْضًا وَأَهَانُوهُ وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا . ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ ثَالِثًا . فَجَرَّحُوا هٰذَا أَيْضًا وَأَخْرَجُوهُ . فَقَالَ صَاحِبُ ٱلْكَرْمِ مَاذَا أَفْعَلُ . أُرْسِلُ ٱبْنِي ٱلْحَبِيبَ . لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلْكَرَّامُونَ تَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ هٰذَا هُوَ ٱلْوَارِثُ . هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ

لِكَيْ يَصِيرَ لَنَا الْمِيرَاثُ . فَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ فَمَاذَا يَفْعَلُ بِهِمْ صَاحِبُ الْكَرْمِ . يَأْتِي وَيُهْلِكُ هٰؤُلَاءِ الْكَرَّامِينَ وَيُعْطِي الْكَرْمَ لِآخَرِينَ . فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا حَاشَا . فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ إِذاً مَا هُوَ هٰذَا الْمَكْتُوب اَلْحَجَرُ اَلَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ . كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذٰلِكَ اَلْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ . وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ .

(لوقا ٢٠ : ٩ — ١٨)

يبدو معنى هذا المثل فى غاية من البساطة والوضوح ، إذ يشير الكرم الى أمة اسرائيل (إش ٥ : ١—٧) . ويشير الكرامون الى رؤساء اسرائيل الذين أسندت اليهم الأمانة على الشعب ، والرسل الذين أرسلهم صاحب الكرم يشيرون الى الأنبياء الذين أهانهم الشعب واضطهدهم وقتل منهم ، أما الإبن فهو يسوع نفسه ، والمصير هو المكانة التىفقدها اسرائيل وأعطيت لغيرهم .

وينطبق هذا المثل على ما كان واقعا بالتمام ، فقد كانت اليهودية فى أيام يسوع تتخبط فى كرب وحيرة ونصب من جراء حالتها الاقتصادية ، مما حدى بأصحاب الكروم أن يهجروا كرومهم ويسلموها الى مستأجرين . وكان من النادر أن يدفع المستأجرون الايجار نقداً ، بل من المحاصيل بغض النظر عن نجاح المحصول أو فشله ، بل أحياناً كانوا يدفعون الإيجار بنسبة مئوية مهما كان فشل أو نجاح المحصول .

وهذا المثل غنى بالتعاليم الدسمة الخاصة بالإنسان .

١ — يخبرنا المثل عن الإمتياز الإنسانى ، فلم يضنع الكرامون الكرم ولكنهم دخلوه كالكين : ولم يراقبهم صاحب الكرم أو يعاملهم فى صرامة وحدة ، بل تركهم يعملون ما يريدون كما يبدو لهم .

٢ — كما يخبرنا المثل عن الخطية ، إذ رفض الكرامون إعطاء صاحب الكرم حقه ، ورغبوا فى الاستيلاء على ما ليس لهم الحق فيه . وبذلك تنحصر الخطية فى فشل الانسان فى إعطاء الله المكان اللائق فى حيـــاتنا واغتصاب ما يحق له من قوة وسلطان .

٣ — يحدثنا أيضاً عن المسئولية الملقاة على البشر ،فقد ترك صاحب الكرم الكرامين يفعلون ما يشاءون ، ولكن جاء يوم الحساب . فإن تأخر اليوم وأبطأ ، أو عجل وأسرع ، فلابد أن يأتى الوقت الذى فيه يعطى الإنسان حساب وكالته .

كذلك يخبرنا المثل عن أمور تختص بالله :

١ — يذكر لنا صبر الله ، إذ لم يعاقب صاحب الكرم الفعلة منذ أول بارقة إشارة فى عصيانهم وثورتهم ، بل قدم لهم فرصاً سانحة حتى يدركوا الصالح ويفعلوه. نعم .. لا يوجد شىء أكثر وأعجب من صبر الله وطول أناته فلو صنع أحد هذا العالم لدمره فى الحال لشره ودنسه .

٢ — ثم يخبرنا المثل عن دينونة الله ، فلقد ظن الكرامون أنهم يستغلون صبر سيدهم ليفوزا بالكرم ، ولكن الله لم يتخل قط عن عرشه ، ومهما عبث الإنسان بأفكاره وبلغ قمة الشطط،فلابد أن يأتى يوم الحساب كالقول الرومانى « العدل فى كفتى الميزان الدقيق الذى تستريح أخيراً فيه الكفتان » .

آخيراً نرى فى هذا المثل أموراً خاصة بيسوع :

١ — يخبرنا المثل أن يسوع كان عالماً بما سيحدث ، فلم يأت إلى أورشليم مفتكراً فى طريقة للهرب من الصليب ، بل جاء إلى أورشليم عالماً بكل شىء غير خائف أو وجل . . قالت النبية كاسندرا لأكيلا البطل اليونانى المشهور: « من المؤكد أنك تموت فى الحرب » فأجاب بثقة « إنى ذاهب لأموت » . ويسوع لم يدر ظهره للصليب أبداً .

٢ — يحدثنا المثل أن يسوع لم يشك البتة فى إنتصار الله ، وكان يعلم يقيناً أنه توجد لله من قوة عظمى ستغلب عندما تظهر قوة الأشرار .. إن الشر يظهر وكأنه يدوم ولكنه سرعان ما يواجه القصاص غير قادر على الهرب منه ، وقد قال رجل حكيم : « يسجل التاريخ ما يفعله الإهمال بانتقامه الشديد ، ويظهر الموت فى ظلام الليل ليفصل بين الماضى والمستقبل ، وترى الحق دائماً على المشنقة والخطأ متربعاً فوق العرش . . تؤثر المشنقة على المستقبل وعلى صغائر الأمور . ويقف الله العلى بين الظلال يراقب ويرى كل الذين له . » .

٣ — يضع أمامنا هذا المثل تبسات قول يسوع بأنه . . « إبن الله » . لقد اختلف عن سائر الأنبياء ، فهم كانوا عبيداً أما هو فالإبن ، وقد قال هو إن أحداً لا يفشل فى رؤيتـه قط ، بل سيراه الكل كالملك وكمختار الله . أما الاقتباس عن الحجر الذى رفضه البناءون فقد ورد فى مزمور ١١٨ : ٢٢، ٢٣ وهو اقتباس محبوب من الكنيسة الأولى إذ يصف موت المسيح وقيامته (أع ٤ : ١١، ١ بط ٢ : ٧) .

فَطَلَبَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ أَنْ يُلقُوا الأَيَادِي عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَلٰكِنَّهُمْ خَافُوا الشَّعبَ . لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ قَالَ هٰذَا الْمَثَلَ عَلَيْهِمْ .

فَرَاقَبُوه وَأَرْسَلُوا جَوَاسِيسَ يَتَرَاءَوْنَ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ لِكَيْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ حَتَّى يُسَلِّمُوهُ إِلَى حُكْمِ الْوَالِي وَسُلْطَانِهِ . فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ بِالإِسْتِقَامَةِ تَتَكَلَّمُ وَتُعَلِّمُ وَلاَ تَقْبَلُ الْوُجُوهَ بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ . أَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نُعطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ . فَشَعَرَ بِمَكْرِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي . أَرُونِي دِينَاراً . لِمَنِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ فَأَجَابُوهُ وَقَالُوا لِقَيْصَرَ . فَقَالَ لَهُمْ أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلّٰهِ لِلّٰهِ . فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ قُدَّامَ الشَّعْبِ . وَتَعَجَّبُوا مِنْ جَوَابِهِ وَسَكَتُوا .

(لوقا ٢٠ : ١٩ ـ ٢٦)

عاود رسل السنهدريم مهاجمة يسوع ، إذ أرسلوا رجالا — بعد أن اجتذبوهم بوسائل إغراء معينة — إلى يسوع يسألونه سؤالا زعموا أنه أقض مضجعهم وأزعج ضمائرهم .

وكانت الضريبة التى تدفع للقيصر ٩ ديناراً سنوياً عن كل شخص من سن ١٤ ـ ٦٥ سنة ، كضريبة لامتياز وجود الإنسان فى الحياة . وكم أثارت هذه الضريبة من أسئلة حائرة فى عقول اليهود ، وكم أضرمت وأشعلت ثورات فى قلوبهم ، لا لكونها مشكلة مالية إذ أنها بسيطة فى قيمتها ، ولكن لكونها معضلة دينية أبرزت تعصب اليهود الذين إدعوا أنه لا ملك لهم غير الله ، ولا ضريبة تدفع لسواه ومن هنا دافعوا عن فكرتهم هذه دفاعاً مستميتاً حتى الموت ، ولذلك أتى رسل السنهدريم ليضعوا كميناً ليسوع يجربونه به .

فإن قال يسوع لا تعطوا جزية لقيصر ، لأخبروا بيلاطس على الفور وقتله فى الحال ، ولو قال أعطوا الجزية لخسر كثيراً من تأييد مؤيديه وخاصة الجليليين الذين ساندوه بكل شىء . لكن يسوع له المجد ، علم أفكارهم وأجابهم بحكمة ومهارة ، فقال « أرونى ديناراً » ، وكانت العادة قديماً أن تكون صورة الملك على العملة . فمثلا وضع المكابيون صورة بحرية أورشليم ، وبهذا خصصت العملة لهم . ومن له الصورة على العملة ، له الحق فى أخذ الضريبة ، وهنا قال يسوع « أعطوا إذاً مالقيصر لقيصر وما لله لله » ، ولنا فى جواب يسوع الحقائق الآتية :

١ — إن عاش إنسان فى بلد ما وتمتع بامتيازاتها ، وشرب من مائها وترعرع فوق أديمها وبين أحضانها لا يمكن أن ينعزل عنها ، بل عليه أن يكون إنساناً نافعاً ومواطناً أميناً . وينبغى أن يكون المسيحى أكثر المواطنين أمانة ووطنية . إنها لمأساة بحق إن كان المسيحى لا يساهم فى عمل بلاده فى أيام كهذه وإن لم يحمل المسيحيون المسئولية ، فليس لهم الحق بالمطالبة والتمتع بامتيازات دولتهم .

٢ — إن حياة المسيحى هى كلمة الحق ، وضمير المسيحى أعلى من أى قانون ،

وبهذه الأمانة يكون المسيحى خادماً للدولة ، ومواطناً صالحاً صادقاً يتجنب الخطأ ، ويخاف الله ، ويكرم الملك .

سؤال الصدوقيين

وَحَضَرَ قَوْمٌ مِنْ ٱلصَّدُّوقِيِّينَ الَّذِينَ يُقَاوِمُونَ أَمْرَ ٱلْقِيَامَةِ وَسَأَلُوهُ . قَائِلِينَ يَا مُعَلِّمُ كَتَبَ لَنَا مُوسَى إِنْ مَاتَ لِأَحَدٍ أَخٌ وَلَهُ ٱمْرَأَةٌ وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ يَأْخُذُ أَخُوهُ ٱلْمَرْأَةَ وَيُقِيمُ نَسْلاً لِأَخِيهِ . فَكَانَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ . وَأَخَذَ الأَوَّلُ ٱمْرَأَةً وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ . فَأَخَذَ ٱلثَّانِى ٱلْمَرْأَةَ وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ . ثُمَّ أَخَذَهَا ٱلثَّالِثُ وَهٰكَذَ ٱلسَّبْعَةُ . وَلَمْ يَتْرُكُوا وَلَداً وَمَاتُوا . وَآخِرَ ٱلْكُلِّ مَاتَتِ ٱلْمَرْأَةُ أَيْضاً . فَفِى ٱلْقِيَامَةِ لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً . لِأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِلسَّبْعَةِ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَبْنَاءُ هٰذَا ٱلدَّهْرِ يُزَوِّجُونَ وَيُزَوَّجُونَ . وَلٰكِنَّ ٱلَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلاً لِلْحُصُولِ عَلَى ذٰلِكَ ٱلدَّهْرِ وَٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ لا يُزَوِّجُونَ . إِذْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضاً لِأَنَّهُمْ مِثْلُ ٱلْمَلاَئِكَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ ٱللهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ ٱلْقِيَامَةِ . وَأَمَّا أَنَّ ٱلْمَوْتَى يَقُومُونَ فَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ مُوسَى أَيْضاً فِى أَمْرِ ٱلْعُلَّيْقَةِ كَمَا يَقُولُ . ٱلرَّبُّ إِلٰهُ

إِبْرٰهِيمَ وَإِلٰهُ إِسْحٰقَ وَإِلٰهُ يَعْقُوبَ . وَلَيْسَ هُوَ إِلٰهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلٰهُ أَحْيَاءٍ لِأَنَّ الْجَمِيعَ عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ . فَأَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَقَالُوا يَا مُعَلِّمُ حَسَناً قُلْتَ . وَلَمْ يَتَجَاسَرُوا أَيْضاً أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ .

(لوقا ٢٠ : ٢٧ — ٤٠)

ما أن أسكت يسوع الفريسيين حتى قام الصدوقيون مقاومين ومعاندين، وانحصر سؤالهم فى أمرين :

١ — الأمر الأول هو قانون زواج الأخ بزوجة أخيه بعد وفاته (تثنية ٢٥ : ٥) الذى يقضى بزواج الأخ من امرأة أخيه المتوفى بدون أولاد ، ليقيم نسلا لأخيه لإحياء ذكرى الميت ، وقد كان هذا القانون معدوماً تقريباً فى أيام يسوع ، إلا أنه فى شريعة موسى ، واعتبره الصدوقيون رباطاً يرتبط به الشعب .

٢ — أما الأمر الثانى فينحصر فى عقيدة الصدوقيين الذين ينكرون القيامة مع الفريسيين لكن معتقد الفريقين مختلف جداً :

(ا) كان الفريسيون متدينين مبتعدين عن أية مطامع سياسية ، قانعين بأى نظام حكومى لا يمنعهم عن تأدية شعائرهم الدينية . وأما الصدوقيون فكانوا أغنياء مع ضآلة عددهم ، وكان الكهنة والأستقراطيون كلهم تقريباً من الصدوقيين . كما كانوا هم الطبقة الحاكمة ولهم صداقة وعلاقة وثيقة مع الرومانيين الحكام . وهذا ما يحدث دائماً أن يتزامل الأغنياء ويتحدوا فى أية أمة محتلة مع الحكام والرؤساء خوفاً على أموالهم ومراكزهم وامتيازاتهم .

(ب) قبل الفريسيون الكتب مزودة بالأنظمة والقوانين المختلفة والمتعددة والقوانين الشفوية المطولة فى الناموس الطقسى مثل قانون السبت وغسل الأيدى وما شاكل ذلك ، وأما الصدقيون فلم يقبلوا سوى الشريعة المكتوبة فى العهد القديم ، ووضعوا التنبير على كتب موسى دون الأنبياء .

(حـ) آمن الفريسيون بالقيامة من الأموات وبالملائكة وبالأرواح وأنكر الصدوقيون كل هذه

(د) يؤمن الفريسيون بالقضاء والقدر ،وأن حياة الإنسان مرتبة ومنظمة من الله ، بينما يؤمن الصدوقيون بعدم محدودية الإرادة الحرة .

(هـ) يؤمن الفريسيون بمستقبل رحب عريض بمجىء المسيا ، وهذا بخلاف الصدوقيين ،لأن مجىء المسيا يقلب نظام حياتهم المتقن بحسب ذكرهم

ولهذا أتى الصدوقيون ليسوع بالسؤال عن من يكون زوج المرأة — التى تزوجت السبعة إخوة — فى القيامة ، فى اليوم الأخير ، وبهذا زعموا وادعوا أنهم يؤمنون بالقيامة كسخرية منهم . لكن يسوع قدم لهم جواباً ضم بين دفتيه كل الحق كعادته ، وكأنى به يقول ينبغى أن لا نفكر فى السماء بنفس تفكيرنا الأرضى، لأن الحياة فى السماء تختلف اختلافاً بيناً عن الحياة فى الأرض إذ لا يدخلها عديمو الذكاء ، وإن تركنا تأملاتنا فى السماء فإننا نترك محبة الله وذهب يسوع فى كلامه أبعد من هذا الحد ، إذ أوضح الصدوقيون وأظهروا إنكارهم لقيامة الأجساد لأنه لا يوجد إعلان واضح مكتوب عن القيامة فى أسفار موسى ، ولم يعارضهم أحد من المعلمين فى هذا الأمر . أما يسوع فقد عارضهم بقوله إن موسى نفسه سمع قول الله : « أنا إله أبيك ، إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب » (خر ٣ : ١ — ٦) ولا يمكن أن يكون الله إله أموات ، لأن ابراهيم واسحق ويعقوب أحياء بالفعل ، ويكفى أن يكون هذا

وليلا على قيامة الأجساد . وهنا ابتهج الكتبة بجوابه للصدوقيين ، وانتصر هو عليهم .

وكم كان هذا الفصل مجديا بالنسبة لمثل هذه الأسئلة المحرجة التى اجتاحت كل أيام يسوع والتى كانت تظهر كمركز اقتناع الربيين وإيمانهم ، ولكنها لا توافق الفكر الحديث . كما يحتوى هذا الفصل على حقيقة عظيمة خالدة لمن يريد أن يظهر تعاليم المسيح للآخرين ، إذ استخدم يسوع براهين يفهمها الناس لقد كلمهم بلغتهم وعاملهم بموجب عقليتهم ، ولذلك سمع منه عامة الناس بفرح وقبول . وأحياناً يدرس الإنسان كتباً دينية لاهوتية . ويشعر أنها على حق لكنه يجد من المتعذر حملها إلى العقل الغير اللاهوتى فى العالم أو فى الكنيسة بل فى الأغلبية الساحقة ، ولذلك استخدم يسوع ما يفهمه الناس حيث خاطبهم من جنس أفكارهم وألفاظهم . هكذا لو سرنا على خطى يسوع وحذونا حذوه ، لأصبحنا من أفضل المعلمين المسيحيين وأعظمهم شهادة ليسوع .

تحذيرات المسيح

وَقَالَ لَهُمْ كَيْفَ يَقُولُونَ إِنَّ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنُ دَاوُدَ . وَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَقُولُ فِي كِتَابِ ٱلْمَزَامِيرِ قَالَ ٱلرَّبُّ لِرَبِّي ٱجْلِسْ عَنْ يَمِينِي . حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ . فَإِذًا دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا فَكَيْفَ يَكُونُ ٱبْنَهُ .

(لوقا ٢٠ : ٤١ — ٤٤)

يجدر بنا أن ندرس هذا الفصل منفرداً عن غيره نسبة لصعوبته ، فقد سمى المسيا إبن داود ، وكان هذا لقباً عاماً له ومشهوراً به ، فترى الأعمى الذى كان

على طريق أريحا يدعوه به (لو ١٨ : ٣٨و٣٩) كما أن الجموع وهو داخل إلى أورشليم دعته بنفس اللقب (مت ٢١ : ٩) . وكأن يسوع هنا يلقى غموضاً على قانونية هذا اللقب المقتبس من مز ١١٠ : ١ واختصت المزامير في أيام المسيح بداود ، أما هذا المزمور فيشير الى يسوع أى المسيا ، ويقول داود إنه سمع الله يتكلم مع مسيحه ويخبره أن يجلس عن يمينه حتى يضع أعداءه تحت قدميه ، ويدعو داود المسيا ربه ، إذاً كيف يكون المسيا ابن داود ؟ وكيف يكون رب داود فى وقت واحد ؟! وهنا عمل يسوع ما كان يجتهد أن يصنعه دائماً ، فأراد أن يكشف ستار الأفكار عن المسيا ، اذ افتكر الكل أنه فى أيام المسيا يأتى العصر الذهبى الذى فيه تصعد الأمة الاسرائيلية الى قمة العظمة فى العالم . لقد كان حلماً يراودهم فى ميدان القوة السياسية عند مجىء أحدمن نسل داود . يكون عظيماً وجباراً وعتياً لا يقهر ولا يظفر به ؛ بل يكون رئيساً وملكاً فى هذا العالم ؛ ولذلك كان هذا اللقب « ابن داود » متحداً مع السلطان الأرضى وممتزجاً بالجرأة الحربية العسكرية وملتصقاً بالانتصار المادى . وأراد يسوع أن يقول : « أنتم تفتكرون عند مجىء المسيا أنه ابن داود ، وهو هكذا بل أكثر من ذلك، « هو الرب » . وبهذا أراد أن يصلح أفكارهم من جهته ، حتى ينصرفوا عن الأرضيات الخيالية ، وينتظروا المسيا الملك على قلوب الناس وحياتهم . لقد كان يوبخهم على عدم خضوع تفكيرهم لفكر الرب وفيه . . أجل . . إن الإنسان دائماً يميل إلى التفكير فى الله حسب فكرة البشرى القاصر ، ولذلك يجهل عظمة الله الحقيقية .

محبة الشرف من الناس

وَفِيمَا كَانَ جَمِيعُ ٱلشَّعْبِ يَسْمَعُونَ قَالَ لِتَلَامِيذِهِ . ٱحْذَرُوا مِنَ ٱلْكَتَبَةِ ٱلَّذِينَ يَرْغَبُونَ ٱلْمَشْيَ بِٱلطَّيَالِسَةِ

وَيُحِبُّونَ ٱلتَّحِيَّاتِ فِي ٱلأَسْوَاقِ وَٱلْمَجَالِسَ ٱلأُولَى فِي ٱلْمَجَامِعِ وَٱلْمُتَّكَآتِ ٱلأُولَى فِي ٱلْوَلَائِمِ . ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ ٱلأَرَامِلِ وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ ٱلصَّلَوَاتِ . هٰؤُلَاءِ يَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ .

(لوقا ٢٠ : ٤٥ — ٤٧)

إعتاد الكتبة والربيون قبول الكرامة ومحبة الشرف من الناس ، وكانت لهم قوانين وضعوها بعناية فائقة وبها عرفوا كيف ينالون الأسبقية فى الكرامة . فكان الربى الكبير فى التعليم يأخذ الأولوية فى الكلية وفى الوليمة كالأكبر والأقدم ، وقد سجل عن اثنين من الربيين أنهما دخلا مكاناً بعد ماسارا فى الشارع وكانا غاضبين لأن أكثر من شخص رحب بهما قائلا « ليكن سلامكما عظيما » بدون إضافة كلمة « ياسيدى » . وادعوا لأنفسهم الاحترام والعظمة أكثر من الوالدين فقالوا . « دع إحترامك لصديقك مثل إحترامك لمعلمك ، واحترامك لمعلمك مثل احترامك لله ، وينبغى أن يفوق إحترام المعلم عن إحترام الوالد إذ أنه مكرم عند الاثنين . إذا فقد الأب والمعلم شيئاً فما فقده المعلم يكون له الإهتمام الأول ، لأن والد الإنسان أتى به إلى هذا العالم ، أما المعلم فقد علمه الحكمة وأحضره إلى الحياة فى العالم الآتى ، وإن حمل الوالد حملا ، وهكذا المعلم ، فليساعد التلميذ معلمه أولا ثم يساعد أباه بعد ذلك . وإن كان الوالد أو المعلم فى أسر ،وجب عليه أن يفك أسر معلمه أولا ثم يفك بعدئذ أسر أبيه » .

وكانت تلك الادعاءات لا تصدق ، إذ ليس حسناً أن يقبلها إنسان على

نفسه ، ولكن هذا مافعلوه . كما اتهم يسوع الكتبة بإبتلاع بيوت الأرامل ، وجعل الشرع يقضى أن يعلم الربى بدون مقابل لكونهم تجاراً وينبغى أن يكتفوا بثمر وبتعب أيديهم . لكنهم على النقيض من ذلك قالوا : « إن من يعول ربياً فقد بلغ أعلى مراتب الشرف فى حياة التقوى ، ومن وضع درهما فى يد أحد الحكماء صار مستحقاً للجلوس على كرسى علمى فى مجالس السماء ، ومن يضيف تلميذاً لأحد الحكماء فى بيته يكون كمن قدم ذبيحة يومية . . . إجعل بيتك مسكناً للحكماء !! » .. أجل . . لقد ابتلعوا بيوت الأرامل اللواتى وقعن تحت تأثيرهم إذ إقتنعن أنهم مصدر تعزية لهن . . وكم أضرم كل هذا ثورة عارمة وأجج غيرة متقدة فى قلب يسوع وفكره إذ تسلط هؤلاء القوم على حياة الناس كلية ، وأخضعوهم تحت تصرفهم . وهنا أوضح يسوع أن الله يدين الناس عندما يستخدمون مراكزهم وسلطانهم لقضاء مصالحهم الذاتية ولنيل فوائدهم ومآربهم الخاصة .

ٱلْأَصْحَاحُ الْحَادِى وَٱلْعِشْرُونَ

ألعطيّة الثمينة

وَتطلَّعَ فرَأَى ٱلْأَغْنِيَاءَ يُلقُونَ قَرَابِينَهُمْ فِى ٱلْخِزَانَةِ . وَرَأَى أَيْضًا أَرْمَلَةً مِسْكِينَةً أَلقَتْ هُنَاكَ فَلْسَيْنِ . فَقَالَ بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هٰذِهِ الْأَرْمَلَةَ ٱلفَقِيرَةَ أَلقَتْ أَكْثَرَ مِنَ ٱلْجَمِيعِ . لِأَنَّ هؤُلَاءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلقَوْا فِى قَرَابِينِ ٱللهِ . وَأَمَّا هٰذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلقَتْ كُلَّ ٱلْمَعِيشَةِ ٱلَّتِى لَهَا .

(لوقا ٢١ : ١ — ٤)

كان فى دار النساء فى الهيكل ثلاثة عشر صندوقاً لدفع التقدمات عرفت بالأبواق ، لأن شكلها يشبه البوق ، فتحته الصغيرة من أعلى وفتحته الكبيرة من أسفل . وكل بوق لغرض خاص ، فمثلا يدفعون فى البوق الأول لأجل شراء الخشب الذى به تحرق الذبائح فى الهيكل ، وآخر يدفعون فيه لشراء البخور ، وثالث لأجل صيانة الأوانى الذهبية ، وهكذا . . . وجلس يسوع بجانب الخزانة متعباً مكدوداً ، بعد الإجابة على أسئلة رسل السنهدريم والصدوقيين واضعاً رأسه بين يديه ، وتطلع فرأى أناساً يقدمون قرابينهم فى الهيكل ، وعندئذ أتت أرملة فقيرة وقدمت فلسين هما كل ما لديها . والفلس هو أصغر عملة أى ربع مليم ، لكن يسوع ذكر تقدمتها كأكبر تقدمة ، إذ قدمت أكثر من الجميع لأنها قدمت كل ما عندها .

وهناك شيئان يبرزان قيمة العطية :

١ — الروح الذى به تعطى ،إذ تفقد العطية قيمتها إن قدمت بدون رغبة صادقة ، أو قدمت حسداً أو لأجل إرغام النفس . فالعطية الحقيقية تقدم بقلب محب راض ، معبراً بالقول « لست مستحقاً أن أقدم شيئاً » .

٢ — تقيم العطية بمقدار التضحية فيها ، وما يعتبره إنسان شيئاً تافهاً قد يكون هو ذات القيمة الكبرى عند الغير. فما كان يقدمه الأغنياء فى الأبواق لم يكلفهم كثيراً ، وأما الفلسان اللذان قدمتهما المرأة قد كلفاها كل شيء ، كل ما كان عندها ! ، . لقد أعطوا حتى يجدوا شيئاً فى الحصيلة ، وأما الأرملة فأعطت مالا تقدر أن تزيد عليه ، ولا يحسب العطاء إن لم يكن من الإعواز ، إذ يظهر مقدار محبتنا ، لأننا نعمل بدون مقابل بل نجاهد لنعطى أكثر . ما أقل الذين يقدمون بروح الإيثار والمحبة . قال أحدهم : «لو كل مافى الدنيا ملكى لكان تقدمة ضئيلة بسيطة أقدمها لربى ... لأن محبته الإلهية العجيبة تستحق حياتى ونفسى وكيانى بجملته » . . إن من يدرس قصة الأرملة التى قدمت الفلسين إلى الخزانة ، ولا يفحص نفسه من ناحية العطاء فهو بحق فاقد الشعور وناكر للجميل .

الأخبار بالاضطرابات

وَإِذْ كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ عَنِ ٱلْهَيْكَلِ إِنَّهُ مُزَيَّنٌ بِحِجَارَةٍ حَسَنَةٍ وَتُحَفٍ قَالَ . هٰذِهِ ٱلَّتِي تَرَوْنَهَا سَتَأْتِي أَيَّامٌ لا يُتْرَكُ فِيهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ. فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ يَا مُعَلِّمُ مَتَى يَكُونُ هٰذَا وَمَا هِيَ ٱلْعَلاَمَةُ عِنْدَمَا يَصِيرُ هٰذَا . فَقَالَ

أَنظُرُوا لاَ تَضِلُّوا . فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِٱسْمِي قَائِلِينَ إِنِّي أَنَا هُوَ وَٱلزَّمَانُ قَرُبَ . فَلاَ تَذْهَبُوا وَرَاءَهُمْ . فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَقَلاَقِلٍ فَلاَ تَجْزَعُوا لِأَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هٰذَا أَوَّلاً . وَلٰكِنْ لاَ يَكُون ٱلْمُنْتَهَى سَرِيعاً . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ . وَتَكُونُ زَلاَزِلُ عَظِيمَةٌ فِي أَمَاكِنَ وَمَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ . وَتَكُونُ مَخَاوِفُ وَعَلاَمَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ . وَقَبْلَ هٰذَا كُلِّهِ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَامِعٍ وَسُجُونٍ وَتُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَوُلاَةٍ لِأَجْلِ ٱسْمِي . فَيَؤُولُ ذٰلِكَ لَكُمْ شَهَادَةً . فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لاَ تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلُ لِكَيْ تَحْتَجُّوا . لِأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَماً وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا . وَسَوْفَ تُسَلَّمُونَ مِنَ ٱلْوَالِدِينَ وَٱلإِخْوَةِ وَٱلأَقْرِبَاءِ وَٱلأَصْدِقَاءِ . وَيَقْتُلُونَ مِنْكُمْ . وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ ٱلْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ ٱسْمِي . وَلٰكِنَّ شَعْرَةً مِنْ رُؤُوسِكُمْ لاَ تَهْلِكُ . بِصَبْرِكُمْ ٱقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ . وَمَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ مُحَاطَةً بِجُيُوشٍ فَحِينَئِذٍ ٱعْلَمُوا أَنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ خَرَابُهَا . حِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ ٱلَّذِينَ فِي ٱلْيَهُودِيَّةِ إِلَى ٱلْجِبَالِ .

وَٱلَّذِينَ فِي وَسَطِهَا فَلْيَفِرُوا خَارِجاً . وَٱلَّذِينَ فِى ٱلْكُوَرِ فَلاَ يَدْخُلُوهَا . لِأَنَّ هٰذِهِ أَيَّامُ ٱنتِقَامٍ لِيَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ . وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَٱلْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ لِأَنَّه يَكُون ضِيقٌ عَظِيمٌ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَسُخْطٌ عَلَى هٰذَا ٱلشَّعْبِ . وَيَقَعُونَ بِفَمِ ٱلسَّيْفِ وَيُسْبَوْنَ إِلَى جَمِيعِ ٱلْأُمَمِ . وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مَدُوسَةً مِنَ ٱلْأُمَمِ حَتَّى تُكَمَّلَ أَزْمِنَةُ ٱلْأُمَمِ .

(لوقا ٢١ : ٥ — ٢٤)

خلفية الأصحاح . .

إبتداء من العدد الخامس فى هذا الأصحاح نرى بوضوح صعوبة بالغة فى التفسير نتيجة أربعة أفكار كامنة فيه .

١ — الإعتقاد بيوم الرب : قسم اليهود الزمن إلى مرحلتين : العالم أو الدهر الحاضر وهو وقت ردىء يتسم بالشر والفساد والهلاك ، والدهر الآتى أو عصر الرب الذهبى ، وفيه يسود اليهود على العالم . ولكن بين الدهرين يأتى « يوم الرب » محاطا باضطراب عنيف وشغب وآلام شديدة ومخاوف مزعجة « هوذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطاتها » (إش ١٣ : ٩ ، يو ٢ : ٢١ ، عاموس ٥ : ١٨ — ٢٠ ، صفنيا ١ : ١٤ — ١٨) كما أنه يتصف بعنصر المفاجأة إذ يأتى « بغتة كلص فى الليل » كما هو واضح فى (١تس ٥ : ٢ ، ٢بط ٣ : ١٠) . يوم فيه تتهشم كل الأرض « فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تبرز نورها . تظلم الشمس عند طلوعها ، والقمر لا يلمع بضوء (إش ١٣ : ١ — ١٣ ، يوئيل ٢ : ٣٠ ، ٣١ ، ٢ بط

٣ : ١٠) . وكان يوم الرب يتبوأ عرش الصدارة فى تفكير اليهود فى أيام المسيح ، وفى الأعداد ٩ ، ١١ ، ٢٥ ، ٢٦ نرى كيف كان هذا الموضوع الشغل الشاغل لكل يهودى فى ذلك الوقت .

٢ — النبوة بخراب أورشليم . . . وقد سقطت بيد الرومان سنة ٧٠ م بعد حصار حديدى ورزح السكان تحت وطأة البربرية حيث تم المكتوب حرفيا وأخذ الرومان حجراً بعد حجر فى المدينة . وأعطى يوسيفوس المؤرخ اليهودى صورة مجحفة مروعة لم حدث إذ قال : « هلك فى الحصار العنيف مليون وألف نسمة وأسروا منهم ٩٧ ألف نسمة ، وفنيت الأمة اليهودية بكاملها وأحرقوا الهيكل حتى كاد يندثر » ، أما الأعداد ٥ ، ٦ ، ٢٠ ـ ٢٤ فإنها تشير بجلاء أن مابها من حوادث سيتم مستقبلا .

٣ — مجىء المسيح الثانى : وأكد يسوع هذا المجىء مراراً وتكراراً ، وكانت الكنيسة الأولى تنتظر مجيئه . وإذا أردنا أن نفهم مجىء المسيح فى ضوء تعاليم العهد الجديد يجب أن نتذكر ما تصوره القدماء فى يوم الرب وأدخل إلى مجىء المسيح ثانية . وفى عددى ٢٧ ، ٢٨ نلمح صورة واضحة لمجىء المسيح، كما أن الآيات ٧،٨،٩ تبرز ما يحدث قبل المجىء من معلمين كذبة واضطرابات ومخاوف وبلية .

٤ — الاضطهاد الآتى : وقد أخبر يسوع بمجىء ضيقات واضطرابات مفزعة تلصق بالجميع لأجله ولاجل اسمه كما هو واضح فى الأعداد من١٢-١٩ .

الرســـالة :

كان هذا الحديث تعقيباً على مجد الهيكل ،الأمر الذى حرك يسوع للحديث عما سيحل به. وكانت أعمدة الهيكل المثبتة عليها الأقبية والأروقة مصنوعة من الرخام

الأبيض ، يتكون كل عمود من قطعة واحدة يبلغ ارتفاعها أربعين قدماً . ومن روائع الهيكل « الكرمة العظمى » وهى من الذهب الخالص ، يبلغ طول العنقود الواحد فيها قامة رجل عادى . ولقد أجاد وأبدع يوسيفوس عندما تكلم عن وصفها بجانب كتاباته عن حروب اليهود فى الفصل الخامس من كتابه الخامس إذ قال : « يوجد على واجهة الهيكل الأمامية مايبهر الناظر ويخلب لبه بالنسبة لألواح الذهب الثقيلة الوزن ، وكلما بزغت الشمس من خدرها أرسلت أشعتها النورانية على الذهب فترتد الأشعة بضياء وهاج متلألىء لا يستطيع الإنسان أن ينظر إليه ، بل يدير وجهه لئلا يأخذ بريق الذهب من عينيه كمن رد وجهه بعيداً عن أشعة الشمس ذاتها .. وكان يخيل للناظر الغريب أن الهيكل قمة جبل بلورى تكسوه الثلوج البيضاء والناصعة » ، ولم يخطر ببال أى يهودى أن يتهدل بناء هذه التحفة النادرة كما يتهدل وجه حسناء بارعة الجمال ، فهل يتردى ويسقط هذا البناء المنيف الرائع على الأرض ويضحى رمساً وتراباً !!! .. ومن بين سطور هذا الفصل نتعلم أموراً أساسية عن يسوع وعن الحياة المسيحية ..

١ — إستطاع يسوع أن يرسم صورة للزمن الآتى واخترق بصره النفاذ قوافل الأجيال والسنين .

وقد رأى جلياً ما كان يزمع الآب أن يفعله . . ومن يستطيع غيره أن يرى الخطر المقبل ومخبآت السنين ..

٢ — كان يسوع أميناً إلى أقصى حدود الأمانة ، وهذا ماقاله لتلاميذه : « ماذا تريدون لو تبعتمونى » وبهذا قصد يسوع أن يدرك الناس أنه لا يوجد طريق هين لين بالنسبة للأبطال المجاهدين .

٣ — لم يترك يسوع تابعيه يقاسون الآلام بمفردهم ، والحقيقة الخالدة

الظاهرة فى التاريخ أن عظماء المسيحيين قضوا أوقاتاً سعيدة عندما أضرمت النار فى أجسادهم ، أو عندما كانوا يواجهون الموتْ بأية صورة من صوره ، لأنهم لمسوا وجود يسوع معهم ، فكان لهم السجن كالقصر ، والمقصلة كالتاج ، وجسيثمانى كالبستان ... وكلما هبت عواصف الحياة كان يسوع معهم !!.

٤ — تكلم يسوع عن الخلاص الذى يفوق كل تهديد ويطغى على كل وعيد فى الأرض « شعرة من رؤوسكم لا تسقط » .. وحرىٌّ بروبرت بروك أن يكتب أثناء حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ « رأينا نجاة فى كل كارثة دهماء ، ونلنا سلاماً لا يتزعزع للأبد . وعند انبلاج الصباح ووسط نهر الدموع والسرور ، فى وسط الليل البهيم ، وعند تغريد العصافير ، ووجود السحب ، فى نومنا وحريتنا وخريف أوقاتنا ، لنا بيت لاتغيره الدهور .. وقد يفقد من يسير مع يسوع حياته لكنه لا يفقد نفسه » .

الساعة

وَتَكُونُ عَلاَمَاتٌ فِي ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلنُّجُومِ . وَعَلَى ٱلأَرْضِ كَرْبُ أُمَمٍ بِحَيْرَةٍ . ٱلْبَحْرُ وَٱلأَمْوَاجُ تَضِجُّ . وَٱلنَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوفٍ وَٱنْتِظَارِ مَا يَأْتِي عَلَى ٱلْمَسْكُونَةِ لِأَنَّ قُوَّاتِ ٱلسَّمٰوَاتِ تَتَزَعْزَعُ . وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ٱبْنَ ٱلإِنْسَانِ آتِياً فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ . وَمَتَى ٱبْتَدَأَتْ هٰذِهِ تَكُونُ فَانْتَصِبُوا وَٱرْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لِأَنَّ نَجَاتَكُمْ تَقْتَرِبُ . وَقَالَ لَهُمْ مَثَلاً . ٱنْظُرُوا إِلَى شَجَرَةِ ٱلتِّينِ وَكُلِّ

الْأَشْجَارِ . مَتَى أَفْرَخَتْ تَنْظُرُونَ وَتَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنَّ الصَّيْفَ قَدْ قَرُبَ . هٰكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا مَتَى رَأَيْتُمْ هٰذِهِ الْأَشْيَاءَ صَائِرَةً فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ . اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يَمْضِي هٰذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ . السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلٰكِنَّ كَلاَمِي لا يَزُولُ . فَاحْتَرِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيٰوةِ فَيُصَادِفَكُمْ ذٰلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً . لِأَنَّهُ كَالْفَخِّ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْجَالِسِينَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ . اِسْهَرُوا إِذًا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلاً لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هٰذَا الْمُزْمِعِ أَنْ يَكُونَ وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الْإِنْسَانِ .

وَكَانَ فِي النَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ . وَكَانَ كُلُّ الشَّعْبِ يُبَكِّرُونَ إِلَيْهِ فِي الْهَيْكَلِ لِيَسْمَعُوهُ .

(لوقا ٢١ : ٢٥ — ٣٨)

في هذا الجزء نجد فكرتين رئيسيتين :

١ — الأولى عن مجيء المسيح الثاني .. وقد أثيرت في هذا الموضوع الكثير من الأفكار ، متى يكون ؟ وبأي شكل ؟ ، ولاعلاقة لنا بهذا الآن .

أما الحقيقة البارزة فيه هي اعتقاد الصدوقيين أمر الزمان كالدائرة ، وقالوا إن كل ثلاثة آلاف سنة تحترق الأرض بحريق عظيم ، ثم تبدأ الحياة في الأرض ثانية وهكذا تدور عجلة الزمن فيعيد نفسه ، أما المسيحيون فقد أدركوا أن للتاريخ غرضاً ، والغرض هو أن يسوع المسيح يكون رباً وإلهاً للجميع ، وهذا كل ما نعرفه وكل ما نحتاج لمعرفته .

٢ — ينبغي أن نكون على استعداد دائم .. ولا يليق بالمسيحي أن يعيش لموقف وقتي بل له انتظار عظيم لا يحد ، إذ يعيش في ظل الأبدية . وسيأتي اليوم إن كان يناسبنا أو لا يناسبنا لنقف في حضرة الله ، ولا يوجد شيء مبهج ومسر كحياة المسيحي الساهر اليقظ .

٣ — صرف يسوع يومه بين الجموع في الهيكل ، وصرف ليلته تحت النجوم مع الله واسترد قواه ليقابل الجموع في وقت خلوته وهدوئه لأنه أتى للناس من حضرة الله .

الأَصْحَاحُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

دُخول الشَّيْطَان في يهوذا

وَقَرُبَ عِيدُ الْفَطِيرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْفِصْحُ. وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يَقْتُلُونَهُ. لأَنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ.

فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا الَّذِي يُدْعَى الإِسْخَرْيُوطِيَّ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الاِثْنَيْ عَشَرَ. فَمَضَى وَتَكَلَّمَ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ الْجُنْدِ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ. فَفَرِحُوا وَعَاهَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. فَوَاعَدَهُمْ وَكَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ خِلْواً مِنْ جَمْعٍ.

(لوقا ٢٢ : ١ — ٦)

عندما أتى يسوع إلى أورشليم ليموت كان وقت عيد الفصح ، وليس عيد الفطير كعيد الفصح تماماً ، لأن عيد الفطير يستمر سبعة أيام من ١٥ — ٢١ نيسان (أبريل) ، أما الفصح فكان يؤكل فى الخامس عشر من نيسان ، وهو تذكار خلاص إسرائيل وخروجهم من أرض مصر من عبوديتهم (خروج ١٢) . وفى تلك الليلة ضرب الملاك المهلك كل بكر بيت فى أرض مصر ماعدا بيوت

الإسرائيليين إذ رش الدم على العتبة العليا والقائمتين وهو دم خروف الفصح ليميز بيوتهم ، وفي تلك الليلة التاريخية أيضاً خرجوا على عجل عند أكل طعامهم الأخير ولم يكن لهم وقت لعمل خبز مختمر بل كان فطيراً فأكلوه ، وكانت توجد تجهيزات محكمة لأجل الفصح ، فكانت تصلح الطرق لئلا يشمئز منها الذاهبون إلى العيد أو يمسونها فيتنجسوا ، وكانوا يعلمون في كل المجامع عن قصة الفصح ومعناه قبل حلوله بشهر كامل ، وكانوا يفتشون البيت بكل دقة عن الخمير قبل عيد الفصح بيومين ، فيأخذ رب البيت شمعة ويفتش كل ركن وكل مكان في صمت بالغ ويطرح كل ذرة من الخمير خارجاً . كما كان على كل ذكر يهودي بالغ أن يمارس الفصح ويحضره في أورشليم حتى وإن كان مسكنه يبعد عن أورشليم بمقدار خمسة عشر ميلا ، وكان ذلك حلم الحياة بالنسبة لكل يهودي في كل بقعة من بقاع الأرض أين يأتي إلى أورشليم إلى العيد ولو مرة واحدة في حياته . وفي أيام العيد يدعى كل يهودي بحفظ الفصح ويطلب أن يتيح له الله فرصة سانحة للحضور في السنة المقبلة ، ولذلك كانت أورشليم تكتظ وتزدحم بالمعيدين في كل عام . وكان سيستوس Cestius والياً على اليهودية في عهد نيرون الذي قصد الاستخفاف بأهمية الإيمان اليهودي فأخذ تعداد الخراف التي تقدم كذبائح في أحد أعياد الفصح ـ وطبقاً لأقوال يوسيفوس ـ بلغ عددها ٢٥٦٫٥٠٠ ، وكانت الشريعة تقضي أن أقل عدد يقدم في العيد هو ١٠ وهذا يعني أنه إذا صحت هذه الأرقام يكون عدد الصاعدين إلى الهيكل في العيد أكثر من ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ نسمة . وفي هذه المدينة الحافلة بالجماهير المحتشدة للعيد تم القبض على يسوع .

وكانت أيام العيد حارة ملتهبة ، وكانت الرئاسة الرومانية تقطن قيصرية ولذلك كان من الطبيعي أن يكون في أورشليم عدد قليل من الجنود الرومان ولكنهم أوفدوا في أيام العيد أفواجاً كبيرة من الجنود ، وكانت العقبة

الكأداء أمام شيوخ اليهود هى كيف يقبضون على يسوع بدون أن يفعل جرماً أو يقترف إثماً ، ولكن يهوذا بخيانته سهل أمامهم كل عسير إذ دخل الشيطان فيه . ولنا فى هذا أمران :

١ — كما يقصد الله يستخدم البشر لإتمام أغراضه وإرادته كذلك قد يستخدم الشيطان ، وعندئذ يصبح الإنسان آلة خير أو آلة شر لله أو للشيطان ، وهذا يتفق مع ما يقوله أتباع زرواستر « بأن الكون كله فى حرب مستمرة بين إله النور وإله الظلمة ... وعلى الإنسان أن يختار طاعة أحدهم » .. حقاً إن الإنسان يستطيع أن يكون خادماً للنور أو للظلمة .

٢ — تبقى الحقيقة الثابتة أن الشيطان لم يستطيع أن يدخل فى يهوذا لو لم يفتح هو باب قلبه له ، فلا توجد يد خارجاً عن قلب الإنسان تقدر أن تفتحه إن لم يفتح من الداخل ، إذ يفتح كل إنسان قلبه لما هو أعلى وأسمى و لما هو أدنى وأقل ، وبذلك يقرر مصيره بنفسه . هذا هو إختيارنا ، إما آلات بيد الشيطان أو أسلحة فى يد الله ، وبإمكاننا أن نسجل أنفسنا فى إحدى الخدمتين ، وليساعدنا الله حتى نختار الحق وننهج الصواب ونعيش لله .

العشاء الأخير

وَجَاءَ يَوْمُ الفَطِيرِ الَّذِى كَانَ يَنبَغِى أَنْ يُذْبَحَ فِيهِ الْفِصْحُ . فَأَرْسَلَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا قَائِلاً اذْهَبا وَأَعِدَّا لَنَا الفِصْحَ لِنَأْكُلَ . فَقَالاَ لَهُ أَيْنَ تُرِيدُ أَن نُعِدَّ . فَقَالَ لَهُمَا إِذَا دَخَلْتُمَا الْمَدِينَةَ يَسْتَقْبِلُكُمَا إِنسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ . اتْبَعَاه إِلى الْبَيْتِ حَيْثُ يَدْخُلُ . وَقُولاَ لِرَبِّ الْبَيْتِ يَقُولُ لَكَ الْمُعَلِّمُ أَيْنَ المَنزِلُ

حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي . فَذَاكَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً . هُنَاكَ أَعِدَّا . فَانْطَلَقَا وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا . فَأَعَدَّا الْفِصْحَ .

وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ اتَّكَأَ وَالاِثْنَا عَشَرَ رَسُولاً مَعَهُ . وَقَالَ لَهُمْ شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هٰذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ . لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي لاَ آكُلُ مِنْهُ بَعْدُ حَتَّى يُكْمَلَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ . ثُمَّ تَنَاوَلَ كَأْساً وَشَكَرَ وَقَالَ خُذُوا هٰذِهِ وَاقْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ . لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلَكُوتُ اللهِ . وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً هٰذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ . اصْنَعُوا هٰذَا لِذِكْرِي . وَكَذٰلِكَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلاً هٰذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ وَلٰكِنْ هُوَذَا يَدُ الَّذِي يُسَلِّمُنِي هِيَ مَعِي عَلَى الْمَائِدَةِ . وَابْنُ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَحْتُومٌ . وَلٰكِنْ وَيْلٌ لِذٰلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي يُسَلِّمُهُ . فَابْتَدَأُوا يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَنْ تَرَى مِنْهُمْ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْعَلَ هٰذَا .

(لوقا ٢٢ : ٧ — ٢٣)

لم يترك يسوع عمله حتى فى اللحظات الأخيرة من حياته إذ كان يعد كل شىء . . وكانت البيوت الممتازة بها غرفتان ، الواحدة فوق الأخرى ،وبهذا نرى البيت يشبه صندوقاً صغيراً موضوعاً على رابية عالية، كما توجد سلم خارجية لمن يريد الصعود إلى الغرفة العليا . وكانت الإقامة فى أورشليم مجانيةولا يأخذ المضيف سوى جلود الذبائح التى تقدم فى الفصح . وتخصص الغرفة العليا لاجتماع المعلم مع تلاميذه المحبوبين المقربين إليه ليتجاذب أطراف الحديث معهم فى مواضيع شتى إذ يفتح قلبه لهم ، وعندئذ رتب يسوع لتكون له مثل هذه الغرفة فأرسل بطرس ويوحنا إلى المدينة ليبحثا عن رجل يحمل جرة ماء ،لأن عادة حمل جرار الماء للنساء فقط ، ورؤية رجل بهذا المنظر تسترعى الالتفات وتدعو إلى الدهشة ، وكان هذا هو الترتيب المتفق عليه بين يسوع وذلك الصديق، واستخدم يسوع فى حديثه مع تلاميذه الرموز القديمة ليلبسها ثوباً قشيباً جديداً من المعانى :

١ — قال عن الخبز : « هذا هو جسدى » وهذا مايعنى به العشاء الربانى الذى يحوى من المعانى السامية ، ويستحوذ من الحقائق المجيدة مايعجز عن فهمه وإدراكه عقل فطن وقلب فهم. والعشاء فى ذاته ليس أمراً «لاهوتياً» عميقاً أو سراً غامضاً ، ولكنه يذكرنا بمن قال « إصنعوا هذا لذكرى»وهنا يكمن السر. عند موت والدة سير جيمس بارى فحصوا حاجياتها فوجدوا غلافات قديمة لا تساوى شيئاً ولكنها محفوظة لأنها تحمل ذكرى ابنها ، وهنا موضع السر. حمل البحارة رفاة نلسن إلى كنيسة القديس بولس ومنها إلى القبر ، وكتب أحد الشاهدين عن هذا فقال « حملوا جسد أعظم قائد أسطول إلى القبر باحترام وتأثير بالغ ، وبعدئذ خضعوا لأمر قائد أعلى يطلب منهم أن يأخذوا غطاء التابوت ، فأخذوه واقتسموه بينهم تذكاراً للراحل المثالى » . إن قطعة القماش

التى تغطى التابوت والتى أخذوها تتحدث إليهم فى كل وقت بحديث دائم قوى عن قائدهم العظيم البطل ، وهذاهو مكمن السر . إن الخبز فى العشاء الربانى خبز عادى ، ولكنه جسد المسيح لذلك القلب الذى يفهم ويعى ويشعر ويدرك.

٢ — قال يسوع عن الكأس : « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى »، وهنا يتضح أن الصلة الوثيقة بين الله والإنسان هى العهد . فى الكتاب المقدس إقترب الله بالنعمة إلى الإنسان ، فوعد الإنسان أن يطيع الله ويحفظ وصاياه ، وتستطيع أن ترى الموضوع بكلياته وجزئياته فى (خر ٢٤ : ١ — ٨) . وهنا يكون إستمرار العهد وقفاً على حفظ الإنسان للعهود الإلهية وطاعة الشريعة ، ولم يستطيع الإنسان حفظ العهود وتنفيذ الشريعة ، لأن خطاياه حالت دون ذلك، وقد أشارت كل شرائع النظام اليهودى على إعادة الصلة بذبائح لله للتكفير عن الخطية والتحرير من سلطانها . ولكن شكراً لله إذجاء يسوع وقال : « بحياتى وبموتى قد جعلت عرى الصلة محكمة ومتينة بينكم وبين الله . أنتم خطاة وهذا حق ، ولكنى مت لأجلكم فصـــار الله لكم صديقاً وأنتم له أحباء » ولقد كلف هذا العمل المجيد المسيح حياته ليرجع لنا الصلة المفقودة والصداقة المنشودة بين الإنسان والله .

٣ — قال يسوع : « إصنعوا هذا لذكرى » إذ عرف وأدرك مافطر عليه الإنسان من نسيان بسبب شواغله ومشاغله ، وكأنى به يقول: « كلكم تنسونى بسبب الضغط وثقل الظروف وقساوة الحياة وضراوة ووعورة الطريق ، لذلك تعالوا بين الحين والآخر إلى سلام بيتى وهدوئه وراحته واصنعوا هذا مع شعبى لتذكرونى » .

على أن غاية مايؤلم أن يكون هناك خائن على المائدة ، وما أكثر مايجد يسوع دائماً على مائدته من يخونه ومن ينكره ، وإن كنا نأخذ العهود على أنفسنا فى بيت الله وننكره خارجاً نصبح خونة وخائنين له .

وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مُشَاجَرَةٌ مَنْ مِنْهُمْ يُظَنُّ أَنَّهُ يَكُونُ أَكْبَرَ . فَقَالَ لَهُمْ . مُلُوكُ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ وَالْمُتَسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ يُدْعَوْنَ مُحْسِنِينَ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَيْسَ هٰكَذَا . بَلِ الْكَبِيرُ فِيكُمْ لِيَكُنْ كَالْأَصْغَرِ . وَالْمُتَقَدِّمُ كَالْخَادِمِ . لِأَنْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ . الَّذِي يَتَّكِئُ أَمِ الَّذِي يَخْدُمُ أَلَيْسَ الَّذِي يَتَّكِئُ . وَلٰكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ . أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعِي فِي تَجَارِبِي . وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي أَبِي مَلَكُوتاً . لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الِاثْنَيْ عَشَرَ .

(لوقا ٢٢ : ٢٤ — ٣٠)

لا يوجد فى قصة الإنجيل أكثر خطورة وأعمق أثراً من تشاجر التلاميذ فى من فيهم يكون أولا ، بينما يرتسم الصليب بكل سماته وصوره أمامهم وقضت عادة اليهود أن يجلسوا لأكل عشاء الفصح بنظام خاص محدد ، كانت المائدة مربعة تخلو من جهة من جهاتها الأربع ، ثم يجلس المضيف فى الوسط فى الواجهة الأمامية ويجلس عن يمينه ضيف الشرف ، وعلى يساره التالى فى المقام ، ويجلس بجانب من عن يمين المضيف من له المقام الثالث ، والرابع فى المقام يجلس بجانب من كان على يساره ، وهكذا يكون الجلوس حول المائدة ، وعليه تشاحن التلاميذ عن من يكون الأول . وفى تشاحنهم هذا أظهروا أنهم لم يتخلصوا

من فكرة الملكوت الأرضى مع أن يسوع أخبرهم أن ملكوته يختلف عن ملكوت العالم الذى يحصل على احترامه من القوة والبطش التى جاء بها إلى الحكم ، حتى أنهم كانوا يلقبون الملك بأنه « المتسلط » وأما يسوع فقال : « بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدم كالخادم » .

١ — يحتاج العالم إلى الخدمة . يوجد على جانب الطريق محطات لخدمة السيارات تسمى « محطة خدمة » وكأنهم يقولون : « إننا نحتمل كل شىء لأجل عربتك أكثر من غيرنا » ، والأمر المدهش أننا نرى فى الكنائس اليوم أعداداً غفيرة فى تشاحن وتناحر على المكانة الأولى والأماكن المتقدمة . إن الكنيسة فى حاجة إلى سواعد تخدم وقلوب مؤمنة تبارك العمل .

٢ — الشخص المرتفع بالحق وبالفعل هو من يلبى نداء الخدمة أكثر من أى شخص آخر. عادة يذهب العامل العادى إلى بيته بعد نهاية عمله وينسى كل شىء عنه إلى أن يعود إليه فى طليعة يومه التالى ، بينما نجد غرفة الرئيس مضاءة معظم الوقت للعمل الجاد . وكثيراً ما رأى الناس مكتب يوحنا د. روكفلر منيراً بينما كل المكاتب الأخرى مظلمة ، وهذا هو قانون الحياة إن الخدمة تؤدى إلى العظمة ، وكلما ارتفع الإنسان كانت خدمته أعظم .

٣ — تؤسس الحياة إما على العطاء أو على الأخذ ، ولكنه من الواضح بل من البديهى أنه إذا شيدت الحياة على الأخذ ، سنفقد صداقة الآخرين ومكافأة الله ، لأنه لا يستطيع أن يحب من عاش لنفسه فقط .

٤ — أنهى يسوع تحذيره لتلاميذه بالوعد المبارك للذين ثبتوا معه فى تجاربه « أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً » . أجل فالله لا يمكن أن يكون مديناً لأحد ، فالذين حملوا معه الصليب سيلبسوا معه أجمل الأكاليل وأمجدها.

وَقالَ ٱلرَّبُّ سِمْعَانُ سِمْعَانُ هُوَذَا ٱلشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَٱلْحِنْطَةِ . وَلٰكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ . وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ . فَقَالَ لَهُ يَا رَبُّ إِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ حَتَّى إِلَى السِّجْنِ وَإِلَى ٱلْمَوْتِ . فَقَالَ أَقُولُ لَكَ يَا بُطْرُسُ لاَ يَصِيحُ ٱلدِّيكُ ٱلْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ تُنْكِرَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَعْرِفُنِي .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ . فَقَالُوا لاَ . فَقَالَ لَهُمْ لٰكِنِ ٱلآنَ مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذٰلِكَ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفاً . لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِيَّ أَيْضاً هٰذَا ٱلْمَكْتُوبُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ . لأَنَّ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِي لَهُ ٱنْقِضَاءٌ . فَقَالُوا يَا رَبُّ هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ . فَقَالَ لَهُمْ يَكْفِي .

فَأَخَذُوهُ وَسَاقُوهُ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ . وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَلَمَّا أَضْرَمُوا نَاراً فِي وَسَطِ

ٱلدَّارِ وَجَلَسُوا مَعًا جَلَسَ بُطْرُسُ بَيْنَهُمْ . فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ جَالِسًا عِنْدَ النَّارِ فَتَفَرَّسَتْ فِيهِ وَقَالَتْ وَهٰذَا كَانَ مَعَهُ . فَأَنْكَرَهُ قَائِلاً لَسْتُ أَعْرِفُهُ يَا ٱمْرَأَةُ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَآهُ آخَرُ وَقَالَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ . فَقَالَ بُطْرُسُ يَا إِنْسَانُ لَسْتُ أَنَا . وَلَمَّا مَضَى نَحْوُ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَكَّدَ آخَرُ قَائِلاً بِالْحَقِّ إِنَّ هٰذَا أَيْضًا كَانَ مَعَهُ لأَنَّهُ جَلِيلِيٌّ أَيْضًا . فَقَالَ بُطْرُسُ يَا إِنْسَانُ لَسْتُ أَعْرِفُ مَا تَقُولُ . وَفِي ٱلْحَالِ بَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ صَاحَ ٱلدِّيكُ . فَٱلْتَفَتَ الرَّبُّ وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ . فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ ٱلرَّبِّ كَيْفَ قَالَ لَهُ إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ ٱلدِّيكَ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ . فَخَرَجَ بُطْرُسُ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا .

(لوقا ٢٢ : ٣١ — ٣٨ و ٥٤ — ٦٢)

فى هذه الأعداد نرى قصة مأســـــاة بطرس كاملة متحدة ، وفيها نراه متناقضاً بشكل غريب :

١ — كان بطرس فى إنكاره مخلصاً. قال هـ.ج ولسن مرة : « قد يكون إنسان موسيقياً رديئاً ولكنه قد يكون مغرماً بالموسيقى مولعاً بها » ، ونحن لا يجب أن نركز فيما فعل بطرس ، لأنه مع فشله كان مخلصاً جـــداً ليسوع ومكرساً له .. ويوجد رجاء للشخص الذى وإن أخطأ يكون ممتلئاً من روح الصلاح .

٢ — نال بطرس قسطاً وافراً من التحذير ، فقد حذره يسوع بطريقة مباشرة وغير مباشرة فى الأعداد من ٣٣ — ٣٨ ، وربما نجد أمراً غريباً للوهلة الأولى فى كلامهم عن السيوف ، ولكن القصد فى قول يسوع هو « عشت معكم كل ذلك الزمان ، وفى برهة وجيزة ترتدون !! .. وماذا تعملون بعد ؟ والخطر ليس فى أنه لاشىء معكم ولكن الخطر الداهم يكمن فى أنكم تدافعون لأجل كيانكم . وليس هذا تحريضا على القتال والتسلح ، بل دلالة على الخطر المحدق بحياتهم . ولا يقدر إنســـــان أن ينكر معرفة بطرس بجدية الموقف وخطورته .

٣ — كان بطرس واثقاً بنفسه أكثر مما يجب .. وهذا .. تحذير لكثيرين « إن الشىء الذى تستبعد أن تفعله قط هو نفس الشىء الذى ينبغى أن تتحذر منه كل الحذر » . وكثيراً ماسقطت القلاع المحصنة ودكت الممالك القوية وأسرت الجيوش العاتية « إن الشيطان يهجم على الإنسان فى الوقت الذى فيه يثق بنفسه لأنه غالبا لايكون منتبها يقظا .

٤ — ليكن معلوماً أن بطرس كان أحد التلميذين (يو ١٨ : ١٥) الذين كانت لهما الجرأة فى الدخول إلى فناء بيت رئيس الكهنة . لقد سقط بطرس فى تجربة يتعرض لها أقوى الشجعان بطولة ومهارة ، فقد يسير الشجاع إلى مكان الخطر أكثر من الرجل الذى يبحث عن الأمان ، واحتمال التجربة هو الثمن الذى يدفعه الإنسان عندما يخاطر بفكره أو عمله ، والأفضل أن يفشل فى مشروع عظيم من أن يركض إليه مندفعا متهوراً .

٥ — لم يتكلم يسوع مع بطرس بثورة غضب عارمة ولكن فى حزن بالغ ، ونظر إليه نظرة صامتة ولكنها كانت أحد وأشد وقعاً من طعن سيوف قواطع ، إنها سببت سيل الدمع المر أكثر من التوبيخ الشديد اللهجة .

٦ — قال يسوع شيئاً محبوباً لبطرس « متى رجعت ثبت إخوتك » وكأنه يقول له : « ستبكى بكاء مراً ولكن النتيجة حسنة لأنك تستطيع أن تساعد إخوتك الذين يجتازون فى التجربة » ، حقاً .. فلا يمكن أن نساعد إنساناً مالم نحترق بنار التجربة أولا ونشرب كأسها حتى نشعر بالآخرين . وقيل عن يسوع : « فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » (عب ٢ . ١٨) . قال جبران مرة « فى خيبتى غلبتى » ونحن فى إختبار خجل وخيبة وعدم إخلاص لا تكون هناك خسارة ، لأن هذه تعطينا عطفاً وفهماً لم ندركه من قبل .

لتكن مشيئتك

وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ . وَتَبِعَهُ أَيْضاً تَلاَمِيذُهُ . وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ صَلُّوا لِكَيْ لاَ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ . وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى . قَائِلاً يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هٰذِهِ الْكَأْسَ . وَلٰكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ . وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ . وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ . ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلٰوةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ فَوَجَدَهُمْ نِيَاماً مِنَ الْحُزْنِ . فَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ .

قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ .

(لوقا ٢٢ : ٣٩ — ٤٦)

كانت مساحة الأرض الفراغ فى أورشليم ضئيلة ومحدودة مما أدى إلى قلة إنتشار الحدائق والبساتين فيها ، ولكن بعض الأثرياء امتلكوا بساتين خاصة على جبل الزيتون ، وقد أعطى صديق منهم ليسوع إمتياز التمتع ببستانه الخاص. وذهب يسوع ليجاهد فى قتاله منفرداً وهو يبلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة ، العمر الذى لا يمكن لإنسان أن يرغب الموت فيه . وعرف يسوع أن الصليب هو الموت ، ورآه من على بعد ، وكان فى جهاد ، والكلمة اليونانية تظهر أن شخصاً يقاتل فى قتال رهيب بخوف ظاهر . وكان هذا هو المركز الذى عليه تدور حياة يسوع ، ومع ذلك لم يعط ظهره بل واجه الموت وتحداه . لقد كان فى استطاعته أن يتنحى عن الموت ويترك الصليب ، ولكنه نظر إلى خلاص البشرية والفداء المجيد فهانت كل الآلام فى سبيله ، وقد ربح المعركة على أتم وجه . لقد ذهب إلى البستان فى الظلام وخرج منه فى فوز باهر لأنه تكلم مع الله ! دخله فى آلام لا توصف وخرج منه ظافراً منتصراً متمتعاً بسلام عجيب لأنه تكلم مع الله ، وفى نغماته كلها كان لسان حاله « لتكن مشيئتك » .

١ — كان يمكن أن يقول « لتكن مشيئتك » كشخص ضعيف تحت قوة لا تقاوم ، باستسلام وبلا رجاء .

٢ — كان يمكن أن يقول « لتكن مشيئتك » كشخص خاضع لقبول الانكسار والهزيمة .

٣ — كان يمكن أن يقول « لتكن مشيئتك » كشخص فاشل عجز عن تحقيق حلمه فى غضب ومرارة وضعف .

٤ — وكان أيضاً يمكن أن يقول « لتكن مشيئتك » بكامل الثقة . وهذا ما قاله يسوع . لقد تكلم مع الآب مدركا أن أذرعه الأبوية الأبدية تحته ولو على الصليب ، كان خاضعاً لمحبة لاتتخلى عنه .

إن أهم عمل فى الحياة هو قبول مانعجز عن اكتناه أسراره وإدراك مغزاه ولكن نعمل فى ثقة بمحبة الآب العجيبة ، إن الله محبة ويجب أن أبنى إيمانى على محبته قائلا له : « أعرفك يامن عرفت طريقى ، وجعلت لى فى الظلام نوراً وفى الأحزان فرحاً لاينطق به ومجيد . ما أعظم محبتك » هذا ما تكلم بمثله يسوع ، وإن تكلم انسان بمثل هذا الكلام يستطيع أن يقول بكل ثقة « لتكن مشئيتك » .

قُبْلَةُ الخائن

وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا جَمْعٌ وَالَّذِى يُدْعَى يَهُوذَا أَحَدُ الاثْنَى عَشَرَ يَتَقَدَّمُهُمْ فَدَنَا مِنْ يَسُوعَ لِيُقَبِّلَهُ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ يَا يَهُوذَا أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ . فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ قَالُوا يَا رَبُّ أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ . وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ دَعُوا إِلَىَّ هٰذَا . وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا .

ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ . كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوف

وَعِصِيٍّ . إِذْ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ الأَيَادِيَ . وَلَكِنَّ هٰذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ .

(لوقا ٢٢ : ٤٧ — ٥٣)

وجد يهوذا الطريق لتسليم المسيح إلى الرؤساء عندما يكون بعيداً عن الجموع . وكان يهوذا قد عرف أن يسوع ذاهب إلى البستان فى الظلام كعادته على قمة الجبل، وعندئذ قاد رسل السنهدريم ورئيس جند الهيكل المسئول عن صلاحية الهيكل وحفظ الأمن والنظام فيه ،وتحت يده من هم مكلفون بالقبض على يسوع .وكانت العادة تقضى بأن يضع التلميذ يده اليمنى على الكتف الأيسر لمعلمه المحبوب ، ويضع يده اليسرى على كتفه الأيمن ويقبله ، وكانت هذه قبلة التلميذ للسيد والمعلم المحبوب ، لكن يهوذا استخدمها علامة لتسليم يسوع !!!. ولنا أربعة أفكار هامة فى تسليم المسيح :

١ — نرى يهوذا الخائن عندما انفض عن سيده والتصق بالشيطان ، باع يسوع . وكل من يبعد الرب من حياته لابد أنه يأخذ الشيطان سيداً .

٢ — عندما عميت أبصار وقلوب اليهود عن معرفة الله ، أتوا ليقبضوا على يسوع. لقد تجسد الرب فى أرضنا وحل بيننا رحمة ومحبة بنا ، أمامهم فصلبوه واختارو طريقهم وثقلوا آذانهم عن سماع صوت الله ، وأغمضوا عيونهم عن إرشاده ، ولم يعترفوا به عند مجيئه . كتبت مدام بروتنج مرة : « لى قوة لأدركه ولكن لا أعبده ،قوة للبعد عنه ولكن لا أطلبه» .إن أخطر ما فى الحياة أن يعمى الإنسان عن الله ويصم أذنيه عن سماعه .

٣ — كان هناك التلاميذ الذين نسوا الله وقتياً ، فسقطوا من الدنيا

وعرفوا أن نهايتهم قد أتت . لقــــد نسوا الله ولم يفتكروا إلا فى سقوطهم وهلاكهم . إن كل من ينسى الله يفقد القوة على مجابهة الحياة ، ولن تطاق الحياة بدون الله وقت التجربة .

٤ — نرى أخيراً يسوع وحده ! ! هو الوحيـد الذى ذكر الله وهو فى منظر رهيب مرهب لقد تمتع بسلام تام وعجيب رغم أنه فى أيامه الأخيرة . كان عجيباً فى قبضه على زمام أصعب المواقف عتاوة وشدة . نعم إن من يسير مع الله يستطيع أن يقف أمام موقف وأن يبتسم وسط الآلام المتراكمة والجروح المثتخنة . . إن الشخص الذى يخر ساجداً أمام الرب يخرج من حضرته القدسية ومن أنفاسه الدافئة المباركة ، كالقائد المنتصر ... والبطل المغوار المقتدر .

الاستهزاء والجلد والمحاكمة

وَالرِّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا ضَابِطِينَ يَسُوعَ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَهُمْ يَجْلِدُونَهُ . وَغَطَّوْهُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَــــهُ وَيَسْأَلُونَهُ قَائِلِينَ تَنَبَّأْ . مَنْ هُوَ الَّذِى ضَرَبَكَ . وَأَشْيَاءَ أُخَرَ كَثِيرَةً كَانُوا يَقُولُونَ عَلَيْهِ مُجَدِّفِينَ .

وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ اجْتَمَعَتْ مَشْيَخَــةُ الشَّعْبِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ . قَائِلِينَ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا . فَقَالَ لَهُمْ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ لاَ تُصَدِّقُونَ . وَإِنْ سَأَلْتُ لاَ تُجِيبُونَنِى وَلاَ تُطْلِقُونَنِى .

مُنذُ الآنَ يَكونُ ابْنُ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللهِ . فَقَالَ الْجَمِيعِ أَفَأَنتَ ابْنُ اللهِ . فقَالَ لَهُمْ أَنتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا هُوَ . فَقَالُوا مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شَهَادَةٍ لِأَنَّنَا نَحْنُ سَمِعْنَا مِنْ فَمِهِ .

(لوقا ٢٢ : ٦٣ — ٧١)

فى ديجور الليل وفى الظلام الدامس أحضروا يسوع أمام رئيس الكهنة ، وبذلك كانت المحاكمة غير قانونية . وكان الهدف أن ينظروا فى أمره وأن يتصيدوا التهم التى يلصقونها به ليحكموا عليه بالصلب إن أمكن . وبعد ذلك أسلموه لجند الهيكل لحراسته والتنكيل به كما يشاءون . وفى الصباح الباكر قادوه الى السنهدريم المحكمة العليا لليهود والتى لها كل السلطان للحكم والبت فى كل المسائل اللاهوتية والدينية . تتكون من سبعين عضواً ، ويتمثل فيها الكتبة والربيون والفريسيون والكهنة والصدوقيون والشيوخ ، ويقضى قانونها ألا تجتمع ليلا ، لذلك قادوه إليها فى الصباح بعد أن كان يسوع طول الليل تحت الحراسة . وكان إجتماع المحكمة فى صالة من حجر منحوت فى ساحة الهيكل وكان رئيس الكهنة هو رئيسها بالطبع . وكانت إجراءات السير فى الحكم فى السنهدريم عامة معقولة فى منظرها ومظهرها ، ولكنها منحرفة غير منصفة عند التنفيذ العملى ، وهذا نفس ما حدث فى محاكمة يسوع .

تجلس هيئة المحكمة فى وضع دائرى حتى يرى الواحد الآخر ، ويجلس فى صدر المحكمة الرئيس فى ثياب حزينة ، ويجلس خلفه تلاميذ الربيين فى صفوف منتظمة ليدافعوا عن المتهم إن أمكن وكل شهادة منهم يجب أن تدعم بشخصين منعزلين ، كما يمكن لأى عضو فى المحكمة أن يتكلم ضد المتهم ثم يغير رأيه

ويدافع عنه، ولكن لا يجوز العكس . وإن لزمت فتوى فى المحكمة ، كان على كل عضو أن يدلى برأيه مبتدئاً من الأصغر إلى الأكبر . ويجب أن يكون الحكم بالعفو والبراءة مدعما من الأغلبية ولو لم يوافق اثنان منهم . كما لا يجوز مطلقاً تنفيذ الحكم بالإعدام فى نفس يوم النطق بالحكم بل لا بد أن تمضى ليلة كاملة بعد ذلك ، وربما فى تلك الليلة يتغير الحكم من الموت إلى البراءة أو الرأفة بتخفيف الحكم . ويصرح لوقا أنه فى محاكمة يسوع ابتعدت المحكمة عن اتباع قوانينها ونظامها ، وكل ما استطاع السنهدريم أن يلصقه بيسوع هو التجديف لأنه قال : « إنى ابن الله » وبذلك يستحق الموت ! ! ! . وهذه هى الفاجعة المجحفة والطامة الكبرى أن يسأل يسوع عن المحبة فيجد الظلم وإهدار الحق . وقد تأكد يسوع من إنتصاره .

وهذه هى الحقيقة المجيدة ، فرغم محاكمة الليل ، والاستهزاء والتنكيل والبصق والجلد ، لكنه كان يعلم يقيناً أن البشر جميعاً لن يهزموا مقاصد الله السماوية الخالدة المباركة .

الأَصْحَاحُ ٱلثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

المحاكمة أمام بيلاطس والصمت أمام هيرودس

فَقَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ . وابْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ إِنَّنَا وَجَدْنَا هٰذَا يُفْسِدُ ٱلأُمَّةَ وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ قَائِلاً إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ . فَسأَلَهُ بِيلاَطُسُ قَائِلا أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ . فَأَجَابَهُ وَقَالَ أَنْتَ تَقُولُ . فَقَالَ بِيلاَطُسُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ إِنِّي لاَ أَجِدُ عِلَّةً فِي هٰذَا ٱلإِنْسَانِ . فَكَانُوا يُشَدِّدُونَ قَائِلِينَ إِنَّهُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى هُنَا . فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُسُ ذِكْرَ الْجَلِيلِ سَأَلَ هَلْ ٱلرَّجُلُ جَلِيلِيٌّ . وَحِينَ عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ سَلْطَنَةِ هِيرُودُسَ أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودُسَ إِذْ كَانَ هُوَ أَيْضًا تِلْكَ ٱلأَيَّامَ فِي أُورُشَلِيمَ .

وأَمَّا هِيرُودُسُ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ فَرِحَ جِدًا لِأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ مِنْ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَنْ يَرَاهُ لِسَمَاعِهِ عَنْهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً وَتَرَجَّى أَنْ يَرَى آيَةً تُصْنَعُ مِنْهُ . وَسَأَلَهُ بِكَلاَمٍ كَثِيرٍ

فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ . وَوَقَفَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ بِاشْتِدَادٍ . فَاحْتَقَرَهُ هِيرُودُسُ مَعَ عَسْكَرِهِ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ وَأَلْبَسَهُ لِبَاساً لاَمِعاً وَرَدَّهُ إِلَى بِيلاَطُسَ فَصَارَ بِيلاَطُسُ وَهِيرُودُسُ صَدِيقَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ لأَنَّهُمَا كَانَا مِنْ قَبْلُ فِي عَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا .

(لوقا ٢٣ : ١ — ١٢)

لم يكن لليهود فى أيام يسوع سلطان على تنفيذ حكم الموت ، إذ كان هذا الأمر وقفاً على الرومان دون سواهم .سواء فى إصدار الحكم أو فى عملية تنفيذه ولهذا السبب بعينه أحضر اليهود يسوع أمام بيلاطس الحاكم الرومانى .

ولا يوجد شىء يظهر ضمير اليهود الفاسد أكثر من الجريمة التى اتهموا بها يسوع ، فقد سبق لهم أن اتهموه فى السنهدريم أنه جدف ، إذ ادعى أنه ابن الله ،ولكنهم أنكروا هذه التهمة أمام بيلاطس لأنهم علموا أنها لا تعنيه بشىء ، بل على وجه النقيض ، سيعتبرها بيلاطس إحدى الخرافات اليهودية . ولذلك ألقوا على يسوع تهمة سياسية برز فيهـــا كل دهاء الصدوقيين بأرستقراطيتهم المشهورة . ولا يفوتنا أن نعلم أنهم أرادوا حكم الصلب على يسوع لئلا يظهر شيئاً ضدهم ،فينتج موقفاً فيه يفقدون ثروتهم وراحتهم وقوتهم . ولذلك كانت تهمتهم ليسوع أمام بيلاطس ثلاثية :

(ا) أنه يهيج الأمة .

(ب) يشجع الناس على عدم دفع الجزية لقيصر .

(حـ) يقول عن نفسه إنه ملك . كل قول من هذه التهمة كذب وبهتان

وافتراء ، وهم يعلمون ذلك ، ولـكنهم لجأوا إليه بمحض رغبتهم الجنونيـــة العدوانية فى طرد يسوع .

لم يكن بيلاطس حاكما رومانياً متمرساً متدرباً ، ومع ذلك نظر فى أمرهم ولم يجب سؤالهم . لـكنه من الناحيـة الأخرى لم يرد أن يغضبهم . وعندما سمعهم يصرخون بأن يسوع من الجليل — وكان قصدهم بهذا القول تأييد اتهامهم ليسوع لأن الجليل مكمن الإضطرابات — رأى بيلاطس أن الجليل تحت حكم هيرودس أغريباس الذى كان فى ذلك الوقت فى اليهودية يحتفل بعيد الفصح . ولذلك أورى بيلاطس أن تعرض القضية على هيرودس ، فأرسله إليه أما يسوع فرفض أن يتكلم مع هيردوس وذلك للأسباب الآتية :

١ — نظر هيردوس إلى يسوع نظرة متفرج إلى مشهد مسر يتملى منه ، لـكن يسوع أبى ذلك على نفسه ، إذ هو الملك الذى ينبغى له كل خضوع وطاعة . اشتكى ابكتيتوس المعلم اليونانى المشهور من إقبال الناس عليه ليروه كتمثال لاليسمعوه كمعلم، ولم يكن يسوع يوماًما منظراً منتظرانيه، بل هو المعلم الصالح الذى ينبغى أن نسمع تعاليمه ونطيعها .

٢ — قصد هيرودس بيسوع إهانته فاستهزأ به واحتقره وألبسه ثيـاباً ملـكية ، ورفض أن يعامله معاملة جدية ، فأرسله ثانية من محكمته اذ لم يسر به وكم من أناس يعاملون يسوع بأساليب لا تليق بشخصه المبارك ، ولو عاملوه معاملة جدية لانتبهوا أكثر الى أقواله وتعاليمه .

٣ — توجد ترجمة أخرى للآية ١١ « فاحتقره هيرودس مع عسكره » تقول « فافتكر هيرودس مع عسكره أن يسوع لا أهميـة له » . ولقـد رأى هيرودس بالفعل مع حاشيته أن لا شأناً يذكر لهذا النجار الجليلى ... أجل .. كم من أشخاص يعتبرون أن لا شأن ليسوع ولا أهميـة له ، ولا مكاناً له فى

قلوبهم ، أو تأثيراً فى حياتهم إنهم يزعمون الحياة بدونه . وأما المسيحى الحقيقى فيرى فى يسوع روح الحياة المباركة العاملة ، وعمل الروح المحيى ، انه عين الوجود وقلب الحياة النابض .

اليهود يمتصرون بيلاطس

فَدَعَا بِيلاَطُسُ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْعُظَمَاءَ وَالشَّعْبَ . وَقَالَ لَهُمْ . قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ هٰذَا الْإِنسَانَ كَمَنْ يُفْسِدُ الشَّعْبَ . وَهَا أَنَا قَدْ فَحَصْتُ قُدَّامَكُمْ وَلَمْ أَجِدْ فِي هٰذَا الْإِنْسَانِ عِلَّةً مِمَّا تَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ وَلاَ هِيرُودُسُ أَيْضاً . لِأَنِّي أَرْسَلْتُكُمْ إِلَيْهِ وَهَا لاَ شَيْءَ يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ صُنِعَ مِنْهُ . فَأَنَا أُؤَدِّبُهُ وَأُطْلِقُهُ . وَكَانَ مُضْطَرّاً أَنْ يُطْلِقَ لَهُمْ كُلَّ عِيدٍ وَاحِداً فَصَرَخُوا بِجُمْلَتِهِمْ قَائِلِينَ خُذْ هٰذَا وَأَطْلِقْ لَنَا بَارَابَاسَ . وَذَاكَ كَانَ قَدْ طُرِحَ فِي السِّجْنِ لِأَجْلِ فِتْنَةٍ حَدَثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَقَتْلٍ . فَنَادَاهُمْ أَيْضاً بِيلاَطُسُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُطْلِقَ يَسُوعَ . فَصَرَخُوا قَائِلِينَ أُصْلُبْهُ أُصْلُبْهُ . فَقَالَ لَهُمْ ثَالِثَةً فَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ هٰذَا . إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً لِلْمَوْتِ . فَأَنَا أُؤَدِّبُهُ وَأُطْلِقُهُ . فَكَانُوا يَلِجُّونَ بِأَصْوَاتٍ عَظِيمَةٍ طَالِبِينَ أَنْ يُصْلَبَ .

فَقَوِيتْ أَصْوَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُ رُؤَساءِ الْكَهَنَةِ . فَحَكَمَ بِيلاَطُسُ أَنْ تَكُونَ طِلْبَتُهُمْ . فَأَطْلَقَ لَهُمْ الَّذِى طُرِحَ فِى السِّجْنِ لِأَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَتْلٍ الذِى طَلَبُوهُ وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ .

(لو ٢٣ : ١٣ — ٢٥)

من الأمور الواضحة والمدهشة فى هذا الفصل ، أن بيلاطس لم يرد إدانة يسوع لأن عدالة روما المشهورة كانت تمنحه البراءة، فعمل مالا يقل عن أربع محاولات ليزيل حكم القضاء على يسوع . فأخبر اليهود أن يحكموا عليه حسب ناموسهم (يو ١٩ : ٦، ٧) واجتهد أن يحيل القضية على هيرودس ، ثم أراد أن يقنع اليهود أن يطلق لهم يسوع بدلا عن الأسير الذى يطلق سنوياً على عيد الفصح (مر ١٥ : ٦) ، ثم حاول أن ينهى الموضوع بحل موفق فقال « أؤدبه وأطلقه » . من كل هذا يتضح أن بيلاطس أجبر ليحكم على يسوع بالموت ، وكيف تجبر العامة حاكماً رومانياً ؟ . الحقيقة أن اليهود ضيقوا الخناق على بيلاطس ، خصوصاً وأن النظام الرومانى يمنح لكل إقليم الحق فى إرسال تقريره عن الحاكم الذى لا يحكم بالعدل إلى روما وهى تعاقبه عقاباً عادلا . وكان بيلاطس قد وقع فى غلطتين كبيرتين أثناء حكمه فى فلسطين ، فقد كان مقر الحكومة الرومانية فى قيصرية لافى أورشليم ، ولكن بعض الجنود ظلوا مرابطين فى أورشليم بصحبة تمثال امبراطورهم الذى يعبدونه . ولما كانت الشريعة اليهودية تقضى بعدم وجود التماثيل فى أورشليم ، قبل الحكام الرومان ذلك . لكن بيلاطس أخطأ إذ وضع التمثال الرومانى على عمود وأرسله مع جنوده ليلا إلى أورشليم . فثارت ثائرة اليهود وتجمهروا

فى قيصرية أمام بيلاطس طالبين أن يزال التمثال ، لكنه رفض وأصر على موقفه وأصروا هم بدورهم على طلبهم . وفى اليوم السادس لتجمعهم ، اتفق معهم أن يقابلهم فى ردهة خلوية محاطة بجنوده ، وهناك هددهم بأنه إن لم يكفوا عن ازعاجه فسيعاقبهم بالموت ، أماهم فطرحوا أنفسهم على الأرض فى غضب جارف وكشفوا عن رقابهم وصرخوا « مرحى بالموت بكل ارتياح ولن تهان شريعتنا » . وعندئذ رضخ بيلاطس لطلبهم وحقق مأربهم ، ونرى القصة كاملة مستوفاة فى كتب تاريخ اليهود الكتاب ١٨ والفصل الثالث ليوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور .

كما أخطأ بيلاطس مرة أخرى عندما فكر فى مد أورشليم بالمياه على أن يمول مشروعه هذا بمال من خزينة الهيكل ، وقد ذكرنا هذه القصة قبلا فى تفسير ما جاء فى (لو ١٣ : ١ — ٤) . والشىء الوحيد الذى لن تحتمله الحكومة الرومانية فى كل عهدها ، هو الفوضى المدنية ، ولو اشتكى اليهود على بيلاطس لدى حكومة روما لطرد بيلاطس من الحكم نهائياً .

ويخبرنا يوحنا فى إنجيله عن الحادث النجس الذى أملاه اليهود على بيلاطس فى قولهم « إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر » (يو ١٩ : ١٢) وبذلك ألزموه ليحكم على يسوع بالموت خوفاً من شكواهم لروما لإدانته .

وهنا نرى الحقيقة المخيفة وهى أن ماضى الإنسان يواجه صاحبه ويلومه بل ويحكم عليه ، وهكذا كان خطأ بيلاطس السابق سبب سقوطه فى شراك خطأ جديد لم يقدر أن ينجو منه . لذلك ينبغى أن نحترس من تصرفاتنا التى تحرمنا يوماً ما من حق لنا وتدفع الناس ليأخذوا علينا مآخذاً توقفنا أمامهم فى خزى وخجل . وإن واجهك شىء من هذا القبيل ، فعليك أن تكون شجاعاً فى مواجهته بكل نتائجه ، وهذا مالم يمتلكه بيلاطس الذى ضحى بالحق لأجل

منصبه ، فحكم على يسوع بالموت ليحتفظ بالحكم فى فلسطين . ولو كان هو من أرباب الشجاعة لقام بعمل الواجب المبنى على العدل والحق ونال المكافأة ولكن ، للأسف . . لقد حكم عليه ماضيه بالجبن ! ! ! .

الطريق إلى الصليب

وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ أَمْسَكُوا سِمْعَانَ رَجُلاً قَيْرَوَانِيًّا كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ . وَتَبِعَهُ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ وَالنِّسَاءِ اللَّوَاتِي كُنَّ يَلْطِمْنَ أَيْضاً وَيَنُحْنَ عَلَيْهِ . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِنَّ يَسُوعُ وَقَالَ . يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ لاَ تَبْكِينَ عَلَيَّ بَلْ ابْكِينَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلاَدِكُنَّ . لأَنَّهُ هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُونَ فِيهَا طُوبَى لِلْعَوَاقِرِ وَالْبُطُونِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَالثُّدِيِّ الَّتِي لَمْ تُرْضِعْ . حِينَئِذٍ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ اسْقُطِي عَلَيْنَا وَلِلآكَامِ غَطِّينَا . لأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هذَا فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ .

(لوقا ٢٣ : ٢٦ — ٣١)

قضت العادة أن يسير المحكوم عليه بالموت وسط أربعة من الجنود الرومان تاركا قاعة القضاء إلى ردهة مربعة ، ثم يحمل صليبه بنفسه على كتفه ويسير وسط حراسه فى أطول طريق ممكن إلى مكان الصلب .

يمرون به فى كل شارع وزقاق وفى كل منعطف ومنحنى ، كما يسير أمامه جندى يحمل لافتة مكتوباً عليها الذنب الذى اقترفه ليكون نذيراً وتحذيراً لكل نفس ترتكب هذا الذنب وتقترف نفس الجريمة . وهذا مافعلوه بيسوع. بدأ يحمل الصليب (يو ١٩ : ١٧) ولكن خانته قوته إذ خارت قواه ولم يستطع حمله بعد . وكانت فلسطين مزدحمة بالسكان ، وكل شخص يخضع لخدمة الحكومة الرومانية ، وكانت علامة السلطان الرومانى قطعة من الصفيح على الكتف وعلامة أو شارة على حربة «رومانية» نظر قائد المئة يمنة ويسرة بحثاً عن رجل يحمل الصليب عوضاً عن يسوع ، فرأى رجلا آتياً من الحقل يدعى سمعان القيروانى ، وهو رجل يهودى جاء من قيروان — التى هى تونس — وقد كان يقتصد مالا كل أيام حياته حتى يتسنى له الاحتفال بعيد الفصح فى أورشليم . وعندما لامست حربة الجندى الرومانى سمعان جاء فى الحال يحمل الصليب عن الجانى . ولكن ترى ما هى المشاعر التى ملأت جوانح القيروانى وغاصت بها جوانب قلبه ؟ !! لقد حقق بمجيئه إلى أورشليم للاحتفال بالعيد رغبة لحوحة فى قلبه كل أيام حياته ، ولكنه سرعان ما وجد نفسه يحمل صليباً ويذهب إلى مكان الصلب ، فازدحم قلبه بلذعة المرارة من الرومان ومن الجانى الذى طرح ذنبه عليه . ولكن إذا سرنا بين السطور ، نجد أن القصة لم تنته عند هذا الحد فيقول الرسول مرقس إن سمعان أب اسكندر وروفس (مر ١٥ : ٢١) ، ولولا شهرة أبنائه فى الوسط الذى كتب إليه الإنجيل — والمتفق عليه أن مرقس كتب إنجيله إلى كنيسة روما — لما استطعنا أن نعرف أسماءهم . وإذا نظرنا إلى ما كتبه الرسول بولس فى نهاية رسالة رومية نجد هذا القول « سلموا على روفس المختار فى الرب وعلى أمه أمى » (رو ١٦ : ١٣) ، ومن هذا نعرف أن روفس من كنيسة رومية وقد دعى مختار الرب ، وكانت أمه عزيزة لدى الرسول بولس حتى دعاها أمه فى الإيمان ، وروفس هذا — كما

عرفنا — هو ابن سمعان القيروانى ، وأمه هى زوجة سمعان .

والأمر العجيب أن ذلك الرجل الذى فاض قلبه بالحزن ، تحول الحزن إلى إيمان بيسوع فصار مسيحياً وصار من عائلته مختارون فى كنيسة زومية . لقد كان الظن أن ذهاب سمعان إلى أورشليم تحقيقاً لحلم راوده طيلة حياته لممارسة الفصح فيها ، فإذا به وبالرغم عن إرادته يحمل صليب مجرم . ومن المدهش أن تعجبه تحول إلى إيمان ، وفى خجله وجد مخلصه .

وأقبلت وراء يسوع فرقة من السيدات يبكين فالتفت إليهن وقال : « لا تبكين علىّ بل إبكين على أنفسكن » . لقد كان يعلم يسوع أن أيام اضطراب كربة آتية ، وكانت المأساة الكبرى للزوجة اليهودية هى عدم الإنجاب إذ كان هذا الأمر سبباً فى الطلاق ، ولكن ستأتى أيام فيها تفرح العاقر التى لم تلد . لقد رأى يسوع خراب أورشليم آتياً لرفضها دعوة الله . وفى عدد ٣١ مثل يستخدم فى مناسبات كثيرة معناه إن كانوا قد عملوا هذا مع يسوع البرىء فماذا يعملون مع المذنبين المستحقين القصاص .

هناك صلبوه

وَجَاءُوا أَيْضاً بِاثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مُذْنِبَيْنِ لِيُقْتَلاَ مَعَهُ . وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى جُمْجُمَةَ صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ وَاحِداً عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ . فَقَالَ يَسُوعُ يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ . وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا .

وَكَانَ الشَّعْبُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ . وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضاً مَعَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ قَائِلِينَ خَلَّصَ آخَرِينَ فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحَ مُخْتَارَ اللهِ . وَالْجُنْدُ أَيْضاً اسْتَهْزَأُوا بِهِ وَهُمْ يَأْتُونَ وَيُقَدِّمُونَ لَهُ خَلاًّ . قَائِلِينَ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ مَلِكَ الْيَهُودِ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ . كَانَ عِنْوَانٌ مَكْتُوبٌ فَوْقَهُ بِأَحْرُفٍ يُونَانِيَّةٍ وَرُومَانِيَّةٍ وَعِبْرَانِيَّةٍ هٰذَا هُوَ مَلِكُ الْيَهُودِ .

(لوقا ٢٣ : ٣٢ — ٣٨)

عندما يصل المذنب إلى مكان الصلب ، يضع الصليب منبسطاً على الأرض، وعادة كان الصليب على شكل حرف T الانجليزى أى ليس به مكان لإسناد الرأس .

وكان الصليب منخفضاً حتى ترتفع قدما المذنب ثلاثة أقدام عن الأرض، واعتادت الفتيات الذهاب إلى مكان الصلب ليقدمن شراباً من خل ممزوج للمصلوب ليميت الشعور بالألم وقـــدم ذلك الشراب إلى يسوع لـكنه رفض أن يشربه (متى ٢٧ : ٣٤) وعزم أن يتجرع آلام الصليب وكأسه حتى الثمالة بفكر واع وشعور يقظ ، ثم تمدد ذراعا المجرم على ذراعى الصليب ، وتدق المسامير فى يديه ، أما الأقدام فتربط فى القاعدة .

وكانت توجد فى النصف العلوى للصليب قطعة من الخشب تسمى السرج حتى يرتكن عليها المصلوب فتحمل ثقلة لئـــلا تمزق المسامير يديه ، ثم يرفع الصليب وينصب فى مكانه .

وخوف الصليب ورهبته هو شدة وقسوة الألم الذى يعانيه المذنب،ولكن الألم لا يقتل بل يتركونه ليموت جوعاً وعطشاً تحت قيظ ولهيب الشمس الحارق وندى الليل البارد ، لدرجة أن بعض المصلوبين استمروا أسبوعاً كاملا على الصليب حتى ماتوا كالمجانين .

إقتسم الجنود الأربعة الذين أحاطوا بالصليب ثيابه ، وكان كل يهودى يرتدى خمس قطع من الحلل الداخلية ، والرداء الخارجى ، والمنطقة ،والصندل والعمامة . قسمت أربعة منها للعسكر وبقى الثوب الخارجى الرداء العظيم الثمين وكان منسوجاً كله (يو ١٩ : ٢٣و٢٤) وخشية من إتلافه عندما يقتسم إقترع عليه الجنود وهم تحت الصليب غير عابئين أومكترثين بآلام المصلوب ومشاعره

وكان عنوان علة المحكوم عليه هى نفس اللافتة التى ساروا بها أمام الصليب وهم سائرون بالمذنب إلى مكان الصلب .

وقال يسوع على الصليب كلمات غريبة عجيبة ، وأعجب الكل هى تلك الكلمة: «اغفر لهم ياأبتاه لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» نعم إن العجب الكامل يكمن ويكمل فى الصفح المسيحى . فعندما كانوا يرجمون استفانوس صلى قائلا : « يارب لا تقم لهم هذه الخطية » (أع ٧ : ٦٠) وعندما يعترينا روح عدم الصفح وينشىء المرارة فى قلوبنا ينبغى أن نسمع صلاة يسوع لأجل الصفح عن صالبيه ، بل ننصت إلى قول الرسول بولس « كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح » (أف ٤ : ٣٢) . وفى كل العهد الجديد نرى هذا العمل الذى عمل بجهل .

وهذا ماقاله بطرس للناس بعد أيام قلائل : « والآن أيها الأخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضاً » (أع ٣ : ١٧) وقال الرسول بولس أيضاً « لأن الساكنين فى أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا » (أع ١٣:٢٧)

واعتاد مرقس أورليوس الأمبراطور الرومانى العظيم أن يقول لنفسه صباح كل يوم : « تقابل كل يوم أنواعاً من الناس لا يسرونك بل يسببون لك الأذى والضرر والإهانة ، وأما أنت فلا تعاملهم من جنس عملهم لأنك تعرف ما هو أفضل ، لأن روح الله يسكن فى قلبك » .. ربما تجد فى قلوب الكثيرين روح عدم الصفح ،والبعض يخطىء جهلا ، أما نحن فنعرف أفضل .. أننا شعب المسيح ويجب أن نغفر كما غفر لنا .

الوعد بالملكوت

وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْمُذْنِبَيْنِ ٱلْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلاً إِنْ كُنْتَ أَنْتَ ٱلْمَسِيحَ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا . فَأَجَابَ ٱلآخَرُ وَٱنْتَهَرَهُ قَائِلاً أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ ٱللهَ إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هٰذَا ٱلْحُكْمِ بِعَيْنِهِ . أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ لِأَنَّنَا نَنَالُ ٱسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا . وَأَمَّا هٰذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ ٱذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ .

(لوقا ٢٣ : ٣٩ — ٤٣)

خطط الرؤساء بعد تفكير طويل أن يصلب يسوع بين لصين معروفين ، وكان هدف تفكيرهم بل إمعانهم فى الفكر هو كيف يذلون يسوع أمام الجماهير وكيف يحقرون من شأنه ويحطون من قيمته وكرامته إلى درجة

اللصوص . وقيل إن يسوع كان مهتما باللص التائب وكان يسمى ديماس Dimas أو ديماس Demas أو دوماخوس Dumachus . وتقول أسطورة أخرى إن مجموعة من اللصوص هاجموا عائلة يسوع المقدسة وهى فى طريقها إلى مصر وهو بعد صغير ، ولكن تقدم شاب رحيم — ابن رئيس هذه العصابة — وانقذ يسوع لما رأى فى وجهه من روعة وبراءة وجمال أخاذ فأطلق سراحه ولم يدع يداً تمتد إليه وشيعه بالقول: « ايها المبارك بين الأطفال إذا جاء يوم فيه تظهر رحمة لى ، فاذكرنى ولا تنس ماعملته معك الآن » . وتقول الأسطورة إن الشاب اللص الذى انقذ يسوع فى طفولته قابل يسوع ثانية على الصليب حيث خلّصه يسوع .

أما الكلمة « فردوس » فهى كلمة فارسية معناها حديقة ذات أسوار ، وإذا أراد ملك فارس أن يكرم أحداً من رعيته يجعله شريكا له فى حديقة ليسير فيها معه . وما وعد به يسوع ذلك اللص التائب كان أكثر من البقاء ، إذ وعده أن يكون معه سائراً بجواره فى ساحات السماء وأروقتها .

ومن هذه القصة نرى أنه ينبغى قبل كل شىء أن لا نتوانى فى الرجوع إلى يسوع ، ربما أمام أمور كثيرة فى حياتنا نستطيع أن نقول : « لقد مضى الوقت الذى فيه يجب أن أرجع إلى يسوع لأنى فى نهاية الأيام ولا يمكنى العودة بعد » ، لكن لا يليق أن نقول قولا كهذا ونحن فى سبيل التوبة والعودة إلى الله . إن دعوة يسوع موجودة ودائمة طالما أن هناك نبض يتردد فى قلب الإنسان وقد كتب أحد الشعراء فى هذا المعنى عن الرجل الذى سقط قتيلا من على ظهر جواده : « بين الركاب والأرض طلبت الرحمة فوجدتها » . . أجل إنه حق كل إنسان فحيثما توجد الحياة يوجد الرجاء .

نهاية اليوم الطويل

وَكانَ نَحْوُ ٱلسَّاعَةِ ٱلسَّادِسَةِ . فَكانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلتَّاسِعَةِ . وَأَظْلَمَتِ ٱلشَّمْسُ وَٱنْشَقَ حِجَابُ ٱلْهَيْكَلِ مِنْ وَسَطِهِ . وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ يا أَبَتَاهُ فِى يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي . وَلَمَّا قالَ هٰذَا أَسْلَمَ ٱلرُّوحَ . فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ ٱلْمِئَةِ مَا كَانَ مَجَّدَ ٱللهَ قَائِلاً بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هٰذَا ٱلإِنْسَانُ بَارًّا . وَكُلُّ ٱلْجُمُوعِ ٱلَّذِينَ كانُوا مُجْتَمِعِينَ لِهٰذَا ٱلْمَنْظَرِ لَمَّا أَبْصَرُوا مَا كَانَ رَجَعُوا وَهُمْ يَقْرَعُونَ صُدُورَهُمْ . وَكَانَ جَمِيعُ مَعَارِفِهِ وَنِساءٌ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَهُ مِنَ ٱلْجَلِيلِ وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ يَنْظُرُونَ ذَلِكَ .

(لوقا ٢٣ : ٤٤ — ٤٩)

فى هذا الفصل الذى أمامنا نجد أن كل جملة فيه غنية بالمعانى السامية :

١ — كانت ظلمة عظيمة ساعة موت يسوع. وكأن شمس الطبيعة أبت أن تمرِّغ وجهها فى فعال الإنسان وأوحاله فانشحت بالسواد وأظلمت عند سعى الإنسان لإزالة وإبعاد يسوع شمس البر.

٢ — إنشق حجاب الهيكل إلى إثنين . وهو الحجاب الذى يفصل بين

القدس وقدس الأقداس حيث سكنى الله وحضوره ، وحيث لا يدخل إنسان غير رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة فى يوم الكفارة . وهكذا صار المكان المحظور دخوله للناس مباحاً ومفتوحاً للجميع ، فبموت يسوع انفتح قلب الله الحزين على خطية الإنسان لكل إنسان ، ومزق يسوع بحياته وموته الحجاب الذى طالما حجب الله عن الإنسان. « الذى رآنى فقد رأى الآب (يو ١٤:١٩) وقد رأى الناس ويرون محبة الآب فى شخص المصلوب .

٣ — صرخ يسوع بصوت عظيم . وتخبرنا الأناجيل الثلاثة عن هذه الصرخة العظيمة (مت ٢٧ : ٥٠ ، مر ١٥ : ٣٧) . أما يوحنا فلم يتكلم عن صرخة يسوع لكنه يذكر أن يسوع مات وهو يقول : « قد أكمل » (يو ١٩ : ٣٠) . ونرى فى اليونانية والأرامية أن كلمة قد أكمل كلمة واحدة ،وأن هذه الكلمة هنا والصرخة فى باقى الأناجيل شىء واحد أى قالها بصوت عظيم. لقد مات يسوع وكلمة الإنتصار على فمه ، فلم يقل هذه الكلمة كشخص خانع خاضع ملقى على ركبتيه ، ولم يمت مضروباً كشخص ضعيف مهزوم ، بل قال « قد أكمل » كجبار منتصر نال فوزه على عدوه كمن انتهى من كل شىء مخيف . . قد أكمل ! ! هذا صراخ المسيح المصلوب . . ولكنه المنتصر .

٤ — مات يسوع والصلاة على شفتيه . « ياأبتاه فى يديك أستودع روحى ». وقد جعل يسوع هذه الصلاة محبوبة إلى النفس عزيزة عليها إذ بدأها بكلمة أب ، فعلى الصليب مات يسوع كطفل ينام بين ذراعى أبيه .

٥ — تعجب وتأثر قائد المائة والجموع عند موت يسوع . لقد كان سلطان تأثيره فى موته أقوى من سطوة فاعليته فى حيـــاته إذ كسر القلوب القاسية الصخرية .

ولقد قالها : « وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع » ، وها جاذبية الصليب تبدأ عملها منذ أن ترددت أنفاس يسوع الأخيرة .

الرجل الذى وهب قبراً ليسوع

وَإِذَا رَجُلٌ اُسْمُهُ يُوسُفُ وَكَانَ مُشِيرًا وَرَجُلاً صَالِحاً بَارًّا . هٰذَا لَمْ يَكُنْ مُوافِقاً لِرَأْيِهِمْ وَعَمَلِهِمْ . وَهُوَ مِنَ الرَّامَةِ مَدِينَةٍ لِلْيَهُودِ . وَكَانَ هُوَ أَيْضاً يَنْتَظِرُ مَلَكُوتَ اللهِ . هٰذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ . وَأَنْزَلَهُ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ وَوَضَعَهُ فِي قَبْرٍ مَنْحُوتٍ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ وُضِعَ قَطُّ . وَكَانَ يَوْمُ الاِسْتِعْدَادِ وَالسَّبْتُ يَلُوحُ . وَتَبِعَتْهُ نِسَاءٌ كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ جَسَدُهُ . فَرَجَعْنَ وَأَعْدَدْنَ حَنُوطاً وَأَطْيَاباً . وَفِي السَّبْتِ اسْتَرَحْنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةِ .

(لوقا ٢٣ : ٥٠ — ٥٦)

كانت العادة أنهم لا يدفنون جثث المجرمين بل يتركونها للكلاب والجوارح لكى تلتهمها وتلاشيها ، ولذلك أنقذ يوسف الرامى جسد يسوع من الإهانة. ولم يكن هناك فسحة من الوقت لأن يسوع صلب يوم الجمعة ، وكان السبت اليهودى يبدأ حسب العرف اليهودى من الساعة السادسة مساء الجمعة . وهذا هو السبب الذى لأجله لم تجد النساء وقتاً إلا ليعرفوا أين وضعوا جسد يسوع ،

وذهبن على التو ليعدون الأطياب والحنوط بسرعة إذ لا يوجد وقت وأن كل عمل يتم بعد غياب شمس الجمعة يكون ضد الشريعة.

وما عمله يوسف الرامى يعد من أعظم الأعمال وأنبلها.

١ — وجدت أسطورة تقول إنه فى سنة ٦١ م أرسل فيليب يوسف الرامى إلى جلاستنبرى وكان معه كأس العشاء الربانى الذى استخدم فى العشاء الأخير وفيه دم المسيح، وهذه الكأس المقدسة التى كان يحلم الملك آرثر أن يجدها ويردها. وعندما وصل يوسف الرامى إلى جلاستنبرى يقولون إنه ارتكز بعكازه على الأرض ليستريح عليه من مشقة السفر، وأزهر العكاز وصار شجرة تفرخ فى كل يوم عيد ميلاد. ولا يزال عكاز يوسف فى جلاستنبرى يزهر ويرسل منه شتلات الى كل العالم. كما بنيت أول كنيسة فى انجلترا فى جلاستنبرى وسميت كنيسة يوسف ويزورها الحجاج المسيحيون الى الآن.

٢ — توجد مأساة تلصق بيوسف الرامى، ذلك الرجل الذى وهب قبره ليسوع إذ كان من أعضاء السنهدريم لكنه لم يوافق على حكم السنهدريم بل عارضه، لكن الذى يؤخذ عليه هو أنه لم توجد أية إشارة تدل على رفع صوته بالمعارضة ربما كان صامتاً أو غائباً لأنه لا يقدر أن يبطل عملا لم يتفق معهم فيه، وما جدوى كلامه لو تكلم؟ ! . ماذا يعمل صوت واحد ضد جمهور غاضب ثائر امتلأ قلبه بالحقد والبغضة ! ! ولكنه صبر إلى أن مات يسوع ووهب القبر لدفن جسده.. وهذه هى المأساة ! أن نضع على قبور الناس زهوراً كان يجب أن نقدمها لهم فى حياتهم، وكثيراً ما نسهب مدحاً فى تأبين ميت بينما كان أجدر وأكرم بنا أن نفعل هذا فى حياته، بل كثيراً ما نكون كمن انتابهم روح شرير فنصمت ولا نتكلم ناسين أن كلمة للحى أفضل من قصائد عديدة للميت.

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلرَّابِعُ وَٱلْعِشْرُونَ

ليس هو ههنا

ثُمَّ فِي أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ أَوَّلَ الْفَجْرِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلَاتٍ الْحُنُوطَ الَّذِي أَعْدَدْنَهُ وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ. فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدَحْرَجاً عَنِ الْقَبْرِ. فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذٰلِكَ إِذَا رَجُلَانِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ. وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنَكِّسَاتٍ وُجُوهَهُنَّ إِلَى الْأَرْضِ قَالَا لَهُنَّ. لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ. لَيْسَ هُوَ هٰهُنَا لٰكِنَّهُ قَامَ. اُذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ. قَائِلاً إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أُنَاسٍ خُطَاةٍ وَيُصْلَبَ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. فَتَذَكَّرْنَ كَلَامَهُ. وَرَجَعْنَ مِنَ الْقَبْرِ وَأَخْبَرْنَ الْأَحَدَ عَشَرَ وَجَمِيعَ الْبَاقِينَ بِهٰذَا كُلِّهِ. وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَيُوَنَّا وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَالْبَاقِيَاتُ مَعَهُنَّ اللَّوَاتِي قُلْنَ هٰذَا لِلرُّسُلِ. فَتَرَاءَى كَلَامُهُنَّ لَهُمْ كَالْهَذَيَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُنَّ. فَقَامَ بُطْرُسُ وَرَكَضَ إِلَى

الْقَبْرِ فَانْحَنَى وَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً وَحْدَهَا فَمَضَى مُتَعَجِّباً فِي نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ .

(لوقا ٢٤ : ١ — ١٢)

السبت اليهودى هو يوم السبت عندنا وهو اليوم الأخير فى الأسبوع ويذكرنا براحة الله بعد خلق الخليقة ،وأما يوم الأحد المسيحى فيذكرنا بقيامة يسوع وهو أول أيام الأسبوع . وفى أول يوم أحد مسيحى ، ذهبت النساء إلى القبر ، طبقاً للتقاليد ، لكى يظهرن المحبة للراحل العزيز ويعطرن جسد يسوع بالعطور . وكانت القبور الشرقية محفورة فى مغارات فى الصخور ، ويلف جسد الميت ،فى نسيج طويل من الكتان ، ثم يضعونه على رف فى القبر الصخرى ، وأخيراً يضعون حجراً مستديراً كإطار العربة فى شق على فم القبر . ولما جاءت النسوة وجدن الحجر مدحرجاً .

وهنا نجد تضارباً وتناقضاً ظاهرياً فى قصة القيامة ، يعول عليه المقاومون والمنتقدون للمسيحية كثيراً . ففى إنجيل مرقس نجد فى القبر شاباً لابساً حلة بيضاء (مر ١٦ : ٥) ، وفى إنجيل متى نجده ملاكاً من الرب (مت ٢٨ : ٢) ونجد هنا رجلين بثياب لامعة ، ونجد فى يوحنا ملاكين (يو ٢٠ : ١٢) . والحقيقة أن هناك ملاكين فى ملابس بيضاء ، وفى نضرة وحيوية الشباب ، تحدث عن أحدهما البشيران وأشار البشيران الآخران عن كليهما

لكن الأمر الواضح والثابت والذى لاجدال فيه ولا شبهة ولا مناص منه ولا مهرب ، أن القبر كان خالياً . وهذا هو جوهر الموضوع وفحواه إذ لا يمكن لشخصين أن يضمان قصة واحدة بلغة واحدة وبلفظ واحد . وفى قصة القيامة العجيبة تبقى حقيقة القبر الخالى أمام عيوننا ثابتة أكيدة .

رجع النساء إلى التلاميذ ليخبرنهم عن حقيقة القبر الخالى فلم يصدقوهن وظهر كلامهن كالهذيان ، إلا أن بطرس هرع إلى القبر ليتحقق جلية الأمر نعم لقد أنكر بطرس المسيح ولكنه كان يقابل تعييره بشجاعة من الذين علموا بفعلته ، لقد كان بطرس يمتلك عنصر البطولة والشجاعة مع شىء من التراجع والجبن ، ولكن الرجل الذى كان يخاف كالحمام سار فى الطريق الذى يجعله ثابتاً صامداً كالصخر. على أن الأمر الذى يستحوذ تفكيرنا الآن هو الرسالة التى انبعثت من القبر « لماذا تطلبن الحى بين الأموات» . . آه كم من كثيرين لليوم ينظرون إلى يسوع كأنه ميت ! ! . .

١ — يعتبر الكثيرون أن يسوع هو أعظم بل أنبل بطل عاش على الأرض ، ولكنه مات ! إن يسوع غير مائت بل هو حى ، وليس هو بطل الماضى بل حى اليوم والغد — قال شاعر « إن شكسبير تراب لا يرجع ولا تقدِّم له سؤالا فى قبره ، وسقراط وشيلى فى نوم عميق فلا ينظران ، وأما أنتم أيها المسيحيون — بغض النظر عن الموت — تقابلون سائح الناصرة » .

٢ — يوجد كثيرون يحترمون يسوع ويعتقدون أن تاريخه يجب أن يدرس بعناية فائقة ، وينبغى فحص كلامه وتحليل تعليمه ومعرفة وصاياه ، كما أنه ربما يوجد ميل كثير للتفكير عن المسيح والمسيحية والميل إلى درس كل فصل عنهما . . لكن يسوع ليس هو الشخص الذى يدرس بل الشخص الذى نقابله فنحيا فيه ونعيش له ومعه كل يوم فى حياتنا وليس هو شخصاً فى كتاب مهما عظمت قيمة الكتاب فى العالم ولكنه الشخص الحى الحاضر معنا .

٣ — يرى الكثيرون فى يسوع أنه المثال الذى يحتذى ، والقدوة التى تتبع ، ولكنه يبقى حقيقة المثال الكامل الذى تنكسر قلوبنا أمام كماله

مادمنا فى العالم. وكما نرى العصافير تطير محلقة فى الجو من قرون طويلة ولكننا لا نستطيع الطيران مثلها، وكما كنا فى المدرسة نكتب الكلمات على النموذج الذى أمامنا ولكننا لم نقدر أن نكتب مثله تماماً، وكانت يد المعلم تقود أيدينا حتى نسير مثل النموذج تقريباً.. هذا عين ما يفعله يسوع معنا، فهو ليس فقط النموذج والمثال بل هو المرشد الذى يهدينا ويساعدنا لنحتذى به، وهو ليس عنوان الحياة فحسب بل هو حى لمعونتنا فى درب الحياة وعمقها وقد تكون مسيحيتنا ناقصة لأننا نظرنا إلى الحى بين الأموات.

تحوّل طريق الغروب إلى النور

وَإِذَا ٱثْنَانِ مِنْهُمْ كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً ٱسْمُهَا عِمْوَاسُ. وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هٰذِهِ ٱلْحَوَادِثِ. وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ ٱقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلٰكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ. فَقَالَ لَهُمَا مَا هٰذَا ٱلْكَلَامُ ٱلَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ. فَأَجَابَ أَحَدُهُمَا ٱلَّذِي ٱسْمُهُ كِلْيُوبَاسُ وَقَالَ لَهُ هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحْدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هٰذِهِ ٱلأَيَّامِ. فَقَالَ لَهُمَا وَمَا هِيَ. فَقَالاَ ٱلْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ ٱلنَّاصِرِيِّ ٱلَّذِي كَانَ إِنْسَانًا

نَبِيًّا مُقْتَدِراً فِي الفِعلِ وَالقَولِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعبِ . كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوتِ وَصَلَبوهُ . وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ . ولَكِنْ مَعَ هٰذَا كُلِّهِ الْيَوْمَ لَهُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ مُنذُ حَدَثَ ذٰلِكَ . بَلْ بَعضُ النِّسَاءِ مِنَّا حَيَّرْنَنَا إِذْ كُنَّ بَاكِرًا عِنْدَ الْقَبْرِ . وَلَمَّا لَمْ يَجِدْنَ جَسَدَهُ أَتَيْنَ قَائِلاتٍ إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنظَرَ مَلائِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ . وَمَضَى قَوْمٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَنَا إِلَى الْقَبْرِ فَوَجَدُوا هٰكَذَا كَمَا قَالَتْ أَيْضاً النِّسَاءُ وَأَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرَوْهُ . فَقَال لَهُمَا أَيُّهَا الغَبِيَّانِ وَالبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ . أَمَا كَانَ يَنبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهٰذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ . ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ .

ثُمَّ اقْتَرَبُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا مُنطَلِقَيْنِ إِلَيْهَا وَهُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنطَلِقٌ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ . فَأَلْزَمَاهُ قَائِلِينَ أمْكُثْ مَعَنَا لأَنَّهُ نَحْوَ الْمَسَاءِ وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ . فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا . فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا أَخَذَ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَرَ

وَنَاوَلَهُمَا . فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا . فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ فَقَامَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَرَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ وَوَجَدَا الأَحَدَ عَشَرَ مُجْتَمِعِينَ هُمْ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ . وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسِمْعَانَ . وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا يُخْبِرَانِ بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ وَكَيْفَ عَرَفَاهُ عِنْدَ كَسْرِ الْخُبْزِ .

(لوقا ٢٤ : ١٣ ـ ٣٥)

فى هذا الجزء نرى قصة من قصص العالم الخالدة . .

١ — كان رجلان يسيران عند الغروب وربما يكون هذا هو السبب فى عدم التحقق من شخصية يسوع ، وتقع عمواس غرب أورشليم ، وكانت الشمس تختفى فى ذلك الوقت وراء الأفق .

ومن هنا ندرك أن المسيحى لا يسير فى الطريق كأنه فى وقت اختفاء الشمس بل هو يسير فى نور النهار الكامل ، كما قيل قبلاً لشعب إسرائيل إنهم يسيرون فى البرية نحو شروق الشمس (عدد ٢١ : ١١) . وكان تلميذا عمواس الحزينان يسيران فى حيرة وارتياب .

٢ — نرى مقدرة يسوع على التقاط الإحساس من مراقفيه ، والحاجة الماسة عند الرجلين هى شرح وتوضيح الأمور لأن كل مالهم من أحلام وآمال قد انتهت واختفت وظهر ألمهما ومرارة نفسيهما فى القول : « ونحن كنا نرجو

أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل » ودلت هذه الكلمات على الرجاء المائت والأمل الآفل ، وأتى يسوع وتكلم معهما فصار معنى الحياة واضحاً لهما ، وتحول الظلام الدامس إلى نور أخاذ . قال صديق لصديقه: « كنت لاأعرف معنى الحياة ولكني رأيتها فى عينيك » ، ونحن أيضاً لا نعرف معنى الحياة فى أوقات المحن ولكن نعرف المعنى الحقيقى للحياة بيسوع وفى يسوع .

٣ — تخبرنا القصة عن لطف يسوع ومجاملته ، تظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد ، ولم يرد أن يفرض نفسه وانتظر دعوتهما ، وأعطى الله الناس عطية الحرية أى حرية الإرادة ، وبها يمكن أن ندعو يسوع ليدخل إلى قلوبنا أو ندعه يذهب فى طريقه .

٤ — تخبرنا القصة أيضاً عن كيف عرفاه عند كسر الخبز ، وهـذا لا يشير إلى العشاء الربانى لأنه كان عشاءاً عادياً فى بيت عادى كما أن الخبز الذى كسره يسوع كان اعتيادياً . وبهذا عرف التلميذان يسوع ، وربما كانا حاضرين عندما كسّر يسوع الخبز حين إشباع الخمسة آلاف وعرفا يديه عند كسر الخبز فى بيتهما . ومن هنا نتعلم أن نكون مع يسوع لا عند كسر الخبز فى العشاء الربانى فقط ، بل ينبغى أن نكون معه عند كسر كل خبز عادى فى بيوتنا . وهو ليس الضيف فى كنيسته فقط بل هو الضيف فى كل بيت . فالمسيحى يعيش فى المسيح إلا الأبد فى ظله الظليل .

٥ — تروى القصة أن الرجلين قابلا فرحاً عظيماً وأرادا أن يقتسماه مع الآخرين ، بينما كانت الطريق سبعة أميال إلى أورشليم ، ومع ذلك لم ينفردا بالخبر السار لنفسيهما . إن الرسالة المسيحية لا يمكن أن تكون رسالة إن لم نخبر بها الكل .

٦ — نرى فى القصة أنه حال وصولهما إلى أورشليم وجدا أناساً يقاسمونهما الفرح ، وهذا هو مجد المسيحى أن يجد أناساً لهم نفس الخبرة وذات الاختبار ، وقيل إن الصداقة الحقيقية تبدأ عند مطابقة الذكريات وعندما يقول كل منهما للآخر : « هل تذكر » .. حقاً .. كل منا عضو فى شركة وفى عائلة يقاسمونه الخبرة المسيحية والذكريات فى الرب .

٧ — تحكى لنا القصة كيف ظهر يسوع لبطرس ، وتبقى هذه القصة خالدة فى العالم ، وبالحقيقة هذا أمر مفرح ومشجع أن يظهر يسوع أولا للرجل الذى أنكره ، وهذا مجد يسوع أنه يرد للتائب اعتباره الأول .

فى العليّة

وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهٰذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسَطِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ سَلاَمٌ لَكُمْ . فَجَزَعُوا وَخَافُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحاً . فَقَالَ لَهُمْ مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ . أُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ إِنِّي أَنَا هُوَ . جُسُّونِي وَٱنْظُرُوا فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي . وَحِينَ قَالَ هٰذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ . وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ ٱلْفَرَحِ وَمُتَعَجِّبُونَ قَالَ لَهُمْ أَعِنْدَكُمْ هٰهُنَا طَعَامٌ . فَنَاوَلُوهُ جُزْءاً مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ وَشَيْئاً مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ . فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ .

وَقَالَ لَهُمْ هٰذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ . حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ وَقَالَ لَهُمْ هٰكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ وَهٰكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمَ وَيَقُومُ مِنَ الْأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ . وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ . وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذٰلِكَ . وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي . فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الْأَعَالِي .

(لوقا ٢٤ : ٣٦— ٤٩)

نقرأ هنا كيف أتى يسوع إلى خاصته وتلاميذه عندما اجتمعوا فى العلية ونرى فى هذا الفصل ملاحظات عظمى فى الإيمان المسيحى لها الشأن العظيم والرائع . .

١ — التركيز على حقيقة القيامة ، فلم يكن السيد المقام من الأموات شبحاً أو روحاً أو خرافة ، بل يسوع الذى مات هو بالحقيقة المسيح الذى قام ، فالمسيحية لم تقم على أفكار الناس المشوشة أو رؤى الأعين المحمومة ، بل تقوم على حقيقة تاريخية فعلية قابلت وقاومت وقامت وانتصرت على الموت وقام حقاً من بين الأموات .

٢ — التنبير على ضرورة بل وجوب الصليب ، فكل الأنبياء تنبأوا عنه ،

ولم يكن الصليب إجباراً اضطرارياً بالنسبة المسيح بل هو ترتيب إلهي أزلي، ففي الصليب نرى محبة الله الأزلية للبشر .

٣ — التشديد على ضرورة العمل والكرازة ، إذ ينادي كل إنسان أنه لا مغفرة ولا توبة إلا بالصليب ، فلم تترك الكنيسة لتدوم في العلية بل أرسلها الله إلى كل العالم ، لقد مضت أيام الحزن والآن يجب أن تصل الأخبار السارة إلى كل الناس .

٤ — إبراز سر القوة ، أنهم ينبغي أن يمكثوا في أورشليم إلى أن يلبسوا قوة من الأعالي في يوم الخمسين ، توجد أوقات فيها يبدو المسيحي كأنه يضيّع أوقاته ، ولكنه بالحقيقة يستسلم بحكمة لأن العمل بدون استعداد يفشل ، يوجد وقت فيه ننتظر الرب ، ويوجد وقت فيه نعمل للرب . كتبت مؤمنة تقول: « عندما ينقضي العمر بصغائر الأمور أجاهد في كل ساعة ولكن بدون قوة أجاهد مع أعداء الله مع قوات الدهر ، بقدم ثابت ، بلطخات على الجدران ، بآذان تمتلىء بالشك ، بأيد غير مغتسلة ، وبطلبات من الصغار لا تعد » ومع هذا كله تختلي مع الرب وتترك أشغالها وتطلب وجه الله « بأقدام مضطربة ، وأيدي مرتخية أجلس في جهلي ، وأصغي وأتعلم ، وهكذا تتم أعمالي على أحسن نسق وأفضل منوال » . إن الساعات الهادئة التي فيها ننتظر الرب ليست عبثاً لأن فيها نختزن قوة من لدن الرب لنتمم أعمالنا .

النهاية السعيدة

وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجاً إِلَى بَيْتِ عَنْيَا . وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ . وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ ٱنْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ . فَسَجَدُوا لَهُ وَرَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ .

وَكَانُوا كُلَّ حِينٍ فِي ٱلْهَيْكَلِ يُسَبِّحُونَ وَيُبَارِكُونَ ٱللّٰهَ آمِينَ .

(لوقا ٢٤ : ٥٠ — ٥٣)

يظل صعود المسيح سراً لا يمكن أن نصفه فى كلمات أو نصيغه فى أساليب فهو يفوق ميادين الكلمات ومدى التعبير واتساع البيان والوصف . ولكن وجب علينا أن نصفه لأن هذا سيكون له الأثر البالغ فى إيمان الكثيرين ، فيسوع الذى عاش على الأرض لا بد أن يكون فى السماء . ونرى فى الصعود ثلاثة أشياء تمس تلاميذه .

١ — هذه نهاية ، دور مضى ودور يأتى ، فقد انصرم الوقت الذى فيه آمنوا بيسوع الدم واللحم ، وأوضحت صلتهم الآن بشخص لا يحده مكان ولا يحتويه زمان .

٢ — كان صعوده بداية . لقد تركوا إنكسار القلب وعلموا أن لهم سيداً لا يفصلهم عنه شيء . «أعرف ارتفاعه الذى لا أصل إليه إلا بمحبته وعنايته» هكذا قال احدهم ، وقال بولس : « فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح ».

٣ — تعلم التلاميذ وتأكدوا من الصعود أنه كان لهم صديق على الأرض ، ولكن الآن صار لهم الصديق فى السماء ، وهذا غنى لا يدانى أن نعرف ونؤمن أن يسوع ينتظرنا فى السماء بشفقته ورحمته ومحبته التى لا توصف . فعندما يغشانا الموت وتأتى ساعة المنية لا نذهب إلى الظلام بل نذهب إليه ، ولذلك رجعوا إلى أورشليم وكانوا فى الهيكل يسبحون الله ، ولا غرابة ولا عجب فى أن لوقا يبدأ إنجيله ببيت الله وينتهى بإنجيله فى بيت الله . . آمين